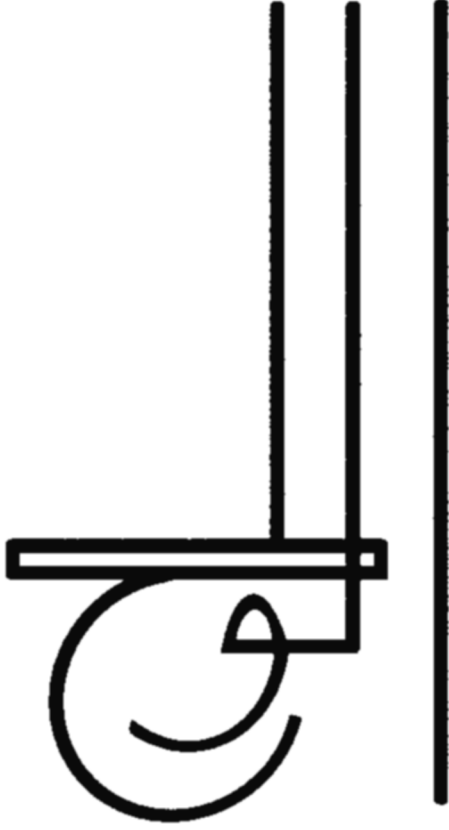




بيت الفقراء
نشر الثقافة الروحية
الجزء الخامس
ألواح ما بين قبر ومنبر

السيد الروح المرشد (سلفر برش)

الجمعية الإسلامية الروحية

القاهرة - الحلية الجديدة

طريق علي مبارك الرقم ٢٨

رافع محمد رافع

ألواح ما بين قبر ومنبر - الجزء الخامس

فهرس الأحاديث

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١	سيدي رسول الله	حديث الجمعة	١٩ يناير ١٩٦٢ م	١
٢	القيامة في قيامه قائمة والفتنة بعد معرفة عبده نائمة	حديث الجمعة	٢ فبراير ١٩٦٢ م	٥
٣	الله وراء دين الرحمن بعلمه وعزته والله وراء دين الشيطان بجهله وحكمته فما يكون الصلاح وكيف يكون الإصلاح؟	حديث الجمعة	٩ فبراير ١٩٦٢ م	١٣
٤	السبيل بمحمد بصيرة ميسرة وبحقيقته قيامة مقدرة	حديث الجمعة	١٦ فبراير ١٩٦٢ م	١٧
٥	الإسلام دين الفطرة يولد الناس فيه بفطرتهم ويخرجون منه بإرادتهم	حديث الجمعة	٢٣ فبراير ١٩٦٢ م	٢٧
٦	دوام الرسالة في دوام الرسول قبلة الصلاة وروح المنسك	حديث الجمعة	٢ مارس ١٩٦٢ م	٣٥
٧	عيد بين الغيب والشهادة عود بجديد وبعث بوليد	حديث العيد	٧ مارس ١٩٦٢ م	٤٥
٨	لا إله إلا الله قيام العالمين وأعلام المؤمنين وأبواب المسلمين وسيوف المجاهدين	حديث الجمعة	١٠ أغسطس ١٩٦٢ م	٥١
٩	الإنسان بين القلب والقالب بيت ونصب	حديث الجمعة	١٧ أغسطس ١٩٦٢ م	٥٩
١٠	الساعة والقيامة علم وعلم، بحق وكلم	حديث الجمعة	٢٤ أغسطس ١٩٦٢ م	٦٥

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١١	القيامة وإنها لقائمة في قيامك بالحق: القيامة في السلامة وفي قيامك بنفسك: القيامة في الندامة	حديث الجمعة	٣١ أغسطس ١٩٦٢ م	٧٥
١٢	عبد من عباد في دورة للرشاد لحق في عماء في دثار من رجاء	حديث الجمعة	٧ سبتمبر ١٩٦٢ م	٨١
١٣	الفطرة ودينها والدين وفطرتها في الإنسان ابن الطبيعة وسيدها	حديث الجمعة	١٤ سبتمبر ١٩٦٢ م	٩١
١٤	الإنسان بين اللطيف والكثيف في دناء عبد لحقي معناه في لانهائي الحياة	حديث الجمعة	٢١ سبتمبر ١٩٦٢ م	١٠١
١٥	السيد العذري إنسان اللانهاية.. الحق الرسول محمد بن عبد الله العبد الإنسان مسيح الرب الإنسان	حديث الجمعة	٢٨ سبتمبر ١٩٦٢ م	١٠٧
١٦	الإنسان مِمَّ وَلَمْ تَواجِد وماذا وَلَمْ أُوْجِد حاله وأصله ومآله	حديث الجمعة	٥ أكتوبر ١٩٦٢ م	١١٥
١٧	إنسان لا إله إلا الله عبد معناه ورب مبناه	حديث الجمعة	١٢ أكتوبر ١٩٦٢ م	١٢٣
١٨	التعديد والتوحيد أو التوحيد والتعديد الشفع والوتر أو الوتر والشفع هو العلم والعقيدة أو العقيدة والعلم	حديث الجمعة	١٩ أكتوبر ١٩٦٢ م	١٢٩
١٩	السلام نبوءة الروح وقد زلزلت الأرض والنفوس بالخصام في أزمة كوبا	حديث الجمعة	٢٦ أكتوبر ١٩٦٢ م	١٣٧

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
٢٠	قامت الصلاة حي على الصلاح حي على الفلاح النداء الدائم من البيت السرمدي القائم	حديث الجمعة	٢ نوفمبر ١٩٦٢ م	١٤٣
٢١	العبودية في معناها مجردا عن المكان وعن الزمان أنا ووجهها لمعنى الإنسان	حديث الجمعة	٩ نوفمبر ١٩٦٢ م	١٥١
٢٢	عبد الربين ورب الثقلين المتعلم الأزلي، والمعلم الأبدى الإنسان الآدم، والآدم الإنسان في لا نهائي لا إله إلا الله	حديث الجمعة	١٦ نوفمبر ١٩٦٢ م	١٥٧
٢٣	لا إله إلا الله قديم وقادم وقيام بداية ونهاية لقائم أمر وغاية يقومها الإنسان ليكون بها عن ربه وعنده العنوان	حديث الجمعة	٢٣ نوفمبر ١٩٦٢ م	١٦٥
٢٤	آدمان لإنسان حقان ووجهان للعنوان الأزل والأبد بهما يجتمعان في قائم لا إله إلا الله	حديث الجمعة	٧ ديسمبر ١٩٦٢ م	١٧٥
٢٥	إنسان الوجود يوم يتواجد بنفسه لنفسه في لانهائي معناه بالحياة	حديث الجمعة	١٤ ديسمبر ١٩٦٢ م	١٨٣

(١)

سيدي رسول الله

حديث الجمعة

١٣ شعبان ١٣٨١ هـ - ١٩ يناير ١٩٦٢ م

سيدي رسول الله.. سيدي عبد الله.. سيدي علم الله.. سيدي ذكر الله.. سيدي بيت الله..
سيدي نبأ الله.. سيدي كتاب الله.. سيدي علم الله.. سيدي يد الله.. سيدي نور الله.. سيدي
وجه الله..

هذه أرضك، زويت لك، وهذه البشرية أمتك، علمت عنك، وها نحن أمتك وقومك كما تعلم، وأنت
بنا منا أعلم، وها نحن بك فيك على ما نعلم، وأنت بك بنا أعلم، ها نحن نفتني أثرك، فنسير في مسراك،
وها ربك يُحقق فينا لك شيئاً مما طلبت، وها أنت تحقق لنا به شيئاً مما وعدت، وها نحن نسعد بما
حقق ربك لك، وها ربك يرضانا بما حققت لنا، وها نحن نرضى عنكما برضائكما عنا.

ها هي معالم الطريق على ما علمت، ترتفع علاماتها، وتظهر للناس مناراتها، ويشهد المبصرون إشاراتها،
فيتابعون بتطورهم الى الأعلى خطاك، ويستقيم خطوهم على الثرى في مسراك، ها هو أمر الدين يتجدد،
أنت فيه قائم لا تتعدد، وإن تعددت وجوهك، وإن تعددت أياديك، وإن تابعت الأقدام في طريقك
أقداماً لك، وآثارا لمسراك بها تتكاثر، وبنورك تنتشر وتتناثر، بين فرق وجمع تتواجد مع القرون. لقد
سعدنا بك أبا وولداً، ونجونا بك لنا ولينا ومولى، وصلتنا فوصلناك، وخاطبتنا نخطبناك، فكنت لنا نجياً،
وكنتم علينا علياً، فبعثنا فيك أطفالاً وفتية، ورجالا وكهلة وجوها لك يا وجه ربك، وجوها لك يا
وجه ربك، أعلاماً عليك يا علم الله، ويا أعلام الله.

ها نحن نصلك، صلاة منك، سكينه لنا، وصلاة منا، بصلاة الله عليك رحمة بنا، بنا يرزقك، وبك
يرزقنا، بنا يرزقك عباداً لك، وبك يرزقنا ربا ومولى لنا.

سيدي علم فطرة الله، وعلم أعلام شهداء الله، وقيام قيام خلق الله بحق الله.

سيدي آدم الله، وآدم أودم الله.

سيدي عبد الله، وعبد عباد الله، من الرفيق الأعلى إلى الرفيق الأعلى.

سيدي عبد الله وأول عباد الله، ووجه الله لعباد الله، في باقي الله، ودائم الله، من تجلي الله لخلق الله بخلق الله.

سيدي رسول الله.

إن لم تمتد يدك في هذا الزمان للقابضين على الجمر بالقبض على دينك، فمتى تمتد؟ ولمن تمتد؟

سيدي جذوة الله المشرقة، ونار الله المحيية المحرقة، ونور الله الهادي، وقدرة الله الباقي.. إنك تعلم، وليس لنا أن نُعلمك بما تعلم، إنك تعلم القابضين على الجمر بيطمهم، فانزع هذه الجمرات من أيديهم، وإلى أحضانك فأويهم. يا بيت البيوت، ويا أب الآباء، ويا أم الأمهات، ويا رحمة الله...

ها هي نفوس في الله قد استيقظت ومن الله قبلت، تُقدم ذواتها قربانا إليك. سيدي رحمة الله فأقبلها برحمة الله، ولا تعاملها بعدل الله، ولا تلقها بجزاء الله وبحساب الله، فأنت الرحمة المهداة والرب الغفور. سيدي فادفع عنها بلاء عدل الله بشفاعتك. ضاقت علينا الدنيا بما رحبت بوهم غيبتك، فهيئ لها سبيل السراح، وافتح لها هذه البطاح، واجعل منها أمتك، وجدد بتقويمها شرعتك، وأعزها بنصرتك، يا نصر الله، ويا سيف الله، ويا قدرة الله، ويا عزة الله، ويا رحمة الله، ويا ستر الله. الأرض جميعا قبضتك بقبضته يوم يعرفك الناس يدا الله، وعبداء الله، ورسولا الله، وحقا منه لخلقه، بك قام عينه لخلقه، ووجهه لغيبه، وظاهر الله لباطن الله، لا عن نفسك وقد ماتت، ولكن عن بعث نفسك نفسا له بالحق يقوم، وكتابا له ونبا عنه بالصدق يدوم، وسيفا له وفارقا به بين الباطل والحق يستقيم.

سيدي يا من يتخلق الزمن بمظاهرك.

سيدي حقيقة الدهر بمعالمك.

سيدي طلعة الغيب بمعارفك.

سيدي سفن النجاة بهياكلك.

سيدي رحمة الله ويد رحمتك بمصاييح وجهك...

إن لم تسعفنا اليوم بما تؤمن به لك، وبما نعرفه فيك، وبما ننشده من الله بك، فإننا نخشى أن يختفي من الأرض ذكرك، وأن يُخلع منها بغير عودة أمرك، وأن تختفي من معالمها في أعلام لها بك معالم دينك، ولا يبقى لك في الأرض أثر أو طريق فتظهر لنا معالم الهلاك للأرض وعالمنا بها، وقد علمناك رحمة الله لا تغيب، ووجه الله لا ينقطع له ظهور، وأمر الله لا تغلبه من المادة والدنيا أمور.

إن شيئاً مما يقلقنا لن يكون، ولكنه الضعف فآمن ضعفنا وحررنا من مخاوفنا، وحقق لنا ما آمنه فيك، وما آمنه من الله لنا بك، وامدد نجاتك، فأغطش ليلها بعزتك وأخرج ضحاها برحمتك، واحببها بخلقك، وحقق معناها لمعانك، وأخرج لها منها ماءها ومرعاها، واحبب بوارها وأحب ربها حتى يعرف الناس ما لا كنت ألسنتهم، وما غاب عن قلوبهم من ذكرك وأمرك. أقم قيامتك وأعلن قيامك.

يقولون لا إله إلا الله ولا إله لهم، ويقولون إن محمداً رسول الله ولا شهود لهم، ويذكرون الله ولا إيمان عندهم، يتكلمون عن الساعة والحساب، ويتكلمون عن القيامة والعقاب، ويتكلمون عن البعث والثواب ولا وعي لهم، لا في قيامه ولا في قيامك، ولا في قيام ربك على أنفسهم. يقيمون في النار باسم الجنة عنها لا يزحزون، والجنة قطوفها دانية لا يدخلون ولا يقطفون، ثم ناراً من وضعهم وتأليفهم وتولينهم يرسمون ويتوهمون، والجزع منها يزعمون، وجنة من خيالهم، ومن رسمهم ومن صنعهم يضعون وينشئون، وبأوهام لها يدعون، وبأجر عن مدخلها يستوفون، والوفاء يزعمون، لا للسموات والأرض بوصفها يدركون، ولا أنفسهم من ضيقها يخرجون، ولا من نارها يزحزون، مبرزة للغاوين بها لا يحسون، وغراماً بها فيها يقيمون وما يشعرون، فلا الجنة يشهدون مزلفة للناجين، بل الغاوين يتابعون، والناجين يفارقون، ولا يصاحبون ولا يخاللون، فعلى دين المخاللة والحب لا يقومون، ولكن على أمر من الفتنة يتناجون، إلى الطاغوت باسم اللاهوت ينتسبون، والرحموت بينهم من أنفسهم في جفوة منهم له يمتقون.

هذه هي أمتك يا سيدي يا رسول الله، يا سيدي يا رحمة الله، يا سيدي يا نجدة الله، يا سيدي يا تلبية الله يوم يلي الله من ناداه. ها هي معالم الأمور لا تخفى على بصير، ولا تخفى على خبير، فقد وقعت أنباء أحاديثك، وتكشفت معالم نبوءاتك فإذا تكشف قوانين الحياة، وقوانين الهلاك والنجاة، دائبة لا تفتر، قائمة لا تغيب.

ها نحن كما يهرفون بما لا يعرفون نقول إننا في آخر من زمان، وفي بدء من زمان، يا سيدي يا فيصل الأزمان، يا محيي العصور والأمم والأمصار، كلما ظهرت كان عصر، وأينما حلت كان مصر، وكلما تجددت كان دهر، يا سيدي يا دهر الدهور، يا عصر العصور، يا وجه الآباد، يا إدبار وغيبة الأزال، يا سرمد الوجوه للحق لا انقطاع لها، يا ياقوتة أحذية ذات الله لا غيبة لها، يا مظهر

صفات الله تتابع مع الأزمان والعصور متجمعة في ذوات الدهور. هلا أجبته، هلا أمددت، هلا برحمة الله أشرقته، هلا بعزة الله أهل الظلم دفعت وأهل النور نجدت وأهل الله أقمت؟

هذا قليل من قليل، لكثير من كثير، مما يصح أن نناجي به رسول الله، وهو لنا السميع، أو مما نرى به رسول الله، وهو بنا البصير.

من آمن بالله ورسوله حيا في رسول الله، وبعث في رسول الله، وقام برسول الله، وغني برسول الله، واقتفى رسول الله في معراج السعادة بالله، لا يتناهى تعاليه في لا نهائي تدانيه.

نسأل الله أن يجعلنا من رسول الله، وأن يجعلنا في رسول الله، وأن يخرجنا برسول الله، وأن يقيمنا برسول الله، وأن يجعلنا لرسول الله، حتى نشهد به أنه لا إله إلا الله وحتى نعرف بالله أن محمدا رسول الله.

اللهم اغفر لنا وتب علينا، وتولنا برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم ادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز وأنت الأكرم.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا، اللهم اغفر لنا، اللهم خذ بيدنا، اللهم انصرنا على أنفسنا، اللهم قوم فيك سبيلنا، وجدد فيك على الإيمان أمرنا، اللهم لا تكلنا لأنفسنا ولا لغيرك طرفة عين ولا أدنى من ذلك، اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا، اللهم برحمتك فتولنا، وبعزتك فأعزنا، وبأنوارك فأمدنا، وبهديك وبرشادك فقوم سبيلنا، ولا تكلنا لأنفسنا ولا لغيرك طرفة عين، ولا أدنى من ذلك، يا أرحم الراحمين ارحمنا، يا أرحم الراحمين ارحمنا.

أضواء على الطريق

(ربما تظنون أحيانا أن العمل قد تعطل. ولكن دائما يُستخدم أناس في كل مكان ولو بدون معرفتهم، ووسطاء غير معلومين حتى لأنفسهم. لن يسمح الروح الأعظم لأطفاله أن يحطموا أنفسهم. هذا هو السبب في أني حثثكم على تقديم المساعدة دائما وأبدا).

(لا يمكنكم أن تحصلوا على شيء في عالم المادة بدون أن تدفعوا الثمن، أما ثمن الوساطة فهو الحساسية المتزايدة بواجب الخدمة. لا يمكنكم تجميع الثروة بدون دفع الثمن. فإذا نسيتم واجبات روحكم فإنكم قد تغنون من طيبات عالمكم، ولكنكم ستكونون فقراء جدا في عالمي).

من هدي الروح المرشد (برش)

(٢)

القيامة في قيامه قائمة والفتنة بعد معرفة عبده نائمة

حديث الجمعة

٢٧ شعبان ١٣٨١ هـ - ٢ فبراير ١٩٦٢ م

أعوذ بالله من مادي شهودي، وأستعين به لكسب قائم الروح لوجودي، عبدا له، وحقا منه، كل شيء هالك إلا وجهه، في الإنسان للإنسان بالإنسان، من الإنسان إلى الإنسان، كسب به كائن الإنسان وجوده، وحقق كائن الإنسان له من فضله شهوده، فعرف بوجوده موجد وموجوده، علما على من أوجد فتواجد، وخلق فسوى، له الأسماء الحسنى، قائما على كل نفس، لا يفارق إن كسبته، ولا يفنى إن فارقت، من وراء كل نفس بإحاطته، ألهمها فجورها وتقواها بحكمته، وأقامها فيما فيه قامت بقدرته، فتنها بعزته، وأحيها بمنته، لا وجود بحق إلا له، ولا شهود لحق إلا به، ولا قيام لحق إلا منه، ولا علم بحق إلا فيه. الإنسان مظهره، والإنسان كتابه وخبره. الإنسان عارفه ومعروفه، واصفه وموصوفه، قائمه وغيبه، أبده وأزله، سرمدية وموجوده، لمن عرفه ربه فعناه، عرف نفسه عبده فتولاه، لا إله غيره ولا عابد ولا معبود سواه.

أشرقت الأرض بنور ربها بما أنزل على عبده من نوره وهو الحق منه من الحق به، فتلاقي حق الأرض وحق السماء فيه، جعل له نورا يمشي به في الناس، سيد الناس، ورب الناس، وسيد ولد آدم، وعبد الله، وروح الله، ونور الله، ووجه الله، والحق من الله لا ريب فيه، لا عوج له، يوم كتاب وحساب، وليلة قدر وحجاب، وآدم بدء جديد ذكر لأزلي إنسان وقديم ذكر. أهداه الغيب للشهادة حوض ورود، جعلت الساعة في محبته إلى ربه منتهاها، وجعلت القيامة في طاعته ووده يقوم ويتقلب في الساجدين، وجعلت الجنة في رحابه مزلفة للمتقين عبدا تدخله النفوس المطمئنة، وجعلت النار لمن قلاه وجانبه ولم يدخل في جنبه، بالقطيعة عن متابعة قائم معناه، مبرزة للغاوين في النفوس والتوائها، جعل بعثه بين الناس بقائه بدءا لهم، وذكر للساعة بينهم، وعلمها لها وعلمها عليها، وجعل قيامه فيمن يبعث به، ويقوم فيه بالسجود لربه، زحزحة عن النار، وإدخالا للجنة، وفوزا

بالخلاص، يساقون إلى الجنة زمرا برحمته، ويسحبون إليها بالسلاسل بإرادته، فقيم يتكلم الناس عن رب الناس، وقيام رب الناس على الناس، وقد جاءهم رحمته، وبقي فيهم على دوام منهم وجهه، به أجب نداءهم إذا نادوه، وبالحق حققهم، وعبدتهم به ربهم يشهدوه وبربه به يقوموه؟

يتحدثون في هذا الزمان وفي هذه الأيام وفي هذه الآونة، كما تحدثوا قديما وكما سوف يتحدثون، في قيامهم في قانون الغفلة عنه، بدوام أهل الغفلة بهم كدوام أهل اليقظة بينهم، يتحدثون عما يسمونه القيامة، يزجون الناس ويزجون أنفسهم بأوهام لا أساس ولا سند لها من الدين أو العلم، يتحدثون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، فرحوا بما أوتوا من علم عن حركات الأفلاك، علما لا ينفع ولا يضر، اللهم إلا إذا زاد من إيمان المؤمن، أو أيقظ في الله الغافل، ورد إلى الله الشارد، وإلا كان ضرره أكبر من نفعه.. فهو علم على ما يعلم علماء الفلك عن حركة مادة الأفلاك دون الاتصال بأهلها علم ناقص. فإذا نسبت القدسية لأجرام الأفلاك وحركاتها فعقيدة فاسدة منحرفة لنفوس منزلة. أي قيامة يعني هؤلاء المرجفون؟ وأي ساعة يعني هؤلاء المنحرفون؟ وكم فعلوا مثل ذلك في تاريخ البشرية وانحسر الأمر عن خطئهم. إن الساعة قائمة يكاد الله يخفيها، فهي ليست خافية على لبيب، وليست خافية على مؤمن، وليست مباعدة من تقي. فالقائم على كل نفس بما كسبت، وهو قائم ما فارق، وفي سفور قيامه بكشف الغطاء القيامة وساعة السلامة، وفي الغفلة عنه بدوام الغطاء حتى الموت ساعة الندامة.

الساعة في لحظة اليقظة لقيومه، من قائمه، في نفس الإنسان في قيامه. إن الله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، لكل منكم ساعة، ولكل منكم قيامة، وإنها لقائمة، من مات فقد قامت قيامته، موتوا قبل أن تموتوا، ولكل أجل كتاب. إن عبارات القرآن، كتابا يتلى، وحروفا تتراص، وكلمات تستنطق، وسور تحفظ، وكتابا يطبع، أمر لا خير فيه ولا غناء به إن لم يتأمل ما فيها مما يعبر عن مشاهد الروح، وما فيها مما يعبر عن حكمة تطورات موجود المادة ومعانيها. فالذين يجادلون في الكتاب بغير علم، ولا هدى، وبلا استنارة بنور روح الكتاب مفاضة من عترة الكتاب لهم بينهم، لأنهم لا يقومون بصفاء قلوب طاهرة، وبلا تقوى عقول ذاكرة، ولا بحياة نفوس متطهرة، إنما يحرفون الكلم عن مواضعه، ويتبعون ما تشابه منه ويرجفون بالظنون، لا علم لهم بها يجسدون معروف الروح وخطابها مع مشهود المادة وقيامها، فيخلطون بين الأمرين، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، لم يمسه ولم يمسه، ولم يقوموه ولم يقيمهم، حروفا أو كلمات، أو سورا أو آيات، فيأخذون بما خوطبت به الروح ليخاطبوا به الجسد، ويأخذون ما خوطب به أهل الجسد ليجعلوه لعالم الروح، لأنهم لا يعرفون رسول الله، وهو يعرفهم، وهو لا يبجلهم، ولكنه في رفق أدبهم، وفي غيب

عن شهودهم بطش بهم ليرحمهم، فما برحمة ذكروه، ولا بقدره الله به عرفوه، ولا بحب تابعوه، ولا بصفاء تأملوه. لقد كان رسول الله كل شيء لحياتهم، وكل الوجود لمعانهم، وكل الرحمة لنفوسهم، وكل الكتاب لعقولهم، وكل النور لقلوبهم، وكان ماء الحياة لأرضهم، أمطرهم فما استقبلوه، وسرى فيهم فما بعثوه، وأحيا نفوسهم ليحيوا بدورهم به قلوبهم فأماتوها وقبروها، ونفوسهم دسوها، وما في قلوبهم بعثوها وأحيوها فشهدوها، ولكنهم أماتوها ثانية، فقبروها المرة بعد المرة.

أي قيامة يذكرون، والقيامة قائمة في قيامهم! من ولد فقد قام، ومن مات فقد قام، الله أقرب إليهم من حبل الوريد كيفما قاموا، ومعهم أينما كانوا، ترد أعمالهم إليهم من الحق بهم كلها أقامهم بعيدا عن قيام به عملوا فيه جنودا لشياطين أنفسهم، بأعمالهم ترد إليهم، فتؤزهم أزا، يهلكون بقيام أعمالهم عليهم، وإن من قرية إلا هو مهلكها قبل يوم القيامة أو معذبها عذابا شديدا. فما تكون القيامة؟ إنما هي برد الأعمال على أهلها، أي غير حال لوبال يحل بالمترفين، ومجيء يوم ينصف بعدل فيه الكادحون سواء كان ذلك على الأرض أو في السماء بأحداث الأرض أو بأحداث السماء؟ وفي السماء رزقكم وما توعدون، وفي الأرض كما بدأنا أول خلق نعيده، وتلك الأيام نداؤها بين الناس. أ تكون القيامة في هلاك القرية بماديات مبانيها، وماديات ساكنيها! قد يكون! أم أن هلاك القرية إنما هو في قيام أعمال أهلها عليهم، وقيام حسابهم، ورد عملهم إليهم بتداول الأيام بين الناس يهلكهم الله بمترفيهم حي معانهم فيهم لأنهم ما عرفوا الله، وما دخلوا في حصن وحدانيته، ما دخلوا في حصن لا إله إلا الله، وقد كانوا في حصن لا إله إلا الله، بقيوم الله عليهم قائمين على الناس، فبرحمة الله لم يقوموا، وقاموا بطغيان أنفسهم، فجانبوا حصن لا إله إلا الله فيه يتآخون غنيهم وفقيرهم، سيدهم ومسودهم، أخرجوا أنفسهم من حصنهم بأعمالهم فأصبحت أعمالهم كسراب ببيعة، وجدوا الله عندهم فقدوه، ووجدهم عبدوا أنفسهم لما صنعوا، ثم هو ربا عليهم أنكروه، وإلى ربهم ما نسبوه فرحموه فأدركوه بل إلى أنفسهم نسبوه فكفروه، وعلى كفر به لاقوه. فهذه قيامة الأعمال على أصحابها، المقتضية الهلاك في إهلاكها لمصدرها، وكما أهلك الله من قبل أمة محمد، وكما أحيا الله من قبل أمة محمد. إن الله من بعد بعث محمد أقام به أمته، أمة محمودة الآثار، قائمة بالتذكير والأذكار، تؤمن به ربه وتعرفه كتابه، أقرب إلى كل نفس من حبل الوريد، جعلها أمة وسطا، يقوم عليها قيومها من القديم رفقا أعلى خلف رسوله عليها، وتقوم به قيومة على أبنائها من الجديد حقا مقاربا مدانيا، على حق أبدي متجدد في الناس لا ينقطع ولا يغيب. لقد أشرق الأرض بمحمد بنور ربها، ووضع الكتاب، وحيء بالنبين والشهداء وقضي بينهم، أولئك النبيون رفعنا بعضهم فوق بعض درجات، منهم من كلم الله، ومنهم من شهد، ومنهم من قامه خليفة عنه ووجهها له، ثم جاء بمحمد عبدا له قديما فيه لكل إمام رسول أمن لمن طلب الأمن مع الله، ورسول سلام لمن دخل في سلام مع الله، قدر الله حق قدره، ووصف نفسه

عبده، وحقق الله فيه للعبد وعده، كان يده ولسانه، كان قوله وجنانه، كان قدرته وعنوانه، كان عزته وتعالیه، كان رحمته وتدانيه، كان فيه دوام وجود العبد، عنوانا لدوام تواجد الرب في سرمدي وجود الله كتابا مبينا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ظاهرا بوجوده، معروفا في وحدة شهوده.

فما الأجرام والكواكب إلا دور عباده من أهل رشاده ملكا موهوبا، وعطاءً غير ممنون، جعل العمل وسيلة كسبه، وداول الأيام بين الناس على أساس من فعلهم فظهر فعله في سائر عوالمه.

أشرقت الأرض بمحمد حيا في قبره حقيقة الحجيح له، وحقيقة الطواف به بالطواف بيته لمن عرف بيته إذا عرف بالدين بيته، معروفا بشرعته، مرشدا إليه بسنته، قائما بحقيقته، جديدا للجديد من الناس بجدهم بجده، قديما للقديم من الناس بحقيقتهم لحقيقته، كعبة مدانية بذاته، متجددة في التواجد بذواته، تتصاعد لبنات للمرفوع من البيت، لا يغيب أبدا لها ظهور قرين ظهور الله، لا يفتقد أبدا عبده ورسوله قدوة للناس بدوام رحمة الله تتجدد مع تواجد الناس، وتغيب مرفوعة مع غيابهم ورفعهم، بغيابه لا قدوة لهم، وبغير جديده لا حياة لهم، وبغير حقه وحقيقته لا تحقق لهم، وبغير إمداده لا امتداد لهم، جذوة الحياة في قديمها، وفروع الحياة في جديدها، والشجرة الطيبة للحياة في قائمها، أما غيره من قلاته فالأبتر، والشجرة الخبيثة تجتث فما لها من قرار بمظهر، وأما عينه في بستان الحياة فالشجرة الطيبة والكلمة الطيبة أسوة للناس، أصلها ثابت يعرفه أهل طلبة، فإذا عرفوه أحبوه وعرفوا كيف يتحمل عنهم ويؤثرهم على نفسه، عرفوا كيف هو لهم بجديده وتجدده شمعة تضيء وتحترق، يهتدي الناس بنورها ويستدفئون بنارها، فتصبح نور عقولهم ونار أنفسهم، ويتأملون بها لهم قدوة، وفيها لهم أسوة ليقندي الناس بوجودها هيكلًا ونصبا في حركاتهم وتنقلاتهم بفيضها، فيدركون أن رحمة الله بها لهم بما فعلت لنفسها قدوة، وبما فعلت لهم بنفسها أسوة، وأن ذلك من الله لهم لا ينقطع أبدا، إذ لم يجعله ربه في الناس أبترا، وجعله للناس كوثرًا بالنور يمشي في ظلام نفوسهم، وجعل سيف الله في يده، يقتل باسم الله من عشقه وعشق الله ليعثه بنور الله به فيحييه، صلى لربه ونحر، ورببه في الناس ذكّر فذكر، أعان من طلب الموت لنفسه والبعث به لربه، على تحقيق مراده، فأماته وبعثه، ثم في الأرض قبره وبنفسه جددته فنشره، جديد كل تقي، ومعراج كل علي، وطريق كل ولي، وذكر كل صديق، وآدم كل نفس، وروح كل حي، ونور كل مستقيم، وكتاب كل عليم.

فكيف ذكر الناس محمدا؟ كيف ذكر الناس رسول الله؟ كيف قدر الناس عبد الله؟ جعل الله في تقديره عبدا له وربا لهم تقديرا لله ربا له. إذا برزت في تقديره عظمته عبدا عرفت وقدرت لله كبرياؤه وعظمته ربا. إذا عرف للناس علوه وتعالیه تعالي الله عندهم في معانيه، وإذا عرفت للناس

معاني رحمة الله فيه تذكروا لله قربهم وتدانيه، وكان الله أقرب إليهم منه في إدراك قربهم منهم، قريبا من الناس فيهم ما غلبه على القرب منهم غير ربه بروح الحياة فيهم.

إن العبودية لله بقيامها بين الناس مشهودة لا ريب فيها، ليلة قدر لا عوج لها ولا ريب فيها رسول رحمة يجيب الناس نداءه إجابة لنداء الله. هذه هي العبودية، فيها قيام حضرته، ودنو جنته، وكشف ناره، وعلم ساعته، وأهل داره، وأبواب ساحته، وحقي مزاره. إنها علم القيامة، ترهص لظهورها الطبيعة، على ما ذكر الناس لما أدركوا بوصف المتأملين، أو على ما يذكر الناس بوصف المنحرفين عن منتظر. والحياة مليئة بالإرهاص لسفور قائم عبوديته، مجحودة في قدوة وأسوة في دوام موجوده، وفيما لم يعلقوا عليه أهمية من أحداث زمانهم مما رأوه تافها في أمر قيامهم، ما هو أخطر مما هو في السموات من ظواهر إذا عرفنا معاني الدلالة عليه بمعرفة حكمة الله في الأشياء. ألم يتصدع بيت قبلتهم تنبئها لانحراف قلوبهم ووجهتهم؟ ألم تسير الجبال لهم في بلاد الطليان؟ ألم يغمر ماء البحيرة في بلاد الإنجليز، كما غار ماء بحيرة ساوه كما يذكرون؟ ألم يزلزلوا زلزلا شديدا في أورليانز وأغادير من المغرب وغيرها في إيطاليا واليونان؟ ألم ترسل عليهم الأعاصير في أوربا وأمريكا؟ ألم يشدهم ما كان من التيارات المائية على سواحلهم؟ ألم يلفت أنظارهم وباء الفيضانات في الشرق والغرب؟ ألم تلفت نظرهم الأرض وهي تمور في التبت والصين؟ ألم يقرنوا بين إنذارات الطبيعة مصحوبة بلطف ربها وفعل أنفسهم في هيروشيما وناجازاكي وقد وضعت كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، يفر المرء من أخيه ومن صاحبه وبنيه وعشيرته التي تؤويه، يخربون بيوتهم بأيديهم من دنياهم؟ ألم يتحدث الحديد إليهم؟ ألم تتشابه الخشب المسندة من الناس يعجبك قولهم بالخشب المسندة من المادة، تطربك بأنغامها، وتشغلك بأحلامها؟ ألم يظنوا قدرتهم عليها بالعقل الحاسب، والإنسان الآلي، والضوء المتصور، والظلام المتحرك؟ ألم يسابقوا الضوء والصوت في انتقالاتهم؟ ألم ترتبط أبعاد الأرض لهم في محادثاتهم؟ ألم تكشف لهم الطبيعة عما طبعها عليه طابعها، وترجم عما جعل في طبيعتهم؟ ألم يكشف لهم بالحكي كيف يتكلمون، خلق لهم لسانا وشفتين ففعله يحاكون، وكشف لهم لما ذكر اللسان والشفتين في كتاب إحاطته؟ ألم يكشف لهم عن سر بنانهم بنانا سواء بين جديد الإنسان وقديم معناه في الكشوف الروحية، فكشف لهم ما إليه أشار بعلم البنان بعلم تحقيق الشخصية، وأعجز في جزء من سطح جلد الإنسان لا يتشابه فيه إنسان مع إنسان قدرة الله ذكرها كتاب البيان؟ ألم يكشف لهم بعلوم التشريح أسرار جلودهم ووظيفتها في الإحساس في قوله: كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليزدوقوا العذاب؟ ألم يكشف لهم عن صورة الفلك فيهم بالغدد الصماء ومواضعها من عالم قيامهم ووظائفها لأجسادهم؟ ألم يكشف لهم السلبي والاسلبي من الاتصال في ذواتهم بما يكشفه لهم في وجودهم وعالمهم بالجهاز العصبي وجهاز العقل فيهم؟ ألم

يكشف لهم أنهم والطبيعة سواء؟ ألم يكشف لهم أن القوانين السارية في الطبيعة إنما هي سارية أيضا على طبائعهم من الوجود؟ وأن ما فوق الطبيعة مما لا يدركون ما زال في أنفسهم فوق الطبيعة مما يجهلون وفوق ما يدركون؟ ألكل هذا يشهدون وهو قليل من كثير مما أصبحوا يعرفون، وما زالوا لآية منه في الآفاق وفي أنفسهم ينتظرون، ومعاني الحق في ذواتهم وفي أنفسهم وفي عقولهم يستبطنون أو يستعجلون أو ينكرون، وفي قلوبهم لا يذكرون ولا يتبصرون؟ أأرحام تدفع وأرض تبلع يتصورون كما قال آباؤهم الأولون مادية التاريخ، ومادية الوجود ومادية الشهود، ومادية العلم، ومادية القيادة، ومادية السيادة، ومادية السياسة، ومادية الكياسة؟ لا يعرفون إلا مادي وجودهم ومادي شهودهم. شياطين وجودهم يحافون الرحمن بين جوانحهم قابع. ويتجاهلون الغيب كلهم إليه راجع. ولا ينظرون في مشكاة صدورهم لنور الحياة. يعمهون الله فيهم ملكوته وفي سرج قلوبهم جبروته، ثم يقولون بأنهم أمم متقدمة وغيرهم أمم متخلفة، وما تخلف المتخلفون إلا عن مادي وجودهم دون إيمانهم بقُدسية إنسانيتهم، وما تقدم هؤلاء المتقدمون إلا بوجه اتصافهم بالمتقدمين، إلا بمادي شهودهم، ولا روح ولا وجود لهم، إلا من رحم. فالوجود لله هو الوجود للروح، والوجود للنور، والشهود للحق، والقيام بالحق بما يحفظ من العدم في وهم قيام جلايب الحق بالمادة بصفات الخلق للأنا من الإنسان. فالحق قيام على هذه الجلايب، مدثر بها، قام فأنذر والرجز فهجر، وربّه فكبر، والله في الوجود ذكر. فما عُرِفَ الحق وهو عين الحق لهم، وما عرفت به القيامة وما كان إلا بداية الحشر لقديمهم والبعث لآبائهم فيهم وفي أبنائهم، لتكون رسالته للحق قياما، وبالعلم عن الله في العلم عن النفس كتابا، يتجمع عليه الناس فيحشرهم للرحمن وفدا هو يد الله مع الجماعة، ونعمة الله للفرد ما تابعه، يحيي به الناس، خادما لهم، لا سيدا عليهم.. لا ولا مسودا منهم، السيادة فيه لله، والرحمة منه من أحواض رحمة الله، والخدمة صادرة عنه من كرم الله وجود الله، وتواضع الله، وتداني الله لخلق الله، قياما لعباد الله الله. أفبعد هذا كله وقد جاء به الإسلام، وتجدد به في الإسلام عُمْد، وقامت بالإسلام كلمات، وظهرت للناس بالكلمات آيات، يطلبون قيامة؟! وهم ما طلبوا لأنفسهم بالإسلام السلام، ولو طلبوا بالإسلام السلام لسلوا، فعرفوا معنى القيامة فقاموا، ولكانوا برازخ لما وراءهم من آبائهم، ولما يصدر عنهم من أبنائهم، بروح الآباء يبعثون بعثا لهم، ويذا لله يبعثها منهم في أبنائهم منهم، فكانوا الشهداء على الناس من أنفسهم، الرسول عليهم شهيد بنفسه فيهم، بهم يصلح من صلح لصلاحهم من الآباء ومن صلح لصلاحهم من الأزواج والأبناء، بيوتا لله ترفع يذكر فيها اسمه على سنن مما أشهدهم من بيت الله وضع، ما عرفه الناس، وما طافوه، وما ذكروه، وما حجوه، وما اعتمروه وما في صلاة لصلوة بالله استقبلوه، ولكن في تجسيد للمادة وتضييع لمعاني الروح وثنوه، فكان لهم وثنا عبدوه، وما كان لهم الرسول به سكا اعتمروه. عاد الإسلام غريبا كما بدأ على من شهدوه وأنكروه فقهرهم فاتبعوه. عاد

الناس يعتزون بما كان عليه آبائهم وأجدادهم غير راشدين، ولا بتنزيل حافلين، وعن كل قيام بالحق غافلين.

هذا ما آل إليه الأمر، وهذا ما نحن فيه، تتحرك الدنيا للخرافات، وتقوض بعملها حقها في تأمل الآيات، لا تذكر ما فات، ولا ترجو ما هو آت، ولا تصدق في حركات لها أو سككات، تتابع المحرفين، وتجعل من الكاذبين نبين، وتجافي الصادقين، وتخاصم المتقين، وتهاجم المصلحين، وتتكر على العارفين، وتجحد الحق من الله رب العالمين، قائما على كل نفس بما كسبت، وكل نفس بما كسبت فيه رهينة. وها هي السماء تجدد الدين على يقين بلغته، وأقامته مرة أخرى لليقظين.

ها نحن نسأل الله أن يخرجنا من الضالين، وأن يدخلنا في المهتدين، وأن يزج بنفوسنا في عباده المقربين، وأن يدخلنا فيهم ساحة حقه، وحصن وحدانيته، ومن أنفسنا دار اليقين، بهم نشهد أنه لا إله إلا الله، وبهم نقوم محمدا رسول الله.

اللهم قنا شرور أنفسنا وشرور أشرار الخلق، اللهم ادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم، اللهم اجعل كيد الكائدين في نحورهم، واجعل اللهم هذا البلد آمنا. إنها كانتك في أرضك، من أرادها بسوء قصمته، وكم أريدت بسوء فقصمت مريدها به المرة بعد المرة، والكرة بعد الكرة. اللهم لا تحرمها ما وصفها به رسولك، وما وصفتها به في كتابك ربوة ذات قرار ومعين. اللهم اجعل منها للناس بالحق شهادة، واجعل من الحق بها للناس قيادة، وارزق الناس بها الرشاد كما فعلت بها في قديم. اللهم أذهب الرجس عنها، وعن أهلها، وأعل في الناس قيامها وبيتها، وأشعل مصابيحها، وارفع أعلامها، وثبت أوتادها، ووثق قيادها، وانشر رحمتها، واملأ حوضها، واجعل منها لك ساحة رحمة وكتاب علم، ونور قياد، وصفاء هدى ورشاد. لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين. أغطش اللهم ليلنا وأخرج ضحانا، وأقنا بمعناك لمعاننا، وداننا وأظهر الحق منا، داننا وقاربنا وأنت منا قريب، لأقرب من هذا رشدا، ولأكبر من هذا مددا، ولأكثر من هذا عددا. اللهم ألف بين قلوبنا فلا يؤلف بين القلوب إلا أنت، وأشعل مصابيح قلوبنا فلا يشعل المصابيح إلا أنت، وحرر أرواحنا فلا يعتق من القيود إلا أنت، وأطلق في وجودك عقولنا فلا يعلم الرشاد إلا أنت.

الله هيئ لنا من لدنك رحمة، وعلمنا من لدنك علما. اللهم عرفنا بعبدك ورسولك على ما يليق به وعلى ما يليق بك، وابعثنا به على ما أراد برحمته، وعلى ما أردت بحكمتك، واجعل اللهم وجودنا من وجودك، علما عليكما، وكتابا ينشر في الوجود بكما.

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله.

أضواء على الطريق

:١

• {يوم ندعو كل أناس بإمامهم} ^١ {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا} ^٢ هو {الرحمن فاسأل به خبيراً} ^٣ {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا} ^٤ {إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون} ^٥ قرآن كريم.

• (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال) ^٦. حديث شريف

• (الروح المرشد أقرب للمسترشدين من الرائد المتابع. والرائد المتابع أقرب منهم إلى الروح المرشد. الرائد المتابع قبلة صلاتهم وإمام سيرهم، والروح المرشد غاية قيامهم، وروح حياتهم. مع الرائد يتوحدون وبه في الروح يقومون.) الفقراء

:٢

• من هدي الروح المرشد (برش): (لا يمكنني أن أحل مشاكلكم. لو أخبرتكم بما تعملونه لتدخل ذلك مع إرادتكم المطلقة. إن ^٧ الطريقة التي تصرفون بها مشاكلكم هي التي تحدد لسيرتكم إلى التقدم. أنتم تزكون الروح بما يمر عليها من أزمات. قد أتناول إذا كان في الأمر قاعدة جد حيوية إذا كان عملي خلال وسيطي سوف يضطرب. عندئذ أتناول كيما يظل الطريق جدا، ولكن عندما تؤثر المشاكل على تطور وسيطي وحده فهي مسئوليته الخاصة، ويجب أن يحلها لنفسه. الحق يسير إلى الأمام، وقوى الظلام والجهل والأحاجي والكهانة تتقهقر. إن النصر في جانب الروح التي تشتد قواها وتفتح أماكن كان فتحها يعتبر مستحيلا. تلك هي الرسالة العظيمة التي نكرها).

مصادر التوثيق والتحقيق

- | | |
|---|--|
| ١ | سورة الإسراء - ٧١ |
| ٢ | سورة النحل - ١٢٠ |
| ٣ | سورة الفرقان - ٥٩. |
| ٤ | سورة سبأ - ٤٦ |
| ٥ | سورة يوسف - ٨٧ |
| ٦ | حديث شريف: (المرء على دين خليله فلينظر أحكم من يخال). أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي. |
| ٧ | |

(٣)

الله وراء دين الرحمن بعلمه وعزته والله وراء دين الشيطان بحلمه وحكمته فما يكون الصلاح وكيف يكون الإصلاح؟

حديث الجمعة

٤ رمضان ١٣٨١ هـ - ٩ فبراير ١٩٦٢ م

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً مثل لنا عبده ورسوله. أشهد أن لا إله إلا الله، حصنه القديم، وخلقه الجديد، ووعدته على بدء يعيد. أشهد أن لا إله إلا الله، إحاطة الإنسان بالإنسان، في الإنسان، للإنسان، علماً على ما يحيطه به من الله عبداً له. أشهد أن لا إله إلا الله من أرسل، وأشهد أن لا إله إلا الله من أرسل، وأشهد أن لا إله إلا الله، من أرسل إليه عند كل من سمعها فلباها، ولي نداء الله فيها بمعناها ومغناها.

إذا لم يقيم الدين على أساس من الواقع، وعلى أساس من الإدراك، وعلى أساس من الحس، وعلى أساس من الوعي، وعلى أساس من الرضا، وعلى أساس من القبول والاستزادة، فليس هناك قيام للدين. إن الدين إنما هو في معرفة الإنسان عن نفسه، عن قديمه، عن قائمه، عن قادمه، عن مستقبله، عن أمره في الوجود، أمراً ومأموراً ومحلاً لقيام الأمر، ولتلبية الأمر، ولحمل الأمر من الأمر إلى المأمور. إن الإنسان في ذاته من ظاهره، وإن الإنسان في معناه من باطنه، وإن الإنسان في علمه عما علم من معلومه، وفي علمه عما لم يعلم، وفي علمه عن عجزه عن العلم بمطلوب، أو مغفل عنده ليعلمه.. إن الإنسان في تشريحه من أمر رأسه بين كتفيه كيف تنتصب، ومن أمر صدره وما بين جنبه كيف يشعل، ومن أمر ضفيرته الشمسية، وما تحت الحجاب الحاجز، وكيف يعمل وينشط، ومن أمر أطراف أسفله، وكيف يحمل ويتحرك، أو أطراف أعلاه وكيف يتعامل، وجوارحه برأسه من لسان وشفيتين، من أنف وأذنين، من جهاز وعي وعينين، وكيف تتألف وتتعاون.. إن الإنسان بتكوينه هذا من ماديته من وحدات وأبعاد في ذات ونفس واحد، أبعاد جمعتها وحدته وشملت ذاتها، تمثلت بها وحدانيته في أحديته، كما مثلت فيه الأبعاد صفاته. فالإنسان من حيث ظاهره على ما هو

ظاهر، إنما هو واحد وأجزاء الواحد. والإنسان على ما هو ظاهر يعنون ما هو معناه من حقائق.. من حقائق الزمن بقديمه من الآباء، وبحاضره من الأحدية، وبقابله من مفردات في وحدة من بيت وأسرة، ومن حقائق المعاني بمعلومه ومجهوله وما يصدر عنه. إن الإنسان في فردة هو عين الإنسان في جمعه، ما تجمعت مفرداته تكون منها جسد واحد لذات واحد هي آدم الذي هو ذات الإنسان، وتكون منها روح واحد هو روح الله هو روح الرحمن، وتكون منها نفس واحد مصدرا للقدرة والطاقة، ومصدرا للعلم والمعرفة بمحصلة وحدته وحدة من وحدات الوجود للموجود هو من ورائها محيط، وبها على كل شيء قائم.

إن الإنسان يمثل الحقيقة الكبرى للوجود، بفردته وجمعه. إنه بجمعه، وإنه بمفرداته، مظهر الحياة في كلياتها، يمثل الوجود في شهوده وفي قيامه وفي غيبه. يتكلم الناس عن الإصلاح وعن الصلاح، وهم فيما يتكلمون فيه إنما يتكلمون عن ألوانهم، إنما يتكلمون عما هو قائم في معانيهم من أنفسهم، وما هم إلا ألوان لحق واحد ولصلاح واحد ولاصطلاح واحد ولإصلاح واحد. إن بداية الصلاح وبداية الإصلاح، إنما هي في أن يبدأ الناس أن يعرفوا أن ما يقوم فيهم وما يقوم في غيرهم، أيا ما كانوا، إنما هو أمر واحد، يجب أن يتجمع وأن يتناثر لهدف وغاية، وإن بدت ألوانه مختلفة أو متضاربة. فالقائم على كل نفس هو حق واحد. والذي من وراء الكل محيط إنما هو قيام واحد. والذي يقوم به الوجود هو أمر واحد. وإن هذا التلون في المفردات، وهذا التصنيف في الآيات، وهذا الذي يبدو متعارضا في اجتماعه ومتناقضا في إبداعه، إنما هو جمال الله، إنما هو جمال الحقيقة، إنما هو جمال الوجود، إنما هو جمال البستان، إنما هو جمال الزهور والورود، إنما هو جمال الحياة، إنما هو جمال الحركة، إنما هو جمال التناسق والتلون.

إن التنافر والتواد.. إن الخشية والحب.. إن الجزع والسكينة.. إن الهلع والهدوء.. إن الحركة والسكون.. إن الكفر والإيمان.. إن الطاعة والمعصية.. إن الإدبار والإقبال.. إن كل ذلك وما إليه، إنما هو عناصر الحياة تقوم في الفرد في المعركة الكبرى بين جوانحه، معركة الضمير والعقل.. معركة الحرية والذل.. معركة الضيق والسعة.. معركة الكبت والانطلاق.. في الفرد وفي الجماعة، في الجماعات وفي الجنس، في الجنس وفي طبقات الجنس، ما يعلوه وما يسفله من طبقاته هو منها أو هي منه. كل ذلك إنما هو الحياة، وجمال الحياة. وما الحياة إلا ساحة الحي القيوم، ساحة المطلق، ساحة الوجود. وما الله إلا وجود الموجد لكل موجود يخرج من غيبه بما أوجد كل موجود فيه بما أوجد به. هذا هو الله عند كل موجود أدركه بما أوجد. الإنسان في حقيقة الله خالق ومخلوق، مخلوق لا ينتهي إبداع صانعه به وإبداع صانعه فيه، لا ينقطع وصفه عن صفة المخلوق فيه وصف الخالق أبدا وسرمدا كما

كان قديما وأزلا، ولا ينقطع وصفه بصفة الخالق وهو في صفة المخلوق أبدا إذ لا يتوقف فعل قديمه به أو فعله في جديده أبدا، ولا ينقطع عن الخلق والإبداع قائمه أبدا، وسيبقى كذلك خالقا ما كان في الله مخلوقا نسب نفسه الى ربه خالقا، وانتسب بمعناه إليه مخلوقا عرف ربه خالقا له ولما خلق، وعرف نفسه مخلوقا منه به هو الخالق. وبذلك عرف الإنسان معنى الحق لمبدعه كما عرف معنى الحق لنفسه، وشهد معنى الحق فيه لما خلق لأنه وإن كان منه مخلوقا، فسيكون منه فيه وعلى مثاله به ما يخلق، على ما خلق خالقه من خلقه وما خلق، فيعرف أنه في الله في طريق نمو، ورتقي، وتعال، وتدان، وانتشار، وحيوية في قيام وقيومية لا تتوقف أبدا.

إذا عرف الإنسان نفسه، وعرف في معرفة نفسه كتاب ربه عرف الإنسان صنعه، وعرف في صنعه عينه، وبذلك عرف الإنسان حقيقته ولقي حقه فقام الإنسان قيامته في معاني قيامه بمعناه، إنسانا لمولاه، ومولى به لصنعه، يرى حقية الله فيما قبله كما يرى حقية الله فيما بعده، فيعرف حقية الله فيه، ويدرك ويشهد حقية الله فيه فيدخل في حصن وحدانيته، فيشهد أنه لا إله إلا الله. فإذا شهد أنه لا إله إلا الله، وشهد لمعلمه أنه ما كان إلا لا إله إلا الله شهد أن محمدا رسول الله، فشهد الله بمحمد رسول الله يشهده لنفسه، وشهد محمدا رسول الله بشهادة لا إله إلا الله يشهده ربه، فيعرف أن الإنسان ما صلح كان كلمة لله وذكر الله وروحا لله قوامها الله ورسول الله، فعرف كيف أن أبعاد الواحد تقوم الواحد، وكيف أن الواحد يقوم أبعاضه بوجوهه وأسمائه وصفاته، وبذلك يعرف الدين، ويقوم الدين، ويصير هو الدين، فيظهره على الدين كله دين الشيطان ودين الرحمن، لا يجزع من دين الشيطان وأهله، ولا يتعالى بدين الرحمن وأهله، فالله من وراء الكل محيط. هدى الناس وهدى الإنسان.. هداه السبيل إما شاكرا وإما كفورا، فيحمد الله إن كان من المؤمنين، ولا يئأس من رحمة الله إن رآه من الضالين، فيعلم ويطلب من يجمع المتناجين ثلاثة كانوا أو أقلين أو أكثرين، متآلفين أو متنافرين. استغفر الله لي ولكم، وأحمد الله لي ولكم، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله لي ولكم.

اللهم إنا إليك نجأ وبك نستعين، اللهم فاكشف عنا حجب الغفلة، اللهم خذ بنواصينا لطريق الحق، اللهم خذ بنواصينا في سبيل النجاة والسلامة. اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا. اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا. اللهم ارفع عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم. اللهم ارحمنا برسول رحمتك، واغفر لنا وتب علينا بجاهه عندك، وألف اللهم بين قلوبنا بنوره، ولا تتركنا لأنفسنا طرفة عين ولا أدنى من ذلك بعيدا عنه، وعافنا من إقامة عدلك فينا

بوصلته، وعاملنا بعفوك ورحمتك بنعمته. اللهم تولنا برحمتك حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، مجاهدين ومتابعين، يقظين وغافلين. اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، والسلام والسلام على أرضنا.

أضواء على الطريق

(ما يجب عليكم محاولة تعلمه هو أن كرم الروح الأعظم يجب أن يوزع بين الناس بالقسطاس المستقيم. عندكم أناس ليس لديهم من الزاد ما يسد الرمق، وعندكم آخرون لديهم من الطعام ما يتخمهم. هذا خطأ بالطبع، عليكم أن توزعوا ما عندكم من أرزاق على من لديكم من الناس، أليس هذا أمرا يسيرا!)

(٤)

السبيل

بمحمد بصيرة ميسرة

وبحقيقته قيامة مقدرة

حديث الجمعة

١١ رمضان ١٣٨١ هـ - ١٦ فبراير ١٩٦٢ م

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأستعين باسم الله الرحمن الرحيم. قال روح الإحاطة في كتابه الكريم {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}¹. كما أمر رسوله أن يقول {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}². كما ورد بنطقه الكريم بالكتاب من ذات معناه {إن ربي على صراط مستقيم}³، فقال له من لم يكن هو غيره {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم}⁴. قل هذه سبيلي سقط الفرق بيني وبينك.

هذه العبارات توجهنا لأن نفكر ما هي السبيل إلى الله؟ وما هي المجاهدة في الله؟ فالناس يرددون دائماً لفظ الطريق إلى الله، ويقولون - بحق وبغير حق - إنهم يدعون إلى الله، وإنهم يأمرون بمعروف وينهون عن منكر، وما تحدثت في أنفسهم معاني لمعروف ولا معالم لمنكر. وما تحدثت في نفوسهم معاني المجاهدة في الله وممرها ومغزاها، وبدؤها وانتهائها. وما تحدثت أيضاً في معارفهم معاني السبيل لله، أو السبيل إلى الله، أو السبيل من الله. وما تحدث في وعيهم معرفة عن الله الذي يكون له الولاء وإليه المصير وإليه المسير، ولا عن أنفسهم ما تكون في قيامها، وفي ماضيها، وما ترجو لقبالها، وما هي في الله، وما كانت من قبل في الله، وما تكون من بعد في الله. كل هذه قضايا يثيرها وعينا لقوله {والذين جاهدوا فينا}⁵، وما يعد الذين جاهدوا فيه بقوله {لنهدينهم سبلنا}⁶. الذين جاهدوا في الله يهديهم الله إلى سبيله، وإن صدقوا يهديهم الله سبيله، يهديهم الله إلى من جعلهم الله منه إلى الناس سبيل الحق إلى الناس، إذ جعلهم الله منه بباطنهم إلى الناس سبيلاً للناس من الناس بظواهرهم، فكانوا سبيلاً لله من الله إلى الناس، وسبيلاً للناس من الناس إلى الله. وبذلك كانت السبيل هم الناس رحمة من الله يميّتهم عنهم، ويبعثهم به فيبعث بهم الحق منه في قيامهم في أنفسهم، يهديهم الله باصطفائه سبيله،

ويغير ما بهم فيجعلهم في أحسن تقويم مثالية مرتضاة للناس، قدوة وأسوة على ما هم من الناس ليكونوا رحمة الله للناس، وأحواض الحياة للناس، وماء الحياة للناس، ومصاييح النور للناس، ويد نجاته للناس، وسفن خلاصه بين الناس يركبها الناس، رواسي الأرض أن تميد بالناس، جاؤوا ببعثهم بالحق ومثله من الله المدين له بالولاء ديناً، المتوجه إليه بالرجاء جهاداً، المرتبط به بالحياة استقامة، له المثل الأعلى من الناس للناس في السموات والأرض المرجو في وصلته للنجاة...

النجاة من أي شيء؟

النجاة من أنانية العزلة عنه والفرقة منه، بقيام الشرك به بأنانية النفس، وهو لا يقبل أن يشرك به، ويغفر ما دون الشرك به لمن يشاء. وكيف يضاف إليه موقوت النفس وهو الدائم! ومظلم الحس وهو المشرق! فلا بد من وسيط يحمل للناس بينهم معناهم، ويحمل للحق في حضرته معناه. ذلك هو الرسول بوجهه من الله إلى الناس، وبوجهه من الناس إلى الله. خلق مع الخلق، وحق مع الحق، باطنه مع الله حق، وظاهره مع الناس خلق. أمين الحق بباطنه، وأمين الخلق بظاهره، واجتماع الخلق بالحق بحضرته.

هذه صورة للسبيل تقوم من الحقيقة إلى الخليفة ببعث الخلائق بالحق، ومفارقتهم لصفات النفس من الخلق إلى وصفها من الحق نفساً للحق وبيتاً له، يعنونها بين الناس كلمات الله تترى من لدنه إلى عوالم خلقه في السموات أو في الأرض، يتابع الناس فيها أحواض الحياة بينهم على ما هدى الله وعلى ما هدى رسول الله. بها لزم الإمام منها وجهها لها. قيل للهادي فإن لم يكن؟ قال لهم الزم الجماعة، قيل له وإن لم تكن؟ قال لهم (عضوا ولو على جذع شجرة)^٧، لا تحيا منفرداً، ولا تجاهد شارداً، فالذئب يأكل من الغنم القاصية. لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه اعتقاده، وخلصه من نفسه. يد الله مع الجماعة ما تواد الناس وما تناجى الناس في الله على أمره. فما اجتمعوا على ذكر الله إلا كان رب الناس في رعايتهم، وفي تأليف قلوبهم، وفي كشف حجب الغفلة عنهم، وفي نصرتهم على أنفسهم {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}^٨. وما نصروا على أنفسهم إلا كان ملك الناس بينهم وإله الناس في قلوبهم.

إذا تجمع الناس على جذع شجرة من بينهم.. إذا تجمع الناس متوسمين الخير في رجل منهم، قدروا له بشجرة الجنس شهدوها في إمام بشريتهم لها صلة ما بصاحبهم كيف، وقد يكون صاحبهم صالحاً لكلمة الله تم لها في مجاهدتها قسط من المسير فالت نصيباً من الحق، وعرفت شيئاً من العلم، وقد تكون في طريقها لذلك، ولكنه في ظاهره بحاضره يقوم في مأمور التشريع وينتهي عن منهي الأمر، ويجاهد نفسه على ظاهر من أمره، ويتواد مع إخوانه من المسلمين ومن المؤمنين، يعطي ما عرف،

ويأخذ مما عرفوا، يتأملهم ويتأملوه، يتوحدهم ويتوحدوه، يتوحدهم ويتوحدوه، يندمج معهم ويندمجون معه على ذكر الله والنجوى فيه.. إن فعلوا ذلك أبرز الله فيهم به ومنهم - ما صدقوا - وجهها له وعبداء له يكشف الغطاء عنه، وينعكس بصره في بصيرته فيرى ما احتفظ به الرسول لنفسه، يرى من ليس كمثله شيء، يرى ما ينشد، يرى ما يطلب، يرى الله في حياته ومعاني الحياة، ويرى أن نوال الحق من الله في هذه الحياة مما تحقق له وما كان إلا باجتياز باب مماته كما فعل به، إذ بعث بجمعه وغاب عن نفسه وفرقه، اقتحم العقبة، مات عن نفسه، ماتت نفسه، فأمسكت يد الله نفسه أن تزول، وأحييتها بمن تعول، يدا دائمة لله، ووجهها له وعلمها عليه، فنى عن عنوان كل من عليها فان، وبقي بعنوان من ليس منها فهو بالحبة باق، وجهها لله، ومصباحا لنفسه فيمن يعول، في ظلمات الطريق يشهد به من يتابعه، ويسعد به من يجتمعه، وينجو به من يتوحد به.

هذه طريق من الخلق إلى الخالق بالحق في الخلق.. هذه سبيل من الحياة الدانية إلى محاكاة الحياة العلوية المتدانية.. هذه سبيل إلى الله يعنونها إنسان وجمع...

فالقول بأن الطريق أو السبيل يعنونها آت من الخالق إلى الخلق بروح أمين مرشد وجمعه وملئه وأتمته ودائرته وعالمه، فهذه رسالة الروح من الآباء يليها الأبناء من الخلق إلى الخالق بإمام وعبد ورسول وجمعه وصحبه ومتابعيه وأتمته ومحبيه، فهذه رسالة النبوة وأتمتها. فإذا تساءلنا ما هي الوحدة في الرسالة؟ وجدناها الوحدة في الإنسان، وجدناها الوحدة في الحياة، كلنا ذوو نفوس، ولكل منا أنانيته، فإذا يعني الله بقيامه على كل نفس بما كسبت؟ إن الله ينظر إلى قوم كفاتا وينظر إلى أقوام من قلوب آخرين. نعم إن الله قائم على كل نفس بقيام معاني كلماته لهم. فما هي وحدة الإنسان في كلماته بالكلمة منه؟ من يكون الباعث للكلمات والمقيم للآيات والمستقبل للخلق والأودام؟ إن الكلمة الواحدة في الله هي إنسانية كاملة في حقيقة الأمر. إن أرضكم هذه ومن عليها إنما تقوم بكلمة واحدة تأتي من الله رحمة للناس، وتفتح باب الرجاء لكل نفس على الأرض، كلمة بعد كلمة تتخذ من ظاهر الأودام منكم جلبابا لها هو لها دثار، من عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، هم أناها، وهي في معناهم معناها، إذا خاطبهم الجاهلون سالموهم ما خاصموهم، ولا مقتوهم، ولا عن السبيل ردوهم، ولا من اليتيم في الله حرموهم، ولا عن أحواض الحياة بهم منعوهم، ولا عن أبواب الرحمة فيهم نهروهم. إذا ما تجمع الناس بأنفسهم حول وجه الله بها وكلمته لهم بينهم توسموها عرفوا أن كلمة الله إليهم ما أسفرت لمن له أسفرت من بينهم إلا وهي عنده قيام جماعهم وساحة اجتماعهم، إلا وهي مائدة غذائهم وحوض ورودهم، إلا وهي سبيل سيرهم، وسفينة خلاصهم، وعلم عسكرهم، يوم يدعو الله كل أناس بإمامهم...

تترك المتخلفين، وتسرى بالمتابعين. تترك المتخلفين مُنْظَرِينَ مرجئين، غير يأسين ولا مبتورين، انتظارا لكلمة الله منهم تنشأ أو إليهم تعود من واسع رحمة الله بهم. فالكلمات على جانبي الحياة هي وصلات الحياة، ما كانت الحياة على الأرض، أو ما كانت الحياة في غيبها عنها في السموات.

لو أن الناس كانوا في قيامهم على إيمان مرضي بالله أو على إسلام حقي لله ما كانوا في حاجة لأن يجاهدوا في الله جهادا أكبر أو جهادا أصغر. إن الناس فقراء إلى الله، والله وحده هو الغني الحميد. والله وحده هو الذي يبدأ ويعيد. والله يقوم به القديم كما يقوم به الجديد. إن الناس يقومون في الله وبهم لهم يظهر الله. فما تكون المجاهدة؟ ولم تكون المجاهدة؟ أليسوا قائمين بالله؟ أليس الله قائم بهم وعلى كل نفس شهيد؟ أليس الله من وراءهم محيط؟ أليس الله أقرب إليهم من حبل الوريد؟ فقيم تكون المجاهدة؟ وهم بهذا الوصف ولكنهم في غفلة عن هذا، فدفع بعضهم ببعض ليلوهم في صدق إيمانهم، وليكشف لهم الغطاء بالاستشهاد في الجهاد الأصغر. إن الرسول يوم قال لقومه في عصره: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، فتساءل الناس وسأله - أهنك جهاد أكبر من أن يقدم الناس ذواتهم على مذبح الحق في ميدان القتال، تاركين خلفهم أزواجهم وأولادهم وأهلهم، مجاهدين في سبيل الله؟ قال نعم.. هذا جهاد صغير أن تجمع نفسك وأن تندمج مع جمعة فتوجه في غضبة في الله إلى ميدان القتال، ترجع إلى الله بشهادة مستشهد فيه أو ترجع إلى أهلك بغنيمة. إنها فترة قصيرة ووثبة جامحة. إنها لحظة في حياتك الأرضية بها تسعد وبالتخلف عنها تشقى، ولكنها فرصة نتاح يوم يؤمر الناس بالقتال في الله مع إمام صادق لهم، فهي فرصة عارضة وليست فرصة دائمة، وهي في الوقت نفسه لها جزاؤها على قدر عناؤها. أما الجهاد الأكبر فهو في أنك تثير معركة مسعرة تشب بين ظاهرك من المادة بهذا القيام وبين باطنك من الروح من الحق في هذا القيام من ذاك القيام، تحارب أنانيتك من الخلق لتتميتها في مجالها الجديد وفي معركتها الجديدة، وتنصر عليها روح الله وروح الحياة بمعناه، في معركة مشبوبة دائمة لا تغتر في نهارك ولا في ليلك. إنك على ما تموت في ميدان القتال كما تعرف بيد غيرك يعينك على الاستشهاد، يجب أن تموت في ميدان القتال بين أعضائك على ما عرفت بيد نفسك، فتدرك ما إليه تشرف - كما يدركه شهيد الميدان - في مجال الرحمن، روحا منطلقا في الله في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ينالها المستشهدون، ويتصدرهم بحق من جاهدوا في الله حق جهاده أنفسهم في ميدان الجهاد الأكبر، فيجزون الغرفة بما صبروا قبله للمستشهدين وقبله للمؤمنين.

الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا. إن الذين استشهدوا في ميدان الجهاد الأصغر، لا بل والذين استشهدوا في ميدان الجهاد الأكبر، إنما ينحصر العطاء والجزاء في أن يجمعهم قائد من الله على كلمة الله

في السموات أو في الأرض. إن الذين جاهدوا الجهاد الأكبر في الأرض يجمعهم الله ليكونوا مسحاء حقيقة له على كلمته في الأرض في زمانهم، وعلى عبد له بها في الأرض ما صدقوا طلب الله، وما صدقوا طلب الاجتماع على كلماته هدفا لهم، وغاية لأنفسهم وعقولهم، فهي منهم وهم منها. والذين جاهدوا مع كلمة الله في الأرض كتب عليهم القتال معها ما أدركوها وما عرفوها، إنما وعدهم الله أن يكونوا معها في مسراها فيعرفونها بحقها ومعناها في مآلهم في حياتهم من الروح بها. إن الذين عرفوا كلمة من كلمات الله على الأرض أو وجهها من وجوه كلمة الله عليها، فبمجاهدتهم واجتماعهم يتابعونها في معراجها إلى السماء، كما يتابعونها في امتدادها إلى الأرض ركبوا سفينة النجاة والسلامة. إن الجنة في جوارها، وإن حضرة الله في التوحد بها، وإن الحياة في تواجدتها، وإن النور في فيوضاتها، وإن السعادة في ارتضاءها، وإن وحدانية الله في وحدانيتها، والقيامة في القيام بعينها وجهها له.

إن الله هو من نتوجه إليه بالولاء، ومن نتوجه إليه بالعتقاد، ومن نتوجه إليه بالاستعانة، في أمرنا من أمره نتوجه إليه بتنزيهه عنا وتنزيهه عن وجودنا بغيره. شرفنا في الولاء له، وإيماننا في العرفان به، لا حدود له، لا غياب له، لا اجتماع عليه، فالاجتماع عليه قائم بروح الحياة فينا، فكيف نزعنا أننا لسنا مجتمعين عليه وهو روح الحياة لنا؟ إن الكفر في طلب الاجتماع عليه وإنكار الاجتماع عليه بقاء الحياة فينا، ولكنا نطلب بمن هو فينا أن يجتمع علينا بكشف الغطاء عنا، ومضاعفة الحياة لنا باجتماعنا على من هو منه معنا لنا كلمة الله وأحسن تقويم للإنسان علينا بيننا، رسولا من أنفسنا هو منه لنا، ومنه آدم وأبا لنا هو منه أوجدنا. إننا في كلمة الله، في آدم لله، في روح قدس لله، في ابن لإنسان الله، في بيت لله علينا يقوم، وعلينا قائم، ومنا يتجدد، وفينا يبعث. إن كلمة الله في تمامها إنما هي باطن آدمنا، وآدمنا باطن أمومتنا، وأمومتنا باطن بنوتنا، وجامع أخوتنا، فالأصل كلمة الله، منها خلق، وبها سوى، وكلمات الله في الوجود ترى على جانبي الحياة، وهي كما قلنا الطريق من الخلق إلى الخالق بأوادها، والطريق من الخالق إلى الخلق بأنوارها وروحها.

إذا عرفنا هذا عرفنا أن كتاب الله مع كل نبي، ما كان إلا معناه، وما كان بمعناه إلا كلمة الله، إلا كتابا لله جمع بين دفتيه صحائفه من قومه، في قديمه وفي قائمه وفي مستقبله. وليس محمد بدعا من ذلك ولا منفردا به، ولا ممنوعا منه، فمحمد عليه السلام والصلوات كان كلمة قبل أن يحيى بآدمها، ويصير كلمة بعد أن جاء بآدمها، وما كان في قيامه يوم قام إلا كلمة بآدمه جمعت من اجتماع عليها رحمة من الله. فهو من نوح إلى موسى آدم الثاني مع القديم المعروف، وهو آدم الأول مع الجديد الموصوف.

وما كان قرآنه إلا كتاب يمينه، عرف به نفسه، وعرف به عن نفسه بحقه، وعرف به ربه، وعرف به عن ربه، وما كان ربه إلا كلمة لله تامة، وما كان رفيقه الأعلى المنشود منه إلا كلمة لله، أوجده

الله في خلقية على مثالها قديماً له في قديمه، ومحدثاً له في محدثه، وإماماً له في قديمه، وإماماً لها في قابلها بمعناها لمعناه في مستديمه، بها عرف ربه، وعرف نفسه، وعرف ما كان وما يكون من أمره، وعرف أن المعراج بالتعالي عن الخلق وعالمه لا يتناهى في الله، وأن الخلق في تداني لا يتناهى إلى عالمه من الله. عرف دوام الخلق في دوام صفات وفعل الخالق الكل في الله، والكل من الله، والكل إلى الله.

إن محمداً عليه السلام والصلوات كشف لنا شرف الكلمة في حقيتها وخلقيتها. كشف لنا شرف الكلمة في نورانياتها ويومها وظلاميتها وليلها. كشف لنا شرف الكلمة في دثارها بقوالنا بمدثرها بدثار وصفه من خلقه بآدمها. كشف لنا أن ناشئة الليل أشد وطئاً وأقوم قِيلاً. كشف لنا فينا نورانية الكلمة في نور باطننا وحقيتها في حقي قلوبنا. كشف لنا أن للكلمة في النهار سبجاً طويلاً. كشف لنا أن ليلة القدر خير من ألف شهر. كشف لنا سر تحجب الصادق بالصادقين وتكنزه بواحديّة الله في الموحدين. كشف لنا عن عظمة العبد لله يوم يعرف فيقول إني عبد الله. كشف لنا معنى الحياة، وروح الحياة، وسر الحياة. كشف لنا معاني النجاة وهياً لنا أسباب النجاة بسفين من الله يوم قال (مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)^٩. أقام فينا كتاب الله حياً في عترة لا تغيب يوم قال لنا (تركت فيكم كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لا تضلّون أبداً، فإنهما لا يفترقان أبداً)^{١٠}. كشف لنا الطمأنينة، وهياً لنا أسباب السكينة يوم قال (لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة)^{١١}، وأمننا على بلاغه وحكمته يوم قال (لا زال هذا العلم يحمله عدول من هذه الأمة طبقة بعد طبقة، إلى أن تقوم الساعة)^{١٢} أو إلى يوم القيامة. وما الساعة أو القيامة عنده إلا أن تقوم دعوة جديدة، ورسالة جديدة للسماء وللروح، يتجدد بها دين الفطرة. وآمننا على ما جاءنا به من الخير رحمة مهداة يوم قال: الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة، أي يوم يقوم تجديد الفطرة بداع بينكم بالمقام المحمود لي، كما قت بالكلمة في تمامها من تمام مقام عيسى، لم يستوفه بعد، ويستوفيه يوم يكلمكم كهلاً من أمتي منكم، (كيف بكم وقد نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم [فأمكم منكم]؟)^{١٣} وهو ما تنتظرون وعن قائمه منه تتغافلون وتتغامزون، ولم أظهر بينكم بما لي من الله فما عرفني غير ربي وأنا روح القدس، لأن الأرض لا تستطيع وطأتي كما عرفكم أخي عيسى من قبل، فلست على هيأتكم، لست كأحدكم، ما عرفني غير ربي، وما عرفني بعد. وإني على عظمة عطائي وقيامي في الله إني عبد فيه مسكين معه، متضائل في عظمتي مع عظمته وعظمة خلقه، أدبني ربي فأحسن تأديبي، وفتح لي أبواب رحمته لخلق في عالمي الحياة، ما أرسلني فيهما إلا رحمة للعالمين، فما أعطيته، وإن أكبرتموه، فهو لمن تابعني، فهو لأمتي، وأكبر منه وأضعافه هو في انتظاري لي لأنني أنتظر لي ولأمتي من الله مزيداً عما أخذت عطاءً غير مجذوذ. إني أسأل الله لي

ولأمتي سيرا فيه لا يتوقف، ومعرفة عنه لا تتناهى فقد عرفته لا يتناهى، وعرفته في معاني عباد، من رفاق أعلى لا يتناهون في الافتقار إليه والاستقبال منه والسير إلى مزيد فيه وغناء به.

هذه عقيدتي فيه، له ولائي وأطلب أن يكون منكم له ولرسوله ولاؤكم. أقوم عليكم بربي شهيدا على الشهداء عليكم حبا لي وأنا له حجاب، ويقوم عليّ ربي بربه، لا أعرف إلا هذا الذي هو عليّ قائم ونفسي بيده. أعرف ربي ومرسلي، أعرفه رسولا من ربه ومرسله. وها أنا بينكم رسول ربي، فكونوا إلى الناس رسلي لمن لم يشهدني من خلقه، فما أرسلت إلا كافة للناس، فليبلغ الحاضر منكم الغائب بما بلغه مما أحمل إليكم من ربي، فتحملون بلاغ الله إلى الناس عني، فتفقهون بما تحملون، وبما تعلمون، وبما تحبون، وبما تتابعون، فتكونوا رسلي. وقد تكونون رسلا إلى من هو أفقه منكم وأكثر استعدادا لتقبل قولي، فلا تيأسوا من ظلام أنفسكم، واجعلوا رجاءكم في متابعتي ومتابعة من تحملون إليه قولي إن صلح عنكم.

إن ربي كما أعرفه، وإن إلهي كما أعرفه، وإن الله كما أشرفه في الانتساب له عبدا، لا يحده زمن باتجاه، فلا هو القديم ولا هو الآتي ولا هو الحاضر، ولكن الأزمان من خلقه تعرفه وتعرف عنه. لا تيأسوا من الله ولا تيأسوا من اتصالي بكم إن غاب عنكم شبحي المبلغ. لا تيأسوا من وصلتمكم معي فإني بينكم في دوام بتكاثري بعثا فيكم، وبروحي مرتبطة بكم، فأنا حي في قبري وحي في قلوبكم. أنا الناس النيام في نيامهم، وأنا الناس القيام في قيامهم، أفرغوا من قلوبكم ما بها من أنفسكم تجدونني. طهروا ما بأنفسكم من جفوة لله تعرفوني. إن عرفتموني لا يؤخذ بكم يوم العرض دوني. وإن أحدثم من بعدي فإني بريء ممن أحدث بعدي.

هذا جاءنا به رسول الله فصدقناه القول بقليل منا، وصدقناه الفعل بالأقل، وتخلف عنه الجمع، ونبذ الناس القوم من الصادقين والصادقين، فزعم الجمع لأنفسهم الانتساب للسنة، يتكلمون بلسان الجهل والظلام والمادة باسم تعاليم الروح. سبحان الله أبلغ مسخا للحقائق وتحريفا للكلم عن مواضعه من مسخ هؤلاء الناس لما جاءهم به الروح وقدمه نبينهم بذاته في بلاغه وبروحه في إمداد وانتشار!! يتكلم معهم القوم عن الروح، وأسرار الروح، وقيام الروح، وقرب الروح، ومعنى الروح، وكشف غلالة المادة عن الروح قائمة فيهم وقائمة عليهم، هي قيام الله بهم وقيامه عليهم. ساعة الله لقاءه فيهم، وقيامه الله يوم قيامه بهم، وحشر الله في جمعهم على ذلك لهم هو معهم بهم، وآخرة الله صاحب الأولى والآخرة قائمة في قيامهم يوم يزحزون عن مادياتهم إلى روحانيتهم، فيرفضون كل ذلك وهم من الروح وبالروح وإلى الروح، والروح بهم قائم، وفيهم مداني، منكبين على أنفسهم بإنكاره لهم، ثم يتكلمون مجسدين كل شيء، ماديين في كل شيء باسم تعاليم الروح، والتعاليم الروحية، والمعاني

الروحية، والقيم الروحية، الله عندهم بعيد عن حياتهم وعن وجودهم، والروح عندهم في معاني المادة، والملائكة عندهم في صور المادة، فهم عند أنفسهم في قيامهم مادة في حاضرهم لا روح لها، وهم في مستقبلهم مادة لا روح لها، وهم في بعثهم مادة، وقيامتهم مادة، وساعتهم عندهم مادية، ثم هم مع ذلك كله راحيون. ما أسمعهم! ما أزدلهم، ما أحطهم! ما أسفلهم! ما أتعسهم! انتظروا إنا معكم من المنتظرين. إن موعدهم الصبح وقد أصبح الصبح قريباً، فما هو ببعيد. سيعرف الناس في ظلامهم عما قريب أمرهم، سيهزم الجمع في ضلالهم، سيهزم الناس في جمعهم، سيهزمون في ظلامهم، سيهزمون في أنانيتهم، سيهزم الجمع ويولون الدبر.

ستبرز الساعة لهم وهي أدهى وأمر. سينكشف الأمر عما قريب فانتظروا إنا معكم منتظرون. إنها مقاييس من أوقات بيواترها تعد، نحن فيها بمعالمها بين الأمس واليوم والغد، يكفيننا منها أننا شهود على ظلم الناس لأنفسهم في ظلامهم، وأنا نعمل بمن أرسل رحمة للعالمين، وسيفعل الله ورسوله بنا الكثير كما فعل، وسيهدي الله بنا الكثير كما هدى، وكما فعل بأسلافنا منا ونحن منهم...

وسيقدم الله بنا ما يشاء من رحمة الحق، فنحن على الحق، ونحن من الحق بقلوبنا، كما أنا من الخلق بقولنا نحن إلى الحق، ونحنو على الخلق، نحن إلى محمد وإلى أمة محمد، ونحنو على محمد وعلى أمة محمد. هذه البشرية إنها محمد، كلها محمد. البشرية في ظاهرها وفي باطنها إنما هي محمد، إنها انطلاقاته، إنها آياته، إنها تواجداته، إنها نفحاته، إنها أحواضه، إنها قياماته، إنها ساعاته، إنها بعثه، إنها حياته ومماته، إنه ما بين قبر ومنبر يقوم ويقبر، لا يتوارى له منبر، ولا يجهل له قبر، لا يحتجب ما بين قبر ومنبر، ولا يحجب يوم يعلو المنبر، ولا ينسى يوم يقبر. إنه الناس.. إنه الناس نائمون في الله.. وإنه الناس قائمون بالله.. وإنه الناس قائمون في الله.. إنه عبد الله وكفى.. إنه عبد الله المصطفى.. إنه آدم اختياره، وإنه كلمات جواره.. وإنه آيات أسرار.. وإنه بحار معارف.. وإنه أنوار مشارقه.. وإنه خضم خلقه لا يتناهى بدؤه ولا بداية له، ولا يتناهى انتهاؤه ولا نهاية له.. لا توقف له يقوم ويتقلب في الساجدين والكل ساجد. اعرفوا رسول الله في أنفسكم، واكشفوا الغطاء عنه تصيروه، وتبقوه لأنفسكم وللناس. إنه روح الحياة بين جوانحك.. إنه كتابكم تقرأونه، وإنجيلكم تحملونه وتوراتكم تتطورونه.. إنه كتاب الله تأخذونه وتشهدونه وتشهدونه برسالاتكم من الله أعلاماً عليه ووجوهاً له، بروح محمد، بنور محمد، بحياة محمد، بماء محمد، بوجه محمد، بيد محمد، بركب محمد، أمة الصالحين، أمة المتقين، أمة العارفين، أمة الداعين، أمة الشهداء، أمة الشاهدين، أمة الأنبياء والمرسلين، أمة الأئمة والصديقين.

لا إله إلا إلهه، ولا رسول إلا أمينه، ولا حق إلا حقه، ولا عبد إلا معناه.

اللهم إنا إليك في أنفسنا رجعنا، لا شريك لك منا، اللهم فتب علينا وثبت إيماننا، وأوفر منك عطاءنا، وأدخلنا في لا إله إلا الله، مدخلا غير مجذوذ، وارضنا عنك من فضل رضائك عنا، عرفناه منك في غنائك وإن عصيناك، يا غنياً عن عملنا، يا من لا تضره معاصينا.

اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا، اللهم كن لنا فيما نعلم وفيما لا نعلم من أمرنا، اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا والسلام على أرضنا، وارفع عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، اللهم ارفع الغمة عن البشرية، وعن هذه الأرض، وعن هذه الأمة، ويسر أمرها حكما ومحكوما، روادا ومرودين، يقظين وغافلين، شاردين ومتجهين، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، واجعل لنا من رسولك شفيعا عندك، ووجاء لنا معنا من أنفسنا، به ارحمنا، وبه أقنأ، وبه تولنا، وبه سلمنا فإننا به وله لك أسلمنا، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة العنكبوت - ٦٩
- ٢ سورة يوسف - ١٠٨
- ٣ سورة هود - ٥٦
- ٤ سورة الشورى - ٥٢
- ٥ سورة العنكبوت - ٦٩
- ٦ سورة العنكبوت - ٦٩
- ٧ من حديث شريف ذات صلة: "تكونُ دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ، مَنْ أجابهم إليها قذفوه فيها، هم قومٌ من جلدتنا، يتكلمونُ بالسنننا، فالزم جماعة المسلمين وإمامهم، فإن لم تكن جماعة ولا إمام فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت كذلك." المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. أخرجه البخاري بصياغة متقاربة، وكذلك مسلم وابن ماجه.
- ٨ سورة العنكبوت - ٦٩
- ٩ إشارة إلى الحديث شريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق." أخرجه الحاكم في المستدرک
- ١٠ إشارة إلى حديثين شريفيين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض." أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما." جاء في سنن الترمذي.

- ١١ من الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم؛ إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيت المقدس وأكاف بيت المقدس". أخرجه مسلم والبخاري بخوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة". أخرجه الحاكم.
- ١٢ حديث شريف: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الجاهلين وانتحال المبطلين وتأويل الغالين." المحدث الإمام أحمد، أخرجه العقيلي وأبو نعيم والبيهقي باختلاف يسير.
- ١٣ من حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم بلفظ: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم."

(٥)

الإسلام دين الفطرة يولد الناس فيه بفطرتهم ويخرجون منه بإرادتهم

حديث الجمعة

١٨ رمضان ١٣٨١ هـ - ٢٣ فبراير ١٩٦٢ م

أعوذ بالله، وأبدأ باسم الله، أستعينه وأستهديه، وأتوكل عليه.

عباد الله، وجوه الله، كراسي وعروش الله، عوالم الله، كائنات الله، أناسي الله، أشياء الله، خلق الله، أما آن لنا أن نتواصى بحق على صفاء؟ أما آن لنا أن نتناجى في الله على رضا؟ أما آن لنا أن نسعد بالله في قضاء؟ إن الله معنا، نحياه فيجمعنا في وجوده وكلمته ومعناه، من وراء الكل محيط، وعلى نفوس الكل قائم تفرق الناس أو اجتمع الناس. إنه الظاهر في جمعهم برحمته، وإنه الفاعل في فرقههم بحكمته. متى نتواصى على وحدانيته فلا نشرك به بقيامنا في معزل عنه، وهو روح حياتنا، ومعية وجودنا؟ بغير معيته لا وجود لنا، وبغير قيوميته لا قيام لنا، وبغير قيامنا به لا حياة لنا.

إننا بجلايب ذواتنا لروحنا معاني عوالمه ربا للعالمين. فهل نحن لهذا من المدركين؟ وله عليه من الشاكرين؟ كلنا يقول الحمد لله رب العالمين فهل وعيناها؟ هل أدركنا معناها؟ هل عملنا لها فكسبناها؟ هل قننا لها فقمناها؟ لقد جاءت رسالة الإسلام على ما بلغناها، وها نحن نقول إنا من المسلمين، نؤمنها ونرعاهها، فمتى بدأت رسالة الإسلام أيها المسلمون؟ هل بدأت رسالة الإسلام بمحمد؟ ألم يعرف الله من قبل محمد؟ ألم يعبد الله من قبل رسالة محمد؟ إن محمدا يقول (الإسلام دين الفطرة) 'فمتى بدأت الفطرة؟ ألم تتواجد الفطرة إلا بذات محمد؟ ألم ينزل من السماء غير كتاب محمد؟ ألم يبرز الله للناس من الأنبياء والحكماء والأوادم غير محمد؟ إن محمدا لا يرضيه أن يكون هكذا قومه، وأن يكون المسلمون أو زاعمي الإسلام له أصدقاء جهلة، صداقتهم ضارة كصداقة الدب، خير منهم الأعداء إذا كانوا نصيحة لأنفسهم، بررة لخالفهم. إذا كان الإسلام دين الفطرة، كما يقول رسوله، كان الإسلام دين الجنس البشري ما تواجد الجنس البشري، وحيثما تواجد الجنس البشري، وإلى أي مآل آل

الجنس البشري. فالفطرة للإسلام دين أساسه ما يدركه العقل، ويستقيم به الحس، ويقبله الضمير، وتوحي به المصلحة.

إن الإسلام دين البشرية قبل أن نتواجد على الأرض تبلغ وتبشر عوالم الروح يوم كانت البشرية أرواحا في لطيف من أشباح، ودين البشرية إذا ما فارقت الأرض إلى عوالمها من عوالم الروح تاركة أشباح أهل الأرض، ودين البشرية ما تواجدت في وصف البشرية من الشيئية على الأرض في الصورة الآدمية. إن الإسلام وهو دين الفطرة إنما هو دينك قبل أن تكون على ما هو أنت. وهو دينك على ما هو أنت بما عليه أنت. وهو دينك بعد ما هو أنت.

هل عرف المسلمون الإسلام أنه كذلك؟ أنا لا أريد أن أدخل في بيان الإسلام دينا لك قبل ما أنت، ولا في تفصيل كيف يكون الإسلام دينا لك بعد ما أنت، لا حتى ولا في بيان عن الإسلام دينا لك فيما أنت. ولكني أريد أن أرسم خطوطا عريضة للمسلم، أو زاعم الإسلام، أو القائم في الإسلام ولا وعي له، أو المرتضي للإسلام، أو القابل للإسلام، أو المحب العاشق للإسلام. أريد أن أرسم له خطوطا عريضة يمشي فيها ليرى ما في الإسلام من رجوعه هو إلى نفسه، وإلى عقله، وإلى ضميره، وإلى روحه، وإلى ذاته. إن الإسلام وهو دين الفطرة دين يقوم الناس جميعا فيه بموالدهم. كل مولود يولد على الفطرة ولكن الناس يخرجون منه بعملهم. إن الإسلام دين لا يدخله الكائن البشري إذ هو فيه، ولكنه دين يخرج منه الكائن البشري بعمله مما هو فيه. إن الدخول في الإسلام ليس دخولا على الإسلام، ولكن الدخول في الإسلام إنما هو على رحمة الله به، يعرفها المسلم وينشدها المسلم، ويهدي إليها المتقي، ويترك بابها المجاهد، ويفتح بابها للصافي، ويسير إليها المتوكل، ويعان في طريقها المستعين، ويغنى بها المفتقر.

إن الرحمة في دين الفطرة إنما هي عند عباد الرحمن. وعباد الرحمن هم أبواب حضرة الرحيم. هم عباد الله منكسرة قلوبهم من أجله، يمشون على الأرض وجوها لله، مطأطأة منهم الرؤوس لجلال عظمتهم، مشهودا لهم في كل شيء، قائما عندهم بكل شيء، يعلمون وحدانية الله في فناء موجودهم إلى عظمة وجوده، يشهدون الله في الوجود وفي الناس، ويستحيون من الله أن يشهدوه للناس، في أوانيهم بأنانيتهم، وجوها له ناضرة، في كل شيء له ناظرة، تطلب من عظمتهم، وتطلب من فيض رحمته للناس في أخوتهم أن يشهدوه على ما يشهدون، ولا يطلبون إلى الناس أن يشهدوه مشهودا فيهم وإن شهدوا لهم في أنفسهم. يستحيون من رحمة الله التي غرقوا في أفضالها، وغابوا في أنوارها، وقاموا بأحواضها، أن يظهروها وهم الظاهرون بها لمن كان على حظ من الله رفعت عنه الغشاوة، وكشف عنه الظلام، وحيا منه الضمير، وبعثت في بصره البصيرة، ودانى سمعه السميعة، وقامت في عقله

المعرفة، وفي قلبه الحياة، فرآهم فيه بمعانيهم من معلومه وجه مطلوبه، وعين مقصوده، وروح موجوده، بعينهم لمعناه وتكوينهم لمبناه.

إن الإسلام وهو دين الفطرة، وقد رعى الإنسان قبل مدخله على الأرض، كما يرعاه قبل مخرجه منها، وبعد ارتحاله عنها، لم يترك في حاضرننا من حياتنا الأرضية جانباً من جوانبها أو زاوية من زواياها إلا وهياً لنا فيه سبيل القيام به على أكل وجه فيما لا نعرف، وكشف لنا عن الطريق لنسلكه فيما نعرف. إن الكائن البشري على الأرض يعوزه كل شيء، وفقير إلى الله في كل شيء... في تقويم جسده، في صحته وسلامته، في سد كفاية من رزق في طعام أو ملبس أو مسكن، في حمايته، في ضعفه مما هو أقوى منه من عادات الطبيعة، من الحياة الكاسرة في الوحوش المفترسة، من طغيان الأنهار، من سلطان الرياح، من قسوة الأمطار، من زلازل الطبيعة، من براكين الأرض، ومن قلق نفسه من طغاة جنسه، من وحوش نوعه، من عادات مجتمعه، من فساد اجتماعه، من طغيان جماعاته. هذا من حيث ماديته. وفي كل ذلك هو إلى الله فقير وبالله في تقويم، وللحفظ من عاداته مستعين، وعليه متوكل. فكيف بمعنوياته، وهي من محصن وهب الله في تكوينه أو بتكوينه؟

فإذا كان هو في معنوياته أكثر افتقاراً إلى الله لتوفرها له أو توفير أسبابها عنده، وهو بها أكثر جهلاً، وهي عليه أعز منالاً، فإن الإنسان سواء ما قبل هذه الحياة، أو في هذه الحياة، أو ما بعد هذه الحياة، يعتمل في صدره الكثير من العوامل. إنه في حيرة من أمره، إنه في جب من قديمه، إنه في شك من مستقبله، إنه في تيه من حاضره، ما يكون الكمال؟ وما تكون السعادة؟ ما تكون الحياة؟ ما تكون الاستقامة؟ ما يكون الطريق؟ كيف لله يسلم؟ وكيف يحصل منه على الإيمان؟ وكيف نتواجد فيه المعرفة؟ هل هو ضال أو مهتدي؟ هل هو جاهل أم عالم؟ هل هو مؤمن أو كافر؟ هل هو مسلم أو منافق؟ هل هو خطاء أو صادق؟ أين هي السكينة؟ أين هو الرضاء؟ أين هو الله؟ ومن هم الناس؟ من هو أنا؟ وما تكون أنت؟ وأين هم المرتحلون؟ ومن أين يجيء الآتون؟ إن رسالة الفطرة هيأت لمن يدخل في رحمة الله من أبوابها، ويدرك الإسلام لله في عجزه عما يريد، وفي عجزه في كل ما يقوم، وفي عجزه في كل ما يطلب، وفي عجزه كلما عرف عن عجزه، هيأت له الطريق إلى غايته.

إن الطريق إنما هي السعي والحج إلى أبواب الرحمة، لا أقول ما عرفت فقد اختفت على الناس بصور الناس، بل ما ذكرت، وما توهمت، وما ظنت. فإن أبواب الرحمة من عباد الرحمن لهم أوصاف الحقائق، يعززون على الجهل فلا يجهلون، ويعززون على الإنكار فلا ينكرون، ويعززون على الخفاء فلا يخفون، ولكنهم يتنزهون على الجهل للجهلاء فلا يدركون إنهم بالعلم عند أهله يعرفون. وبالتقوى للأتقياء يظهرهم. وبالصفاء للأصفياء تمتد أيديهم لمن يصفون، تراهم من وراء الذاكرين، ومن وراء

الطالبين، ومن وراء المتقين، ومن وراء العالمين، ومن وراء الساعين، إمامهم من أنفسهم به يظهرون، ووجوههم في مرآة الكون به يرون، لا وجه لهم فهم وجوه الرائيين، وهم قلوب الصافين، وهم أيدي العاملين، وهم علوم المبصرين، وآذان السامعين. إنهم ركب الموحدين، توحيدا لرب العالمين. بغير المعرفة تنبع من القلب في معرفة الإنسان عن نفسه في الله لا يقومون، وبغيره لا تكون لهم السكينة، ولا يقوم بهم الأمان، ولا يكون منهم ولهم الهدى والرحمة، ولا تسلم لهم وبهم الفطرة. بهذا عاد للناس محمد، وفي قديم قامه وأقامه، وكم عاد به، وكم في قديم قامه وأقامه عبده الدائم ورسوله القائم، رسوله الدائم وعبده القائم، فهو لا يشهد إلا في عبد قيوم قائم، أو في رسول عامل دائم، أو في عالم جامع عارف، أو في كتاب مبين وارق، أو في رق منشور متعارف، عبده جمعه، وأمته مجتمعه، الآباء كلماته، والأبناء شجرته ولداته.

إن الناس في آدم لهم دواما بينهم لا يفارقهم، ولا يغفل عن تواجده منهم بوجهه له بينهم، لوجوه له بهم من أبناء عرفوه فعرفهم. إنه معرفة الإنسان عن نفسه في الله، بالله يقوم، ومن الله تواجد، وكان في الله متواجدا، وإنه سيبقى في الله متواجدا، بذلك تتم سكينته وتبدأ سعادته، وبغيره السعادة لا تكون.

ولله المثل الأعلى في السموات والأرض. إن الصلة بالله إنما هي في الصلة بالمثل العليا له في السموات أو في الأرض. أما الاتصال بروح الحياة اللانهائي فأمر فطري تقوم فيه الطبيعة، وليس هدفا يهدف إليه، ولكنه أمر يعتقد ويدرك للعقل. أما إدراكه للنفس فهو الغاية القصوى للحياة الإنسانية، وهو لا يدرك للنفس في عزلتها عن النفوس، ولكنه يدرك لها في وصلتها بالنفوس على أحد وصفين، عبودية لغيرها من نوعها، أو ربوبية على غيرها من نوعها. فإذا دخلت على نوعها بوصف السيد على المسود فأولئك هم الطغاة، فإذا ما تمكنوا من ذلك في الحياة الموقوتة حرموه في حياة العدل الفطري، وقامه عليهم من استضعفهم. أما إذا دخلت النفس على غيرها من النفوس خادمة مؤثرة فقد استقامت مع قانون الفطرة للرعاية الربانية على الناس، وبذلك أمكنها مواصلة القيام في خدمة القانون في حياة العدل الفطري، فظهرت فيها بمكانتها من القانون ربا راعيا لمجتمعها من الناس، وإن اختفت عن الظهور بوصفها في الحياة الموقوتة بعالم البداية.

إن الإسلام وهو دين الفطرة علم ورعى، علم وفعل، علم وفعل وخلق، وجدد وأقام. إنه أطوار الناس تتكشف للناس، تعلم فيه نفس ما قدمت وأخرت، وما أحسنت وأساءت، وما صدقت وكذبت، وما أشادت وهدمت، وما أبطلت من باطل، وما أحيت من حياة. إن الإسلام دين قام بمعامله، ودانى بمكارمه، فطرة الله وصبغته، قانون الله في وجوده، وتجلياته وظهوره وجوده، به أسفر، وتعالى، وتنزه،

وتداني. به تعارف وعز على المعرفة، به كان أقرب إلى كل نفس من جبل الوريد. به كان اجتماع العبد على معبوده في نفسه وحسه. فأين تطلبه وهو القائم على كل نفس؟ وكيف تكفره وهو روح الحياة لكل حس، من وراء كل نفس محيط، وعلى كل نفس قائم فكيف تجهله؟

لقد عرف الناس بفطرتهم سبيلهم إلى العلم فتعلموا، وتعلموا، وأدركوا في العلم حدود سلطانهم في عجزهم عن سلطان عالمهم، فأدركوا الله في الوجود تعرفوه على ما عرفه أهل الكتاب - من صدق منهم - أينما ولوا فثم وجهه. أشهد العلم وجه الله للعلماء حيثما ولوا. أشهدهم الحياة في الجماد، وأشهدهم العدم في الأحياء، وأشهدهم القدرة في الطبيعة هم تحتها، وأشهدهم القدرة في أنفسهم لأنفسهم فوق الطبيعة هم فوقها. وعمما قريب يعرفونهم وجوها لله يتعرفون الحياة لأنفسهم باسم الحي القيوم، ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان.

إن الله هو الظاهر بالإنسان، استيقظ الإنسان لذكره أو غفل الإنسان عن ذكره. إن الله هو الظاهر في الإنسان، عرف الإنسان أو لم يعرف، استقام الإنسان أم لم يستقم، تعالى الإنسان أو سفل، سلك الإنسان طريق الهلاك أو سلك طريق البقاء. إنه لا يهلك من الإنسان حقه، ولكنه يهلك من الإنسان خلقه. إن الإنسان المتعالي بحقه راع خلقه حتى يستكمل جديده وصف قديمه، وإن الإنسان الذي سفل إلى خلقه سيرد يوما متعاليا بحقه. ما خلق الإنسان ليعلو على غيره، وما خلق الإنسان ليسفل عن غيره، ولكن خلق الإنسان ليعبد نفسه من خلقه لنفسه من حقه، وهو معبود له علا أو سفل ما عبد نفسه لله على ما يليق بمن يكون عبدا له. فمن تعالى عن الناس وما عبد نفسه لله على ما يليق بعباده سفل بحقه عن الناس في حقهم، ولكن الذي عبد نفسه لله على ما يليق من طلب الحياة في نفسه لنفسه حيث هو، وطلبها لغيره على ما هي فيه حيث هم ولم يتجاوز الحياة في الأرض، وطلبها لحياة الناس وحياته في الأرض لنفسه ولأهله وجنسه من أحياء الأرض، مستعينا بالله في كل وجه له، مستعينا بالله حيثما رأى الله، وكيفما رأى الله، في عليين وفي أسفلين، في قائمين به، وفي غافلين عنه، فقد استقام أمره وعبدت طريقه، ووضحت غايته، يحيا بفردته، ويحيا بجمعه، يحيا من حياة جمعه ويفيض بالحياة من حياة فردته، يرى الله بإحاطته من وراء جنسه فيستقبل فيضه، ويرد الحياة فياضة منه إلى وجه مصدرها من الناس بإحاطة الله به فروعا لجديد، ثم يستعيد بها بمزيد من وراء الناس وجوها لله عنده إلى حوض نفسه لا تقنع، ثم يردّها إليهم بهم يتكون وفيه يتكونون، فعلى عين معناه فيهم لهم يتواجد روحا لنفوسهم، وبهم يتواجد نفسا هم روحها لا فرق بينهم وبينه، الله من فوقه ومن فوقهم، والله من ورائهم ومن ورائه، والله في فردته وجمعه وفي فردهم وجمعهم. هكذا قام دين الفطرة من قبل محمد، وهكذا تجدد دين الفطرة بمحمد، وهكذا يقوم محمد لمحمد ولقوم محمد. خفض

لهم جناح الذل من الرحمة، وشاورهم في الأمر، ورأى الله من ورائهم بإحاطته، ورؤوا الله من ورائه بإحاطته بهم محيط وعليهم قائم. آمنوا بالله لا شريك له، وآمنوا برسول الله حوض رحمته، وباب حضرته، ووجود جماله، وكلمات معرفته، وآوادم خلقه، وإنسان قدسه، وقيام حقه، وجزاء تقواه، وطريق استقامته، وقيام ربه، ومظهر عبده، فيهم يبعث، وبنوره فيهم ينتشر، وبهم يقوم.

هكذا كان محمد على ما ظهر، وهكذا كان محمد على ما كان، وهكذا بقي محمد على ما واصل، وهكذا يبقى محمد على ما يكون، وهكذا يبعث محمد على ما يصبح، وهكذا ينشد محمد على ما يقتدى. اعرف الحق تعرف أهله.

{إن ربي على صراط مستقيم}²، (لا تدعوني بالرجل الصالح فالصالح هو الله)³. لقد نسب محمد الطريق والصراط المستقيم لربه، كما نسب عيسى وصف الصلاحية لربه كذلك. وما كان رب محمد ورب عيسى إلا المثل الأعلى من المثل العليا لله في السموات والأرض يظهر بالإنسان. فإذا كانت مرحلة الدين إلى محمد قد انتهت بشوطها على أساس من البلاغ والتبليغ والنبوات، وبدأت مرحلة أخرى على أساس من العلم ومدانة الحق للخلق، كلهم عباد له بينهم الراعي والمرعي بينهم ومنهم ولهم العبد والرب، قياما بالمعبود وهو الحق من الله، ليعرف الناس ما جهلوا أو تجاهلوا من أن الرب والعبد إنما هم عباد للحق في القيام بالمعبود وهو الله، وأنهما أمران متجددان متكاثرا ظاهرا باطنا. أظهر ما ظهر عباد برهم كان موسى إذ كلمه، وكان عيسى إذ وصله، وكان محمد إذ قامه. وما كان الرب لهم الفاعل بهم إلا العبد والرسول من المثل العليا من عالم الإنسان في أحسن تقويم، عالم مفرداته أسماء الله، والموصول بهم من عالم البشرية الأرضية ذكر الله لأهل الأرض من حضرة رشاده.

ها هي الرسالة الروحية القائمة في البشرية في هذا العصر تقوم على اتصال العبد وربّه من عالمها، أو الله ورسوله من الملاء الأعلى للمثل والمعاني، وكلاهما مثلان عاليان في الإنسان يتواجد على الأرض لهما الذكر عنهما بالثالث لهما كلما صلح منها للإنسانية إنسان فقام لهما عنهما بهما عنوان، وهو ما أشارت إليه أوراد الإمام الشاذلي في قولها "أدعو إلى الحضرتين بالحضرتين"، وهو عين ما أشار إليه عيسى في قوله (إذا جئت في القيامة دعوتكم ب: يا إخوتي)⁴. وهو ما قام به الأنبياء في عصورهم، وهو ما فتحه الإسلام للناس، يوم قال لهم الرسول (ما أعطيته فلاأمتي)⁵. (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم)⁶. (الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة)⁷، وما يعنيه بذلك إنما هو تواجد هذا الثالث لهما متجددا متكاثرا إلى كماله بهما، وفي هذا معنى الساعة والقيامة لمجتمعه وزمان ظهوره وتواجده، وهو عين ما قامه عيسى ومحمد ومن قبلهما قام به إبراهيم ونوح.

لقد عاجلت رسالة الفطرة، مجددة بالإسلام مع محمد حاجيات الإنسان لمعرفة الإنسان بنفسه وطريقها، كما حققت له كيف يكون على الله اجتماعه، وكيف يكون بالله صلاحه، وكيف تكون في وجود الله سبيله. هدته فردا يجاهد نفسه، وهدته جمعا يطلب قدوة له، وهدته مجتمعا يطلب صلاحه، وهدته إنسانية تطلب السلام، وتطلب الاستقامة، وتطلب العدل، وتطلب الاجتماع، وتطلب الاشتراك في خيرات الأرض أوجدها الله للجميع، يستمتعونها، ويتقاسمونها، ويستعملونها مسودة منهم لا سيدة عليهم، موجودة من ربهم لهم يعيدون خلقتها ويطورونها، لا موجودة لهم يتعشقونها فيصIRONون بحبها إلى أشكالها كبرت في نفوسهم مربوبة لا رابة، مملوكة لا مالكة، مألوفة لا آلهة. إن الذين يجعلون من مادة هذه الحياة كل هواهم إنما يسودون المادة على حقي معانهم. إن المادة في خدمتهم وليسوا في خدمتها. إن المادة في ملكهم وليسوا بعقولهم وقلوبهم في ملكها. إن الناس إذا عرفوا معانهم حددوا أهدافهم وعرفوا مرامهم. إن الناس إذا عرفوا قلوبهم بيوتا لله حجوا إلى قلوبهم بيوتا لله، فاستنارت عقولهم رسلا لله، واستقامت أيديهم قدرة لله، وطاب سعيهم عوالم في طريقها للتواجد سيرا في الله. إنه إذا أغفل ذكر الله أدعياء الإصلاح فلا صلاح، أما إذا ذكر الله في كل صغيرة وكبيرة على الوجه السليم، فلا خيبة ولا ظلام، ولا ظلم، ولا طغيان، الله الله وكفى. الله الله هو المنشود. الله الله هو المعبود. الله الله هو الموجود. الله الله هو المشهود.

إذا لم يكن الله الله هو المقصود عند الفرد والجمع فقد خاب القصد. إن الله لا يعرف بالمعاندة والفرقة والمخاصمة ولا يقبلها ولا يقومها، ولكن الله يعرف في المحبة والتجمع والمساندة لأهل رحمته، ولأهل ذكره، وللمتاجين فيه، والمتواصين على حقه وإعلاء كلمته. رحمنا الله وإياكم وجعل الحق فينا غايتنا وغايتكم، ومعاننا ومعانكم، ومسعانا ومسعاكم، ونهايتنا ونهايتكم. إنه بذلك جدير، وهو عليه قدير، والحمد لله العلي الكبير.

اللهم اغفر لنا وتجاوز عن سيئاتنا، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، مجاهدين ومتابعين، يقظين وغافلين، مؤمنين وكافرين، عاملين وقاعدین، وأنزل سكينتك على قلوب المؤمنين، ورحمتك للطالبين، والسلام والسلام على أرضك يا رب العالمين.

اللهم اغفر لنا وتجاوز عن سيئاتنا، وعاملنا بعفوك ورحمتك، وقوم فيك طريقنا إليك طريقا لك، لا غاية لنا إلا وجهك الكريم، ساعين وقائمين، وراجعين وطالبين، وعالين وسافلين، أغرقنا في رحمتك وفي كرمك وجودك، وعاملنا بعفوك، وعافنا من عدلك فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. اللهم إنا للذنوب أهل وقد عرفنا، وأنت للمغفرة أهل وقد طلبنا، فأنصفنا منا. اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ولكن

نسألك اللطف فيه. اللهم نخذ بيدنا إلى الخير، وارفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم لقائك.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ إشارة إلى الآية الكريمة {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} والحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ نَصْرَانِيَّةً، أَوْ يَمَجَّسَانِيَّةً. صحيح ابن حبان. كما أخرجه البخاري ومسلم مطولاً.
- ٢ سورة هود - ٥٦
- ٣ قال عيسى عليه السلام: "لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا. لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ" (مت ١٧: ١٩)
- ٤ إشارة لقول المسيح عليه السلام بعد القيامة أنه قال للمجدلية: "اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يوحنا ١٧: ٢٠). وتلك كانت المرة الأولى التي يدعو فيها تلاميذه بكلمة أخوتي. قبل القيامة، كان يسوع يدعو تلاميذه "أحبائي"، "عبيدي"، أو "تلاميذي".
- ٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٦ من حديث شريف: "حياتي خير لكم تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ ووفاتي خير لكم، تُعَرِّضُ عَلَيَّ أَعْمَالَكُمْ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمَدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ". أخرجه النسائي والطبراني.
- ٧ حديث شريف تقول معظم كتب الأحاديث إنه لم يثبت عن الرسول ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

(٦)

دوام الرسالة في دوام الرسول قبلة الصلاة وروح المنسك

حديث الجمعة

٢٥ رمضان ١٣٨١ هـ - ٢ مارس ١٩٦٢ م

أعوذ بالله، أستغفر الله، أتوكل على الله، أستعين بالله، أعمل باسم الله.
عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، بالانتهاء عن محارمه، والامتنثال لأوامره، والانتفاع بملكه.
كونوا مسلمين لمن أسلم لله تكونوا مسلمين لله. كونوا مسلمين لمن أسلم وجهه لله تكونوا وجوها لله.
اعلموا عمن علم الله تعلموا عن الله. اتقوا من اتقى الله تكونوا في تقوى الله.
إن الإسلام ليس ألفاظا وكلاما ولكنه فعل وقيام. ارجعوا إلى تاريخ نشأته مع محمد تجديدا لقديم في
قدم الله، وفي قدم الإنسان في قدم الله. إن الإسلام الذي تقرأونه بين دفتي كتاب فتجعلون من
الكتاب عن الحقيقة حجاب، إنما هو ما قام عند من به قام فألقى بين أيديكم هذا الكتاب. إن الإسلام
مع محمد إنما هو في الإسلام لمحمد، وإن إسلام محمد إنما هو في إسلامه لما ظهر له من رسول ربه من
روح الله لا يأس منه من أمره. إن محمدا أنتجته أمة أنتجت أرض وبيئة، فجدد الفرد الأمة وجدد
البيئة، وأوسع الرقعة من الأرض لأمة وبيئته.

إن محمدا محصلة قومه من قبله، وإن محمدا أصل قومه من بعده، وما قومه من قبله أو بعده إلا البشرية
جميعا. إن الأجيال المتتابعة قبل محمد أنتجت محمدا، وإن الأجيال المتتابعة من بعده أنتجت محمدا. فالفرد
أصل أمته مضافة إليه، والأمة أصل فردها يضاف إليها. أحب العرب لثلاث، لأن القرآن عربي،
ولأني عربي، ولأن لسان أهل الجنة في الجنة عربي.

إن محمدا لم يسفه قومه وهو خيار من خيار من خيار لقومه، ولكنه سفه أحلام بعضهم من السفهاء. إن محمدا لم يحقر قومه، ولكن أعلى أقدار قومه في نظرهم، أضاف نفسه إليهم وأضافهم في الله إلى نفسه.. ولتكن منكم أمة يأملون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله.

إن قوانين الحياة، وإن تناسخ المجتمعات، وإن تفاوت الأفراد في مجتمعهم، وإن قيام الجماعة إلى قبلة تعرفها وتشهدها وتؤمن بها، وتستقبلها في صلاتها وصلاتها، أمر يؤلف القلوب برحمة الله، ويوجه النفوس بفطرة الله، وينير العقول بنور الله.

إن قرآن محمد، إنما هو في قراءة تاريخه وكيف تحضرت بيئته له، وكيف تجمعت وكيف افرقت من قبله، واستقراء حالها من بعده، فيما اجتمعت عليه وفيما اختلفت فيه، وفيما افرقت، وفيما التأمّت. لقد تجددت أمة محمد على صالح تعاليمه، وعلى ما جدد أمته برسالة بجديد منه وجديد له، المرة بعد المرة، والكرة بعد الكرة، في عديد من بيئات البشرية وجماعاتها وأوطانها في غيبة عن العيون العمياء من أغلب الجنس. وثابتت إليه الأرواح خالعة عنها الأشباح، محبة مشوقة لمعناه لا للفظ مسماه، عليه التأمّت وبه اجتمعت على نور قديمه من عين معناه من رفيقه الأعلى باسم مولاه. ساقها إليه في تواضعه دونها، إليه برفق يحملها، وإليه به تمتطيه، لا تعلمه ولا تدريه. خفض لهم جناح الذل من الرحمة، {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك}¹. ما أظهر رسول الله أمر سيادته وهو السيد بلا منازع، ولكنه أظهر أمر عبادته وهو عبد ربه بلا مشارك، فعبد الله فيمن دونه وامثل لله فيمن فوقه، (إذا كنت في حضرته علمني كلاما أخاطبه به)². (رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره)³. فائقوا الله في الناس وقد أخفى حقائقه بعباده الذين تولى في الخلق، كما جعل من الكبر على أهل الكبر صدقة. {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها}⁴. (اللهم ارزق أهل بيتي الكفاف)⁵. هكذا قسم رسول الله الناس في تعاليمه، وفي رسالته، وفي فعله. استكبر على أهل الكبر من قومه فلم يأبه لهم فكان في هذا صلاحهم، إذ لا يخضع المتكبر إلا لمن تكبر عليه، وخشي الله في الضعفاء من قومه فلم يغفل عنهم، واددهم وأكلهم وعاشرهم وأسند ظهره إليهم، وعرف وجه الله من بينهم يقوم، كما عرف وجه الشيطان في أهل الطغيان يقوم. وعرف نفسه في الحال الوسط من الناس بهم يقوم، حتى يكون قدوة مرتضاة عند أهل الفاقة، وحتى يكون قدوة مطابقة عند أهل الثراء، فيبذل أهل الثراء مما أفاء عليهم الله مختبرين مبتلين. أما من أكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمني، وما أكرمه ولكن ابتلاه. فليبذل الناس ما فاض عن حاجتهم لإخوانهم من الإنسانية من الناس مرضاة لرب الناس ملك الناس إله الناس. وليعفف الفقراء عما في أيدي الأغنياء

اعتزازا بإنسانيتهم أن تهدر، وإكبارا لحقيقتهم أن تحط، حتى يفيء الله عليهم مما خلق لهم.. تحسبهم أغنياء من التعفف.

إن المجتمع الإنساني على ما هيأه محمد في أوضاعه لا يعترف بألوهية المال حتى ينقسم على أساس ملكيته إلى طبقاته، ولكن المجتمع على ما أنشأه محمد يعترف بقيمة تقوى الله، ويرى من تقوى الله أساس تناسقه. إن أكرمكم عند الله أتقاكم.. ولا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله.. رفعنا بعضكم فوق بعض درجات.. وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا. إن الذين يعاملون الله في معاملاتهم للناس هم في دين الله، والذين يتجاهلون الله في شئون الحياة وفي واقع الحياة، إنما يجهلون الله. وما الكفر بالله إلا الجهل بالله. وما الإيمان بالله إلا العلم عن الله. وما الوصلة بالله إلا اكتساب الحكمة من الله في فعله وقوله. إن الله هو الحياة، وهو قوانين الحياة، وهو الوجود على ما يشهد الناس للوجود، وهو فيهم التواجد ما تواجدوا بأسرار الوجود.

إن الإسلام على ما عرفه محمد، وعلى ما قامه محمد، إنما هو محمد، وكل محمد، وكل من محمد، وكل من كان في نظر محمد، وفي طبيعة محمد، وفي قيام محمد، وفي فعل محمد، وفي قول محمد، وفي لسان محمد. محمد رسول الله.. محمد رسول الناس من أنفسهم من الله.. محمد رسول أنفسهم بتقوى الله إلى أنفسهم بالغفلة عن الله.. محمد منهم وإليهم في أنفسهم يوم تغلب محامد الخلق فيهم على مساوئ الخلق بهم. إنه الصراع، إنه المعركة المشبوبة، في كل صدر، وفي كل ضمير، وفي كل نفس، وفي كل عقل، وفي كل قلب.

إنه الضمير الحي المقبور بين الجوانح والصدور. إنه البيت المهجور من القلوب في مشكاة الصدور من كل إنسان. إنه البيت المعمور يوم تشعل به مصابيح الصدور. إنه العقل الواعي يوم يقوم العقل من منامه، وينتشر بعمله في قيامه، متأملا دراكًا، مبصرا بصيرا. إن محمد هو معنى الناس وحياة الناس إذا آمن الناس بـمحمد، وهو رب الناس إذا قام الناس برب محمد. إنه روح الحياة فيهم ما آمن الناس بـمحمد ورب محمد، محمد وجهه عندهم، ويداه منه إليهم، وأقدام سعي لرحمته لعالمهم، فآمنوا بالحق فيه بينهم قام، وآمنوا بالحق به في أنفسهم يقوم، أولى بهم من أنفسهم، أزواجه أمهاتهم، أمته جماع عباد الرحمن، رسالته قيوم معاني الإحسان، ربه ولي من يتولاهم، وولي من يطلبون وجهه في أنفسهم.

ماذا عرفنا عن الإسلام، وعن رب المسلمين؟ ما عرّف الإسلام ربا طاغيا، جبارا مهلكا، ولكنه عرّف ربا غفورا رحيمًا، راحمًا، عفوا كريما.. أمة مذبذبة ورب غفور. ما عرّف الإسلام ربا أعماه الكبرياء عن عباده وعابديه، ولكن عرّف الإسلام ربا يسهر على العباد وهو في غنى عنهم، يخدمهم لا يخدمونه، يحييهم به لا يحيونه بهم، يقيمهم لا يقيمونه، يحييهم فيحيونه، ويقومهم فيشهدونه. عرف

الإسلام عن رب المسلمين لا تعدد بينه وبينهم وقد وحدوه فتوحدهم، يدخلون في حصن وحدانيته يوم يشهدونه في أنفسهم بلا إله إلا الله، فيقومونه لا إله إلا الله، ويتوسلون إليه فيهم لا إله إلا الله، لا في كبرياء يقومون، ولا في استعلاء على الناس يعملون، ولكنهم بخلق ربهم يتخلقون، أقربهم إلى الله أقربهم إلى قلوب الناس، وأطوعهم لله أخدمهم للناس، يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

هكذا عرّف الإسلام رب المسلمين، وهكذا عرّف الإسلام من يكون من المسلمين. فبالله عليكم أَلَشْيء من ذلك تشهدون؟ أَلَشْيء من هذا تسمعون؟ أَلَشْيء من هذا الأمر تقومون، وبه تناصحون، وعليه تراشدون، وفي ظل رعاية تتسابقون، ولقيام معانيه تعملون، فمن الله تساندون؟ إننا في هذه الدار نحاول، ومعنا نحاولون، ونستعين وبمن نستعين به معنا تستعينون، وتتواصى وبما عرفنا نتواصون، وبالله ولا ملجأ لنا سواه نستعين لتتوحد معكم، وبالله معنا ومعكم تستعينون لتتوحد جميعا لله موحدين.

هذا هو جوهر الدين إن أردنا أن نكون في الله على دين، وأن نخرج من الشيطان الرجيم ومن دينه على يقين، فللشيطان دين، كما للرحمن دين، وكل في معسكره به يدين. إن دين الشيطان إنما هو دين المادة، إنما هو دين الأشياء، إنما هو عبادة المادة، إنما هو عبادة الذات الفانية لا الأقدس لها من ذات باقية. أما دين الرحمن فهو دين الروح، هو دين الحياة، هو دين روح الحياة، أقرب للناس من حبل الوريد، إذ هم أحياء، إذ هم بدونه أشلاء، إنه الله في أنفسهم، إنه الله في معانيهم، إنه الله في ضمائرهم، إنه الله في قلوبهم، إنه الله متجليا في جلايب خلقه.

إن الذي يلبس عليكم ما تلبسون، إنما هو ما بكم من معناكم من الله، به لذواتكم تحيون. لا تذكروا الله بعيدا عن أنفسكم، بعيدا عن معانيكم، بعيدا عن وجودكم، ولكن اذكروا الله قريبا منكم، وأقرب إليكم مما تدركون عن أنفسكم. إنه حياة الضمير يوم يحيا لكم ضمير، إنه حياة القلب يوم تحيا منكم قلوب، إنما هو نور العقل يوم تتحرر لكم منكم عقول، إنه فيكم معاني الكرامة ومعاني الحرية ومعاني الحياة، ما قدستم الحياة وقدستم الحرية وقدستم معنى الإنسان. إن الله في قيامكم، وكان في قيامكم بقيام قام قبل أن يقوم بكم، وإن الله سيبقى لكم وسيبقى معكم في قيام لكم به يقوم بعد قيامكم، فأنتم في الله قيام بعد قيام بلا بدء لقيامكم فقد قتم قديما في قيام الله، وها أنتم في قيام الله، في قيام بعد قيام، لا ينتهي لكم فيه قيام حتى تقوموا بالله له في أنفسكم مشاهدين.

إن خروجكم من قيام إلى قيام، في خصام إلى خصام أو في سلام إلى سلام، إنما هو القيامة، وإنما هو الساعة، وإنما هو سكرة الموت، وإنما هو مولد بعد مولد حول أحواض الحياة.. {خلق الموت والحياة ليبلوكم} فلا تغيبوا القيامة عن قيامكم به، ولا تغيبوا البعث عن بعثكم برحمته، ولا تغيبوا اللوح والقلم

عن فعلكم بذواتكم ومعانيكم، ولا تغيبوا القدرة عن قدرتكم، ولا الرضوان عن رضائكم. حاسبوا أنفسكم من اليوم وفي غد عن أنفسكم. لا حساب إلا محاسبكم لأنفسكم. كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا، وجد الله عنده. إن يوم الحساب إنما هو يوم يستيقظ الضمير فيصدر عنه العقاب. لا حساب إلا محاسبكم لأنفسكم في حاضر من قيام، أو قادم من قيام. وإن سمعتم القول فاتبعتم أحسنه فقبلتم ما يقدمه عالم الروح لكم اليوم من بيان لما بين أيديكم من بلاغ، لعلمتم أنكم في وجودكم هذا قديم حساب، وقديم عقاب، أبرزتم ميسرين لما خلقتهم له ثمرة لقديم فعل منكم، وحساب لكم، وإنكم إلى قابل لكم تستطيعون أن تكتبوه لأنفسكم في يومكم من فعلكم. {إن والقلم وما يسطرون} ^٧.. ولو كنت يوم كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء.. وأنتم الآن في غيب عن مستقبلكم ولكنكم تستطيعون أن تكتبوه على ما تريدون. {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} ^٨ {ووجدوا ما عملوا حاضرا} ^٩. تعلموا الدين، تعلموا الحياة، تعلموا عنكم، تعلموا أنفسكم. اقرأوا كتاب أنفسكم، فهو بأيمان قديمكم أو بشمائله اليوم تنظرون، فإن أدركتم فأنتم المؤمنون، وأنتم الموقنون، وأنتم المبعوثون، وأنتم للحوض الواردون، وأنتم عن النار مزحزون، وأنتم للجنة داخلون، وبها فائزون، عرفها لكم على ما تشهدون، بذلك أنتم المسلمون، وبالإسلام تدينون.

إن لم تكونوا فيه على ذلك، فأبي عقل تسلمون، وأي حق تطلبون، وأي إله تعبدون، وأي رسول تتابعون؟

إن إلهكم ورسولكم وكتابكم اليوم، إنما هو من وضعكم. أفلكتاب الله تحرفون؟ وفي غير مواضعها آياته تضعون؟ وبأي الله تنطقون وتمشّدقون؟ وبها عملا تهزأون؟ وأسفارنا باسم الكتاب تحملون؟ وأوزارنا مع أوزاركم تجمعون؟ فالإمام هذا أنتم فيه تقومون، وعما جاءكم من الذكر تغفلون، وقد جاء الحق برسوله وعبد، في عبادته بينكم يتتابعون؟ ومن يوم جاء الحق بينكم ما غاب الحق عنكم تشهدون، ولكن غاب في أعين الناس له يعمهون، لا في أنفسهم يذكرون، ولا عند من أدرك الحق وعرفه يتابعون، ولكنهم وراء المنحرفين وكلام المنحرفين للمخرفين باسم السلف الصالح يذكرون، ووراء المنحرفين يتابعون لانحراف باطنهم وغفلة ظاهرهم عما يقولون، والله أعلم حيث يجعل رسالته في كل وقت وحين، في كل ولكل جمع من المؤمنين، والله أعلم حيث يجعل خدمته من المؤمنين للمؤمنين، والله أعلم حيث يفيض بتقواه من المتقين إلى المتقين. علم الناس كيف يتعلمون وجعل في ذلك الدين، ولكنهم لا يريدون أن يتعلموا وبظلامهم يتدينون. {اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون} ^{١٠} {لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى} ^{١١} {ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا} ^{١٢} ولكنهم لمن يسومهم العذاب ويقطع عنهم الأسباب يتابعون ويخضعون، والجهلاء من بينهم أئمة لهم يقيمون.

(مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)^{١٣}، (تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لا تضلوا أبداً، فإنهما لا يفترقان أبداً)^{١٤}، فإن عرفتم الكتاب دون عترته فما قرأتم كتاباً، وما اخترتم حجاباً، وما لمستم حياة، وما أشرق فيكم نور. وإن واهتم عترته بلا كتاب فقد تابعت الخزعבלات والانحرافات والانحرافات من أهل الانحراف وأهل الفتنة والادعاء.

إن عماد الدين هم العترة، ودستورهم إنما هو الكتاب. لا يقوم الكتاب إلا على العترة ولا تقوم العترة إلا على الكتاب، فإنهما يقومان قياماً واحداً. العترة تنزيل دائم، وقرآن حي، والقرآن إنسان معنوي حي لا يمسه ولا يقومه إلا المطهرون.. يوم ندعو كل أناس بإمامهم.. كتاباً مبيناً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها {الرحمن فاسأل به خبيراً}^{١٥}، {قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان}^{١٦}، {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه}^{١٧} (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال)^{١٨}، (المؤمن مرآة المؤمن)^{١٩} (والمؤمن أخو المؤمن)^{٢٠}. {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث}^{٢١} {.. لتبين لهم}^{٢٢}، {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}^{٢٣}، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}^{٢٤} {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}^{٢٥}.

عنون مجتمع المسلمين الإنسان العلوي إذ عنون الفرد المرئي لهم في قبلة صلاتهم له يستقبلون، وحول بيته بيتا لله يطوفون، القائم في وصلة اتصالاتهم يبعث في أنفسهم، الحوض المورد ماء حياتهم، والتطور المنشود في منشود قيامهم، عبداً ورسولاً خالداً متكاثراً يقوم ويتقلب في الساجدين.

لا إسلام بلا مسلم نصبا للمسلمين، ولا مسلمين بلا مؤمن نصبا للمؤمنين، فلا مسلم بلا جمع للمسلمين، ولا مؤمن بلا جمع للمؤمنين. وما المسلم إلا من أسلم لله قياده في خدمة المسلمين هم وجه لربه رب العالمين تحت لواء لقدوة يوقظ غافلهم، ويشجع سائرهم، ويعول مفتقرهم، ويرد طاغيهم. وضع نفسه في خدمتهم، ما ذكروا الله متذكرين متذاكرين، وما تناجوا بالله متناجين، فيه يقظين ما عرفوا أن الله مع قديمهم في أحسن تقويم كان، وفي حاضرهم معية مستقيمهم كائن، وفي مستقبلهم مع من صلح يكون في دورة للحياة لا بداية لحلقاتها ولا نهاية لدوراتها، طلبوا الحياة يوم اتجهوا من دائرتها باجتماعهم على الله إلى مركز الحياة لهم فيمن أسلم وجهه لله منهم، وطلبوا مركز الحياة لهم في قلوبهم ليشهدوه بقيام الحياة فيهم، ما قاموا في خدمة أنفسهم وخدمة أهليهم وخدمة معانيهم. (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)^{٢٦}، (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها)^{٢٧}، {عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}^{٢٨} (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)^{٢٩}.

فاقد الشيء لا يعطيه.. كيف يهdy للإسلام من لم يدخله؟ إن الإسلام دين وكتاب حي لا يدخله الناس بشهادة الميلاد. والناس جميعا بمولدهم في فطرته أمة واحدة، ما اختلفوا إلا بعد الذي جاءهم من العلم.

ما الحج إن لم تعرف الله في نفسك؟ ما الصلاة إن لم تعرف الصلة بربك؟ ما الزكاة ما لم تعرف الإيثار على نفسك مرضاة لظاهره بالكل حولك؟ ما الصيام ما لم تكبح جماح نفسك عن شهواتها، وغلوائها في طلب المال، وطلب الزينة، وطلب الدنيا، وطلب الجاه والسلطان، ومتعة النفس في الطغيان؟

ما هي أركان الإسلام الخمس التي يحددون إذا لم يكن الإسلام في جوهره محل فقهاء ومحل علمك ومحل معرفتك؟ وما الإسلام ليكون محل علمك ومعرفتك إذا لم يكن الله محل تفكيرك ووعيك، ومحل مشغوليتك ونجواك، ومحل إدراكك، وحسك، ومحل رهبتك ورغبتك؟ وما الكتاب وما الرسول إن لم يكن الرسول محل وصلتك ومحل شهودك ومحل قيامك في وجودك؟ فبالله عليكم هل آمنتُم بالله قائما عليكم؟ بالله عليكم هل شهدتم الله عليكم في أنفسكم فشهدتم أنه لا إله إلا الله؟ قيل لكم اعلموا أن فيكم رسول الله، فبرسول الله فيكم هل آمنتُم رسول الله فيكم؟ هل عرفتم أوله طلبتم؟ هل علمتم حقا أن رسول الله فيكم واستهديتوه بالصلاة عليه والصلة به؟ هل شهدتم رسول الله فيكم فنثرتوه؟ كيف تؤمنون برسول الله فيكم وأنتم تنكرون عليه أن يكون في رجل منكم؟ وكيف تؤمنون بالله عليكم وأنتم تنكرون على الله أن يكون ظاهرا لرجل عليه بينكم؟ ويأبى كل منكم على ظلامه وحجابه إلا أن يكون الله ورسوله له دون غيره، فإن تكشف له بصيص من نفسه وهمهما وتأله بوهمه على جهلاء قومه؟ وتذكرون تراب اللاهوت في موتاكم وتنسون دوام القدس في الناس من محياكم بمن أسلم وجهه لله فقامه، وأسلم عقله لرسول الله فكانه، وأسلم نفسه للناس فكانوه، وأسلم قلبه لمحبه فكان المحبة للناس وكانهم، فكان للناس وجه قبلتهم وأهل كعبتهم.

الناس يعمهونه ولا يعرفونه. لا يشهدونه إلا من رحم الله. وكيف يشهدونه وهم يطلبونه؟ وكيف يطلبونه وأمره بينهم لا يؤمنونه؟ وكيف يؤمنونه وكتابه كتاب الله يقرأونه ولا يفقهونه؟ وكيف يفقهونه وهم في أنفسهم لا يذكرونه ولها لا يطلبونه؟ لو ردَّ الناس إلى أنفسهم يقرأون كتبهم كتاب الله فيعلمون أنهم كلمات لله في عمائها، وكتبا لله في أغلفتها، ولكن الناس يضعون أصابعهم في آذانهم حذر الموت، وهم الموتى والضاعفون، ويتجنبون مسالك الحياة وهم مطلوبون الحياة للحياة لها قالين، يظاهرون الله وهم يشهدونه، فيظاهروهم الله وهم يعمهونه.

هذا هو الإسلام وهذه هي حال المسلمين، فنسأل الله وقد أصبح الإسلام غريبا على موصوف أهله أن يجدده على ما جددته بحمد في قديم بعثنا لملة إبراهيم، وأن يجعل منا أمة تدعو إلى الخير، وتأمّر بالمعروف، وتنبى عن المنكر وتؤمن بالله.

اللهم إن دين الشيطان قد اشتد ساعده، وتكاثر رائده على ما تعلم، وانتشرت يده وامتدت فقبضت بقياد الأشياء كما نشهد ونعلم، ونحن نؤمن أن الغلبة لرحمتك على عدلك. وقد امتد الشيطان من عدلك علينا بسلطانه فقامنا بعنوانه. اللهم برحمتك فأمددنا، وبعونك فأعنا، وبقدرتك فانصر كلمة الحق فينا، وأعل كلمة الحق بيننا، وابعث وانشر كلمة الحق في قلوبنا.

اللهم إنا قد ضعفت حيلتنا على ما ترى وعلى ما تعلم، وقد يئسنا على ما قدرت لضعفنا. اللهم بالنصر فعجل للحق على الباطل في أرضك وفي سمائك، وفي عوالم خلقك وفي عوالم ابتلائك وفي جزائك.

اللهم اجمع بيننا وبين الصالحين منا والصالحين من سلفنا. اللهم مكن الصالحين من سلفنا من الانبعاث بجديد لهم في أنفسنا، نورا منك، وحقائق طلعتك، ووجوه شهادتك، وأقلام قدرتك، وسيوف عدلك، وأحواض ماء الحياة منك. أنت الحي وغيرك ليس بحي. وأنت القيوم على الحياة ومن غيرك لا تكسب الحياة. اللهم أحي موات قلوبنا، وأنزل ماء الحياة على أرضنا لتهتز وتربو.

اللهم اجمع بين قلوبنا وعقولنا حتى نُحج بيتك، واجعل ذلك في استطاعتنا بقدرتك وبرحمتك. ولا تحل بيننا وبين قلوبنا بعدلك.

اللهم قد عرفنا قبلتك وعرفنا كعبتك، وشهدنا بهديك كل الناس وجهك. اللهم فعرفنا عنك فينا، واجمعنا عليك بنا، واكشف حجاب الغفلة عنا، واجمعنا وجوها لك على جماع وجوهنا منك لنا.

وول اللهم أمورنا خيارنا، ولا تول اللهم أمورنا شرارنا بما كسبنا، وارعنا بفضلك حكاما ومحكومين، قوادا ومقودين، مجاهدين ومتابعين، روادا ومرودين، أربابا ومربوبيين، آلهة ومألوهين، متقدمين ومتأخرين، لا إله غيرك ولا معبود لنا سواك. نشهد أنه لا إله إلا أنت إله محمد وبشريته، ونشهد أن محمدا عبدك ورسولك ووجه الحق لنا منك.

أضواء على الطريق

(أنتم الآن في وسط الأزمة. يوجد ألم كثير قبل أن تحدث الولادة كما تعلمون. وولادة الأمر الجديد معناها ألم كثير، وسوف توجد آلام مضاعفة حتى بعد أن يأتي الأمر الجديد.

إنما زرعت في عالمكم بذرة سوف تنمو. وستبوء بالفشل مجهودات الذين يحاولون وهم في مراكرهم الكبيرة أن يُتلفوا البذرة. لقد قيل قديما "لسوف يصنع في الأرض مثلها هو في السماء وهذا سوف يأتي" (٣٠).

(برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة آل عمران - ١٥٩
- ٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٣ حديث شريف: "رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرٍ، ذِي طَمَرَيْنِ، تَبَوَّعَتْهُ أَعْيُنُ النَّاسِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ". أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه.
- ٤ سورة البقرة - ٢٥٦
- ٥ استلهاما من حديث شريف أخرجه البخاري ومسلم بلفظ: "اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوَّةً". كما جاء بصيغة: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم): اللهم ارزق محمدا وآل محمد ومن أحب محمدا وآل محمد العفاف والكفاف.. في كتاب الكافي تأليف محمد بن يعقوب الكليني.
- ٦ سورة الملك - ٢
- ٧ سورة القلم - ١
- ٨ سورة الزلزلة ٧-٨
- ٩ سورة الكهف - ٤٩
- ١٠ سورة يس - ٢١
- ١١ سورة الشورى - ٢٣
- ١٢ سورة الشورى - ٢٣
- ١٣ إشارة إلى الحديث شريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق". أخرجه الحاكم في المستدرک.
- ١٤ إشارة إلى حديثين شريفيين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي.
- ١٥ سورة الفرقان - ٥٩.
- ١٦ سورة الحجرات - ١٧
- ١٧ سورة الكهف - ٢٨

- ١٨ حديث شريف: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل). أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ١٩ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطُه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٢٠ نفس الحديث الشريف في الملاحظة السابقة.
- ٢١ سورة الإسراء - ١٠٦
- ٢٢ سورة النحل - ٦٤
- ٢٣ سورة البقرة، - ١٨٦
- ٢٤ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩
- ٢٥ سورة الأنبياء - ٣٤
- ٢٦ حديث شريف ذات صلة: "خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى. وابدأ بمن تعول." صحيح البخاري وصحيح النسائي. أيضا: "ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضلَ شيءٍ فلاهلك، فإن فضل من أهلك شيءٌ، فلذي قرابتك فإن فضل من ذي قرابتك شيءٌ فهكذا وهكذا، وهكذا." أخرجه مسلم والنسائي.
- ٢٧ استلهاما من حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام علي بن أبي طالب. "فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم." أخرجه البخاري ومسلم.
- ٢٨ سورة المائدة - ١٠٥
- ٢٩ حديث شريف. أخرجه الترمذي والدارمي. صحيح الترمذي.
- ٣٠ إشارة للصلاة الربية: (أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك لتكون مشيئتكم كما في السماء كذلك على الأرض) "لو ١١: ٢"

(٧)

عيد

بين الغيب والشهادة

عود بجديد وبعث بوليد

حديث العيد

١ شوال ١٣٨١ هـ - ٧ مارس ١٩٦٢ م

إلى الله حيثما كنا نعود، وأمانة الحياة كيفما كنا إليه نعيد، به لبسنا ثوب الحياة وظهرنا بالثوب الجديد، مستغفرين من سيئات أنفسنا، ومن غفلة إدراكنا، ومن قصور وسائلنا، لاجئين إليه أن يجدد في حقه قلوبنا على دوام، وأن يغير في قيامه أحوالنا إلى سلام، وأن يلبس قلوبنا الجديد من ذواتنا الجديدة بعد جديد وقد غيرنا ما في أنفسنا مستغفرين من القيام العنيد، ورجعنا إليه معنا أوابين، وعلى روح الحياة فينا حريصين، نطمع في الثوب الجديد بعد الجديد، نطمع فيمن يبدئ ويعيد، نطمع فيمن هو كل يوم في شأن فريد أن يجعل منا له شأنًا في لباس سعيد.

إن الحياة وقد كشفها وعرفها رسول الله لنا على هذه الأرض له مسجدا وطهورا، مسجدا هو فيه قبلته لعوالمها، حيا في قبره من قلوب أهلها فيه تتجدد نفوسا مطمئنة يوم إليه عبد الله تعود، تدخله بثوب وليد في مهد سعيد سائلة الله مزيدا مما عرفت وتحقيقا لما قدرت. تدخله وهي أرواح بمعنى الإنسان، أقباسا من النور من الروح العظيم لروح الحياة اللانهائي، طامعة في مرتقى جديد من معنى الرجل الرشيد، كل فيها ميسر لما خلق له، الأعمال في هذه الدار، وفي هذا المسجد بالنيات لا يشق الله على أهلها، ولا يكلف في هذه الدار وفي كل دار نفسا إلا وسعها، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت. أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

هذه الدار كل من فيها بدء جديد، وكل من فيها حق وليد. إنها ساعة حياة. إنها موقوت الحياة في أحسن تقويم. خلق أهلها وصورهم فأحسن صورهم، وبشرهم وصدق وعده لهم، ما صدقوه عبادا

له، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده. وسيعطيه حتى يرضى وهو لا يرضى وأحد من أمته ما زال في الشعور بقهر نفسه وضيقه ونار حقه.

جاءنا عبد الله ورسوله بالعبودية لربه ربنا لنا، وعبدنا له بيننا جعل الله فيه لنا قدوة وأسوة، ما أعطيه مما نعرف فلمن تابعه على قدر ما عرف، ومن أحبه ولم يعرف شرف بما به شرف، ومن تابعه صار في الطريق المستقيم معه، ومن تخلف عن ركه سقط في الهاوية، في هاوية نفسه، في هاوية أنانيته وحسه، وقد غفل عن شرارة النار من النار المقدسة في قلبه فأحرقته. خاصم جذوة الحياة مشعلة في مصباحها من صدره ففارقته، خاصم معية الله في نفسه فتجاهلته، خاصم روح الله في معناه حيا من الحي القيوم فأغفلته، وقد خاب من حمل ظلها. خاب من دساها.

لقد جاءنا عبد الله ورسوله بالأقوم من المعرفة، والذل من المطية، والمستقيم من الطريق، والقريب من المنال، والمشرق من النور، يشتعل بين جوانحنا في مصباحه بنا من حرارة الشوق لمعانينا فينا من الله ما تشوقنا. علمنا وحدانيته يوم ندرك وحدانيتنا به. علمنا وصلته يوم يتصل بعضنا ببعض فيه، متناجين باسمه.. ذاكرين لفضله.. قائمين بقيومه.. داخلين في حصن وحدانيته بلا إله إلا الله.. متواضعين لحقائقنا معنا رسلا من أنفسنا، لا لغيرنا نسجد إن لهم سجدا، ولا لغيرنا نستقبل إن لهم في قبلتنا استقبلنا بإدراك الله الأكبر لنا، في إدراكنا لنا ذكرا له، ووجوها منه، ونورا من نور السموات والأرض به. بعضنا لبعض وجوه لله ودعاة به.

هذا ديننا، وهذا توحيدنا، ما رجعنا إلى أنفسنا فينا من الله، وعدنا إلى ضمائرنا حية به، ففي عودتنا لضمائرنا عيدنا وعودنا، وفي عودتنا إلى حقائقنا فينا عيدنا، وعودنا لنا في أحسن تقويم.

نحتفل بالعيد بلباس الثوب الجديد والطعام المزد، لا بأس.. فليكن.. وليكن ذلك منسكا. إن الثوب الجديد يستر مادتنا من أجسادنا، ويقتضينا أن نتذكر، وأن نتفكر في القلب المحتجب ولباسه المتجدد. فهل كسبنا بالعيد معنى للمعنى القائم بنا بالثوب الجديد؟ هل استيقظ الضمير الحي السعيد بالعهد الجديد؟ هل صحا العقل الدراك من نومه المديد؟ هل نمت النفس المتزكية الراضية في حالها السعيد؟ إننا في حاجة دائما إلى جديد، مع أنفاسنا، مع أيامنا، مع ليالينا، مع كل أوقاتنا.

إذا تجددنا في مظاهرنا مما نملك، فلنسأل الله أن نتجدد في جواهرنا من داخلنا، وبما يحيط بنا منا مما يملك ولا نملك. فلنسأله الجديد في أنفسنا ما تجددت الأيام لنا، وهو الذي ما زال يخلقنا بكريم يديه خلقا من بعد خلق على ما سبق أن فعل، ونحن في رحمته في ظهور الآباء وبطون الأمهات، ونطمع أن يحملنا برحمته إلى ساحة رسول رحمته وعالم رحمته ما آمنه فينا ومعنا، وما آمننا نبعث به بين جوانحنا،

وما آمنه حوض ماء الحياة لنا، وما آمنه وجه الله فينا، وما آمنه وجه الله لنا، وما آمنه يقوم في الساجدين منا ما سجدنا لله، ويقوم في القائمين منا ما قمنا بالله.

هو قديم قديمنا، وهو جديد جديدا، وهو قائم حياتنا وقيام الحياة علينا باسم الله الرحمن الرحيم. عرفناه يوم عرفناه، وذكرناه يوم ذكرناه، وشهدناه يوم شهدناه، وآمنه يوم آمنه، وحيينا به يوم أحييناه فينا.

رسول الله.. عبد الله.. نور الله.. روح الله.. ذات قدس الله للأقدس في الله.. الحق من الله.. سيف الله.. ماء الحياة.. سفين النجاة.. نور السموات والأرض.. قبضة من نور الله.. هل عرفناه؟ هل وصلناه؟ هل صلينا؟ هل سكنتنا منه الصلاة؟ هل طلبنا منه أن يجعل من صلاته سكنا لنا؟ هل توسلنا به إلى ربه ربا لنا؟ هل تعارفنا إلى روحه روحا لنا؟ هل تابعناه إماما لنا؟ هل قرأناه كتاب حياتنا؟ هل حملناه كتاب نجاتنا وقرآن آياتنا، وحروف ذواتنا، وكلمات تجمعاتنا، وسور نهضاتنا؟ هل عرفناه في أحسن تقويم؟ هل عرفناه يد الله الحاملة المقلة لنا الآخذة بنواصينا من أسفل سافلين؟ هل اعتقدناه يد الله لنا مظلة رحمة من رب العالمين؟ هل آمنه حتى أننا به نأمن مكر أنفسنا من الله؟ هل أحببناه حتى أفاض أو يفيض علينا من حب الله، فأحببنا الله، وعرفنا مذاق هواه؟ هل ذقنا الهوى لله؟ هل ذكرناه؟ هل قدرناه؟ هل عرفنا الرغبة والرغبة فيه له معنا؟ هل عرفنا الشوق إليه به فينا له يجمعنا؟ هل اطمأنت لنفوسنا السكينة؟ هل اتسع فيه رجائنا؟ هل قام بأناه إناؤنا؟ ما خلقنا إلا لنفسه، وما هيأ لنا السبيل إلا لنعبد أنفسنا لوجهه.. من هو الذي هو من ورائنا محيط، وعلينا قائم، وأقرب إلينا من جبل الوريد، ومعنا أينما كنا أو نكون؟ هل وحدناه؟ هل قنناه؟ هل سعدناه؟ هل آمنه؟ هل عرفناه؟ هل رشدناه؟

إننا بألفاظ نلوك اسم الله ونذكر الإيمان به، وبألفاظ نلوك اسم رسوله ونخيّل المتابعة له ونحن أبعد ما نكون عن الإيمان، وأبعد ما نكون عن المتابعة. فإلى متى تمر علينا الأعياد ولضمايرنا لا نعود؟ إلى متى تقطعنا الأيام ولا نقطعها لنكون فوق الأزمان على ما أرادنا الرحمن لنفسه؟

في مثل هذا الوقت من كل عام نمسك عن الطعام ثم نعود إلى الطعام في أوقات من اليوم لعدة أيام، ولا ندري لماذا أمسكنا عن الطعام، ولماذا لعدة أيام، ولماذا في هذا الوقت من العام، ولماذا نحتفل بالعودة إلى الطعام، ولا نحتفل بمقدم الصيام.

إن الصيام ركن من أركان الإسلام، ومنسك من مناسكه، جعل لله وهو يجزي به. وأتمن عليه العبد فهو أمين نفسه فيه أمام ربه. تستقيم النية لله في أدائه، ما رغبه الصائم بقصد مرضاته. وهو منسك

إشاري في مظاهره من الأداء، والوقت، ودورته في الزمان بفصوله، ونسبة وقته إلى العام في دورته بأبعاضه من الشهور. ولكل معانيه عن أطوار الأناثية وأحوالها وعوالمها...

فوقته شهر من اثني عشر إشارة لفجر الليالي عشر لشمس الحياة الجامع، وسراجها بجذوة الحياة المشرقة. وهو شهر الأمة لشهرين لله ورسوله باسم الأشهر الحرم في ثالث وحدتها لتواجدها الإنسان في بيت قبلته بأهله من أهل السكينة، يصلون على الناس ويصلى الناس عليهم لذكر الحق من الله في معاني رب الناس من أنفسهم.

يمسكون عن الطعام في نهارهم ويباح لهم في ليلهم إشارة إلى أن المادة ليست من طعام الإنسان في حقيقته، ولكنها من طعام جلبابه من الظلام، وأن النور هو طعامه الأصيل يستغني به عن مادة الظلام لقيام أوده، وأن طعامه من النور منه يتكون جلباب تواجده العلوي، وأنه إذ يطعم في ظلام ليله من بدء تخلي سراج النور عنه حتى مطلع الفجر به، فهو إنما يضع الأمور في نصابها، ويلبس لكل حال لباسها، وأنه كائن إنساني كامل لا ينقطع عن التواجد في عالم النور، ولا عن التواجد في عالم الظلام. فهو دائم التخلق.. دائم التحقق. لا يتوقف جديده من الخلق ولا يتوقف جديده من الحق.

إذا بدأت فترة الصيام برمضان غاب الإنسان بها عن عالمها الأرضي، وبدأ له عيد يعود إلى عالمه العلوي حيث يحتفل بعودته إليه، فلا عيد في الأرض التي فارق. فإذا انتهت الفترة، وأفطر لرؤية مولد هلاله عليها بما كسب من علوي عالمه، وعاد ليجد نفسه حتى يعرف في سفليه بما قام في علويه، احتفل بهذه العودة حيث عاد في جديد من خلقه جديدا على عالمه الأرضي الذي له به أحباب وأهل مسرة أن عيد إليهم. إن الإنسان في حياته الروحية يفقد الأناثية إلى روح الحياة، وهو في فناء لا يشعر إلا بالفناء ورفع عبء المسؤولية عنه، ولا يشعر بما كان يستمتع به في أناثيته المقيدة المنعزلة عن كليات الوجود من الصلة والتواصل، والحب والتواد، والتعالي والتواضع، وهو بالفناء في صفات من فنى فيه الغني عن العالمين من لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية. إن ملائكته وهم القائمون في حضرة قيامه حنوا في أنفسهم لما رأوا في الإنسان من حركة وأدركوا له من متعة في خلافته عن المخلف، واحتجابه عن ظاهر حضرته إلى باطن ملكوته فيه. إن الربوبية لا تعرف المتعة بالعباد أو بالوجود، ولكنها تعرف العبء والمسئولية والعمل وليس لها من نفسها فيها متعة. فالمتعة لأطفال الإنسانية.

إنّا بين حيتين، حياة نتشبه فيها بالملائكة لأيام، وحياة نتشبه فيها بالبشرية أو بالآدمية أو بالإنسانية لأعوام. نحن ما بين ظاهر الحياة وباطن الحياة، بين العبودية والربوبية، بين التوكل والمسئولية. نحن بين شقي الحياة لما كنا فيه فنعود من إحداها إلى الأخرى، وكلما عدنا للحياة التي كنا فيها، ففي عودتنا عيد. إن عودتنا إلى هذه الحياة الأرضية من قديمنا بالحياة الروحية بمولدنا عيد. وإن غبنا عن

هذه الحياة الأرضية إلى مولدنا في الحياة الروحية ففي مولدنا بها عيد، نحتفل به حيث نكون من عوالمها، فنحن في مولد دائم في ثوب جديد قائم في معية من يبدأ ويعيد، ومن هو في كل يوم في شأن جديد، فنحن فيه هذا الشأن يوم يعيدنا إلى هذه الأرض نواصل العمل، أو يعيد الحياة بالروح لتستيقظ منا الضمائر، وتنتقي منا السرائر، وتصفو منا النفوس والخواطر. فيوم يعيدنا إلى حياة الروح نحاسب أنفسنا، وننظر جزاءنا بما عملنا، ونحصى ما كسبنا وما فاتنا نخسرنا، في ثوب جديد من خلق بين شقي وسعيد في عالم بالحياة مديد. فإذا ما ترددنا بين السموات والأرض وعدنا إلى الأرض بجديد لقديم، أو إلى قديم بجديد وعلنا ذلك، فكان في هذا العلم لنا أمر جديد في قيام جديد ومعنى جديد، كان لنا به في متواصل الحياة عود وعيد، نشهده في عوالمنا حيث نعود، وإن كنا لا نشارك فيما يكون في عالمنا حيث ننزع. إنه الفراق يشقاه من يشقاه ولكنا نسعده حيث نحل. إنه اللقاء نهناه. وهذا بعينه ما يكون من أمركم كلما تغير فيكم وصف لكم من مرذول تمقتونه، فقد مات المرذول إلى ممدوح تطلبونه، فقد بعث الممدوح، فهذا ثوب جديد، وهذا عود حميد، وهو لكم عيد.

ليس العيد يوما من زمان ولا جلبابا من صوف أو قطن أو كنان، ولا مائدة من طعام محل الاستحسان، ولكن العيد أن تحقق لنفسك خطوة إلى أحسن تقويم متخلقا بأخلاق الله مما كنت تفتقد، متخليا عن أخلاق النفس مما كان وزرا عليك يثقل. عد إلى لطيف الله بك، فما عدت إلى الله معك يتخللك ويسمعك فأنت في عود وفي عيد. ولا تغفل عن الله روح الحياة، فما غفلت عن روح الحياة فقد باعدت بينك وبين العود إليه لمعناك، وفقدت مسرة العيد والعود لمولاك، وحرمت أن يلبس عليك ما تلبس من جديد.

نسأل الله أن يجعل من هذا العيد عودا لنا إلى كل حميد، إلى كل خير بعث محمود، لا ينقطع له جديد ولا مزيد.

اللهم إنا رجعنا إليك فاقبل رجعتنا، وأعدنا إلى أحضان قربك عيدا لنا، وأعدنا إلى أحضان رحمتك رحمة بنا، وأعدنا بجاه رسولك إلى أحضان عزك، وإلى ساحة عبادك، وإلى كتاب رشادك، وإلى معاني الحق فينا، ومعاني الحق بنا، بعثا وعودا لنا. اللهم أعل كلمة الحق والدين. اللهم قوم فيك سبيلنا. اللهم جدد فيك أمورنا إلى خير أمر ترتضيه لنا وترتضيه منا. اللهم خذ بنواصينا إلى الخير. اللهم اكشف حجاب الغفلة عنا، وألف اللهم بين قلوبنا، وزكي نفوسنا، ووحّد جمعنا، وأثر عقولنا، ووجه طريقنا، اللهم أعل كلمة الحق فينا، وأعل كلمة الحق علينا، وأعل كلمة الحق بنا جندا لك، وجندا لرسولك. اللهم ابعثه فينا على ما وعدت، وعلى ما أكرمت، وعلى ما علّمت، وعلى ما

شرفت. اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا. اللهم قوم طريقنا حكاما ومحكومين، أئمة ومأمومين، مجاهدين ومتابعين، واجعل خير أيامنا يوم لقائك يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

(إننا نشن الحرب على تلك القوى التي تقف بين الروح العظيم وأطفاله، أينما يكونون ومن يكونون. ونحن لا نستكين لأحد إزاء تصميمنا على الإسراع بقدر الإمكان في تقدم مملكة السماء في الأرض. لقد واجهنا معارضة من الكذب والنميمة، من العدا والاضطهاد. وإنما تمكنت قوة الروح من الظهور لأن قلوبا شجاعة ونفوسا موقنة قد وقفت مع الحق. واليوم ها هي جنود كثيرة تقف على مخافر العالم الجديد. إني أدعوكم لتكونوا جد مستبشرين. لا تجعلوا قلوبكم تنوء بما فيها. انظروا خلف كل الحوادث المتغيرة إلى انتشار خطط الروح العظيم. واعلموا أنكم تساعدون على بناء العالم الجديد لأن الحق يسير إلى الأمام في كل لحظة.

أخبروا الناس ألا يهتوا أو يحزنوا لأنهم قد بدأوا يحصدون محصول أعمال أبطال الماضي، وأنهم يمهّدون الطريق لحرية أكبر، واستقلال أعظم لأطفال الغد).

عن السيد الروح المرشد (برش)

(٨)

لا إله إلا الله قيام العالمين وأعلام المؤمنين وأبواب المسلمين وسيوف المجاهدين

حديث الجمعة

١٠ ربيع الأول ١٣٨٢ هـ - ١٠ أغسطس ١٩٦٢ م

أشهد أن الله في وجوده موجودا، وأشهد أنه في كل شهود مشهودا، وأشهد أنه في كل علم معلوما، وأشهد أنه في كل معرفة معروفا، وأشهد أنه في كل فعل منفعلا، وأشهد أنه في كل أمر سليما، وأشهد أنه في كل تدبير حكيما، وأشهد أنه في كل قدرة رحима، وأشهد أنه في كل آية عليما، لا إله إلا هو، ولا موجود في الحس غيره. يقوم به الجاحد به في جوده قيام العارف به في وجوده، فما كان غير الجاحد وما كان غير العارف، لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية. غفور بقدر ما عصي، حلیم بقدر ما كُفر، رحيم بقدر الإيمان به، كريم بقدر الافتقار إليه، معين بقدر التوكل عليه. يعرفه العبد في عبوديته، ويعرفه الرب في ربوبيته، ويعرفه الآله في ألوهيته، ويعرفه الحي في حياته، ويعرفه الموجود في وجوده، ويعرفه العصر في دهره، تعالى على الوصف، وتداني عن الجحود، والجهل.

كل شأن للإنسان شأنه، وكل إنسان ذي شأن أمره. كل من في السموات والأرض عبده، وكل من كان في الوجود وجهه. كان الوجود تجليه من كنزيتة في خلقة أزله لمعاني أبده فيه. كل ذلك في لا إله إلا الله. ولا إله إلا الله في كل ذلك. فكيف نقيم لأنفسنا في أنفسنا لا إله إلا الله حتى ندخل في حصنها ونشهدا ونكون أعلاما لها؟ هل شهد الناس أنه لا إله إلا الله حقا فعرفوه؟ وهل طلبه الناس بها ففي أنفسهم وجدوه؟ وهل وجدته الناس في أنفسهم فعلموه وأعلموه وعلموه، فشهدوا أنه

لا إله إلا الله علما عليها؟ من دخل في لا إله إلا الله قامت به لا إله إلا الله. ومن قامت به لا إله إلا الله كان للناس لا إله إلا الله. ومن كان للناس لا إله إلا الله كان الناس له لا إله إلا الله.

بقيام لا إله إلا الله قام الناس بالله، وبقيام الناس بالله قامت لا إله إلا الله، وبقيام لا إله إلا الله ظهر أمر الله، وانتظم جمع الناس في الله، فتجمعت فيهم وبهم كلمة الله رسولا من أنفسهم، وليكن منكم أمة يأمرن بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله.

قام الإسلام بلا إله إلا الله، وتجدد بلا إله إلا الله، ويقوم ويتجدد بلا إله إلا الله، كلما بدا غريبا على الناس في جديد قيامه، فيقوم خروجا من كنزيتة ويتجدد في شهادته بلا إله إلا الله.

إن دعوة إلى الله من داع إليه لا تقوم على لا إله إلا الله، إنما هي دعوة فاسدة، وتجارة مع الله كاسدة. إن الدعوة إلى الله، إنما هي في التعريف عن لا إله إلا الله، وعون طالبها على قيامها في أنفسهم حتى يشهدوهم لا إله إلا الله، ويقوموهم لا إله إلا الله، فيعرفون أن مطلوبهم أقرب إليهم من حبل الوريد، وأنه معهم وأنه لن يفارقهم بعد كشف معيته، وأنهم خرجوا من العدم بصحبته إلى فنائهم عنهم بقيام معيته بهم، وأن الجفوة، وأن العذاب، وأن المشقة، وأن الضيق، ضيق الأرض بما رحبت، ضيق الحياة، ضيق المعاني، ضيق القدرة، ضيق الوعي، إنما كل ذلك في تجاهل معية الله، ورؤية التعدد مع معية الله، في قيام مادة الخلق قائمة منعزلة مع معية الخالق، ومعية الخالق إنما هي الحق والحياة. يقذف بها على معاني الباطل من وصف الخلق في صورة المادة، لقيام التراب في حياة الظلام من قيام الكينونة للأناية بوهما المقطوعة من وحدة الوجود الحي وجهها له، باعتقادها الكينونة الموقوتة القابلة للعدم، بعيدا عن وحدتها القابلة للبقاء والقائمة بالحياة. فإذا ما انتقل الكائن بأنانيته من معنى خلقه إلى معيته من معنى حقه زحزح عن النار، وأدخل الجنة، وفاز بالحياة. إن الوجود كله حالٌ بموجده، ما خرج منه، وما غاب عليه، وما انفصل عنه، ولو أن شيئا من ذلك تواجد لاختفت معالم الحياة في الموجودات. إن الحياة في الكائنات هي من تواجدها في خالقها، موجودة به ليس كمثله شيء لأنه كل الأشياء، لا يحصره شيء، ولا ينطلق عن دائرة وجوده شيء، ولا يتواجد بحياة من دونه شيء. لا تغيبوا الله عن وجودكم وعن أنفسكم، ولا عن وجوده فيما يحيط بكم، ولا تؤهلوا أنفسكم عليه بتأليها على الكون، بتأليها على الكائنات، بتأليها على مثالكم من أنفسكم من عوالمكم. إنما ألوهيتكم به على ذواتكم منه، من إيجادكم لكم فيه مطايا وجودكم بحقكم، فامتطوا مطاياكم برحمته، ولا تهلكوها بوطأته، واعملوا على إحيائها لتؤتي ثمارها يوم تبلغون بها غايتكم منه، بإحيائها عالما لوجودكم على مثال من معلومكم عنه في معاني وجوده في هذا الوجود المطلق له، يحتويكم ويطويكم أبعاضا له وذرات فيه.

إن النظام الشمسي الذي تعيشون فيه، كنتم وما زلتم وستبقون، أبعاضاً له وأعضاءاً عاملة به، وعوالم فيه، ووجوداً منه تتواجدون على مثاله، يوم يلدكم في فراغ الوجود عالماً جديداً لله، يتسع به الملك، ويقوم بكم على ملكه بملكوته بين جوانحك وجوها له وطلعة مشرقة به مصابيح الظلام، وسرج العوالم، والفلك المشحون في أفلاكها سبحاً في الوجود، على مثال مما بكم في صغير عوالمكم من قلوبكم بين جوانحك، وفي مشكاة صدوركم. إنكم إن أشعلتم مصابيح قلوبكم لمشكاة صدوركم في هذا الطور من الحياة أضفت الحياة شعلتها في سائر جوارحك، ونمت مشعلة لتكون سرجا لعوالم الحياة تصدر عن حي وجودكم ورباني إرادتكم. جعل الشمس عليكم في معانيكم دليلاً عليكم في حقي وجودكم، ودليلاً لكم في خلقي معانيكم، يوم تشرق جذوة الحياة بين جوانحك مشعلة به، فتذوقون الحياة وتعرفونها فتتعارفون بها إليها.

إن كبير تواجدكم بذواتكم في خلقيتكم من فعله بفعلكم، إنما هو ما تشهدون في سموات الوجود، من شمس الحياة خرجت من سدم الظلام، وقد انفعلت، وتجمعت، وتناثرت، وانكدرت، واستدارت، ودارت، وأخذت مكانها من الوجود وأمكنتها من الفراغ ميةً بيتاً للإنسان الذي خُلق كل شيء من أجله. وما تكاثفت سدم الوجود إلا مما صدر عن أنفاس الوجود بلطيفه انطلق من كثيفه، خلقه إنسان أزله لأزلي إنسانه في أبدي معناه وجديد عنوانه. إنكم أبناء لآدم مكرمين، وما آدم إلا فرد من أوادم على مثالكم منه في إنسان الوجود. وإنكم آباء كم من أزلي مصطفىين في إنسان أزله، تقومون أمركم إن تعرضتم للحياة يوم تمتد يده إليكم فتصطفي منكم من تصطفي عبداً مكرمين، رواد الحياة لطالبيها، وأحواض الحياة لوأرديها، ومصابيح الحياة لمدركي الظلام، وأنهار الحياة عذبة للأرض الطالبة للري، وبحار الحياة لا ساحل لها للسائحين والحائرين، تجري فيهم السفن الموانر كالأعلام تحمل إلى شاطئ النجاة، وإلى شاطئ الأمان، وإلى شاطئ السعادة، وإلى عالم الأناية بالهو، من وحدة العبد والمعبود في النفوس لأحدية الوجود، لا معبود إلا الله، ولا عابد له إلا من كان في معناه وجهاً له، كل من عليها فان ويبقى وجه ربك، ويبقى من كسب وجه ربك لنفسه، ويبقى من كسب بذلك وجه الله، ويبقى من كسب البقاء، ويبقى من كسب الحياة، ويبقى من كسب ما كان فيه، ويبقى من كسب ما قام به، ويبقى من عرف من هو وما هو عليه، فحرص على من هو وما هو عليه، فبقي له من هو وما هو عليه.

إن الأمانة التي هي هو وما هو عليه، أمانة الحياة، ومعنى الحياة، وقيام الحياة، وإقامة الحياة، ولحمة الحياة، وساعة الحياة، وإرادة الحياة، وقدرة الحياة، إنما هي في هذا التواجد الموقوت علماً على التواجد الأزلي الدائم في معنى الإنسان، وهي شرف الإنسان البشري في هذا الطور البدئي لحيوات

الإنسان. {إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها..}¹، وقامها الإنسان، وتعرض لها الإنسان. (لم تسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن)².

إن الإنسان في قيامه بمعنى الإنسان يتسع لما لم تتسع له السموات والأرض، ويجزو على ما أشفقت منه السموات والأرض، ولكنه - والله محقق له ما أراد على ظلمه وجهله، وعلى ظلمه لنفسه، وعلى تحمله لما لا يستطيع على حمله من عبء معناه بمعنى الإنسان - فقد كان في هذا شرفه وحظه وسعادته. ولو أنه في بشريته عرف معنى الإنسان في نوعه فطلبه، واعتقد وجوده فسعى إليه، وجاهد نفسه ليدركه، وجاهد ليرتبط بالسبيل لطلب الله في نفسه، معتقدا بمعبوده معروفا، وطلب أخاه من نوعه رسولا من أنفسهم خيرا بالرحمة موصوفا ممن سبقه إلى تحقيق ذلك لنفسه، فاسترشده واستهداه، واستعانه، وتحاب معه، وتوحد معه فتخلله وتخالله، وأوجده في نفسه فتواجهه، وتواجد فيه فوجده، لكان بذلك مستقبلة، وعدّه وقد وفى عهده إذ سأل عن الرحمن الخبير بالرحمن، فعرفه يقوم ويتقلب في الساجدين بلا انقطاع في أزل لا بدء له، وفي أبد لا انقضاء له، وفي قيام لا انقطاع عنه، فشهد أن الله رسولا تحمّد، هو منه وهو أحمد، وهو بين قومه في كل حامد، وهو من كان عند الله المحمّد، ومن اعتقده الناس عندهم المحمود منهم فحمدوه ولله حمّده وبه حمّده، فشهد أن محمدا رسول الله. ومن شهد أن محمدا رسول الله دخل باب الله فشهد أنه لا إله إلا الله، ومن شهد أنه لا إله إلا الله دخل باب رسول الله فشهد رحمة الله، وشهد نعمة الله، وأدرك أن الرسول أولى بالمؤمنين من أنفسهم حقا، وعلم أن الله دعا إلى رسوله وجها له، كما دعا الرسول إلى الله ربا له، وأن محمدا عرّف عن ربه، وأن ربه عرّف فيه عن وجهه، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته}³. من عرّف نفسه في الله حالا، وعرف الحي القيوم في حياته قائما، قام بلا إله إلا الله. ومن عرف فيه رسول الله بنور حقه ساريا وفي ضميره قائما رُحم بمحمد رسول الله، وكان القيام لكلمة الله في بيت الله في وحدانية الله، وأدرك بوحدانيته عبدا وحدانية الأحد الصمد لا إحاطة به ولا إدراك له، وكان مع محمد وربه في وحدانية من تواجد في الموجود الأزلي.

إن المؤمن الصادق، والعبد الراجع الآيب، هو الابن والأب، وهو الأب والآب، وهو الأم والولد، وهو الرحمة والمرحوم والراحم، وهو العالم والمعلوم والعلم والعالم، وهو الكتاب والكاتب والمكتوب، وهو القارئ والمقروء والمقرئ. إن الناس بصالحهم حروف في كتاب الله عاليات لم تقرأ. من كان عبدا لله كان قرآن الله، كان كتاب الله، بكتاب نفسه أخذه يمينه مرضيا وعن الله راضيا، فقال هاؤم اقرءوا كتابي، كان البعث بمكارم الأخلاق، تطهر قلبه، فسه النور المنزل مع الرسول، فكان عترة له وبيانا كتابه.

هذا كله جاء به الإسلام على بيان، وجاء به القرآن على وضوح، وجاءت به السنة على تطبيق وتفصيل، وجاء به الأثر من السلف على وجود وثنايع بوجود، وجاء به الصالحون على قيام وشهود، فهل استيقظت البشرية إلى ما يليق بوصف البشرية؟ هل كسبت البشرية ما كان من الله للبشر؟ هل صح من البشرية أن تناول من يد الله ما أعد من الله للبشر؟ وما أراد الله بإرادة إيجاده البشرية لنفسه في قديمها وجديدها وحاضرها وقابلها، بإعدادها لمراده بها في وحدتها في أزمانها، وأطوارها، وعوالمها؟ إن الله كان للناس من الإنس والجن والملك، ما استقبلوا البشرى باللقاء في أنفسهم فكانوا بشرًا، وأحسنوا الظن بالله فكانوا البشرى، وما حققوا البشرى كانوا من الله الذكرى، وما أقاموا الذكر لله كانوا لله وجوها وأمرًا. ماذا يريد الناس لأنفسهم؟ ولو أرادوا من أنفسهم لأرادوا من الله، ولو طلبوا أنفسهم لأنفسهم على ما لأنفسهم وفي مكنة أنفسهم، لطلبوا الله وطلبوا من الله، ألم يقل لهم هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى؟ ألم يقل لهم معلما إني أقرب إليكم من حبل الوريد؟ ألم يقل لهم منعما إني معكم أين ما كنتم؟ ألم يقل لهم مسعدا إنه قائم على كل نفس؟ ألم يقل لهم مبشرا {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}؟ ألم يقل لقدوتهم {فكشفنا عنك غطاءك}؟ فمن منهم دعاه ففي نفسه ما لقيه؟ ومن منهم طلبه ففي نفسه ما وجده؟ ولكنهم يخدعون أنفسهم بدعوى طلبه مغيبين له عن وجوده في وجودهم، فما يزدادون بصلاتهم وطلبهم منه إلا بعدا. فلمن يصلون؟ ومن المصلي، وأين هي المصلي؟ ولو أنهم به صلوا لاتصلوا ووصلوا، وتكشف لهم من كانوا به موصولين، وبالحياة به قائمين وكانوا عنه غافلين، ولكنهم يطلبونه بعيدا عن أنفسهم في هيكل أو منسك أو سماء فلا يتصلون به، ويعزلون أنفسهم عنه بهم موصولا، فلا يصلون له، ولا يصلون به، ولغيره بعيدا عنه يقيمون الصلاة. ولو أنهم صلوا به، لصلوا له، ولو أنهم صلوا له في أنفسهم لصلوا به. ألم يقل لهم إنه المصلي لنفسه بنفسه، والسبوح لنفسه بنفسه، والذاكر لنفسه بنفسه، والعابد لنفسه بنفسه، في غناؤه عن العالمين؟ ألم يقل لهم لو كنا متخذين لها لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين؟ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين؟ إنما أنتم الذين تتخذون الدين لها وهذرا، وبالدين لاجتماعكم تهزؤون، وبمناسكه لكم تلهون، وبالله معكم تستهترون. ماذا عرف الناس من أمر الدين إلا من رحم؟ وماذا عرف من أمر الدين لعارف إلا من شكر؟ وقليل من عباده الشكور، والكل عباده، ولكن الكل في معناه من معاني العبودية لرب على هواه، صورته وخلقته وسواه جاحدا كفورا برب في معناه، هو لله عبد، وهو عليه ساهر، ورب من رحمته. إن الذي لا يؤمن بالله أقرب إليه من حبل الوريد، حتى لهو، وأنه لا وجود له في وجود الحي القيوم، فالكل فيه ميت، والكل فيه موتى، الكل فيه نائم، إنك ميت وإنهم ميتون، إنك نائم وإنهم نائمون، الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، خلق الموت والحياة ليبلوكم، وهو يتوفى النفوس حين موتها والتي لم تمت في منامها.. فمتى تستيقظون؟ من لم يؤمن بأن الله

هو الموجود في كل وجوده، وأن أنانيته هي بمعاني العبد له المعدوم في معناه وفي وجوده، فما وحد الله، وما دخل في حصن لا إله إلا الله. ومن لم يعرف أن الله فيه رسول الله {واعلموا أن فيكم رسول الله}، وهو معنى الضمير في الإنسان، فما شهد أن محمداً هو الحق من الله في إدراك الحق له في نفسه، يقوم ويتقلب في الساجدين بإيمانهم، ويبعث ويتواجد في الذاكرين بعنوانهم عنواناً له (يا أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع)^٦ من لم يكن كذلك ما شهد أن محمداً رسول الله. تأملوا أبا حفص وهو يقول أجعل لك كل صلاتي يا رسول الله!!!!!! فقال له: أفلحت إن صدقت، إذن تكفي همك، ويغفر ذنبك يا عمر^٨.

إن عبد الله ورسوله، إن الحق منه وأمره، إن حوض الحياة من الحي القيوم، وماء الحياة وميازيها تفتتح عنها أبواب السماء. إن نبات الأرض من شجرة النور في جلايب التراب، ما كان الحوض والماء إلا عبد الله ورسوله، وما كانت الشجرة ثمر وتظل إلا عبد الله ورسوله، ولن يكونا إلا عبداً لله ورسوله، ولن يعرف عارف في الله إلا عبد الله ورسوله، ولن يلتقي وجهه بوجه الله، إلا في لقاء عبد الله عبداً لله ورسوله. إن العبد في غيبه ورسوله في شهادته إنما هي وحدة العبد والرب في معناه بالحق.

بهذا وعلى هذا وفي هذا قام الدين، وقام الطريق، وقام العلم، وقامت المعرفة، وقامت الحقيقة في الناس في السموات والأرض. إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً. هو في السماء إله وهو في الأرض إله. لا يعزب عن علمه مثقال حبة من خردل في السموات أو في الأرض. إنها إن تكن مثقال حبة من خردل فتكن في السموات أو في الأرض يأتي بها الله. هو قلب الأشياء. أينما تولوا فوجهه، وبأي أمر تقوموا فأمره، فلا يكن أمركم فيه فرطاً، ولا تخرفوا عن الجادة فتبعوه عن أنفسكم، فتبعد أنفسكم عنه في طريقها للضلال والهاوية. آمنوه لا إله إلا الله أنتم، وآمنوه الحق من ربكم فاشهدوا أنه محمد رسول الله أنتم، واعلموا أنكم بالحضرتين تقومون كلمة الله، وحضرة الله، وعبداً لله. بهذا جاءكم السلف الصالح فلا تذكروا الطالح من سلفكم باسم الصلاح، ولا تتابعوا المخاتل من حاضركم باسم الولاية والفلاح، ولكن احكموا على الناس بما وصفهم به لكم الله، اتبعوا من لا يسألكم عليه أجراً وهم مهتدون. ابحثوا عمن يدلکم على الله في أنفسكم. من دلكم على الدنيا فقد غشكم، ومن دلكم على العمل فقد أتعبكم، ومن دلكم على الله فقد نصحكم. اكشفوا عن ظلام أنفسكم تجدوا الله في نور حياتكم. صاحبوا من بينكم من ينهضكم حاله ويدلكم على الله مقالته. لا تصاحبوا باسم الدين دنيا تقتسم بوصف غنيمة، ولا لعمل يؤتى باسم التقوى ولكنها المحبة في الله.. انشدوها واغتموها.

إن دقات قلوبكم أجراس كنيسة في صدوركم، وإن هاماتكم مآذن مسجده بين جوانحك، وعيون وجهه في صوامع قلوبكم. فلتدق دقات قلوبكم بذكره، ولتردد أنفاسكم بين جوانحك اسمه، ولترقبوا أنفاسكم تخرج وتدخل ذهاباً إليه ووارداً منه بمعاني الحياة فيكم به للحياة منكم إليه، لمعاني الحياة تتخللكم وفيما حولكم، تعلمونها يوم تخرج أنفاسكم وترتد على ذكره، وعلى ترديد اسمه، وعلى تأمله، وعلى مراقبته، وعلى إدراك قربته وخلته وإحاطته وإطلاقه ولا نهائيته.

إنه الحياة. إنه القيام بالحياة. إذا ذكرتم العلم غاية لكم وإذا كان العالم غايتكم، فاذكروا عالم ذاتكم. إذا ذكرتم العالم لكسبكم وإذا ذكرتم الهدى طريقاً منشوداً منكم، فاذكروا هدي ضمائمكم. وإذا ذكرتم الله في حيرة أمركم، فاذكروا الحياة في قيامكم. بذلك تدخلون دين الله، وتدخلون الإسلام، وتكشف لكم أموركم يوم تبحثون عن مرآة لمعانيكم وإيمانكم، فيكون لكم تحقيق رجائكم فيمن تخاللون في الله. قل إنما أعظمكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى.. وأبشركم بواحدة أن تقوموا لله فرادى.. فيكون المؤمن مرآة أخيه والمؤمن مرآة المؤمن، وجهها لله أمام وجهه لله، الله من ورائهم محيط بوحدايته وبأحديته وبصمديته.

على هذا قام الإسلام وعليه يتجدد، وعلى هذا يقوم الإسلام، وبه يستقيم أمر المسلم، وعليه يتجمع المسلمون، فيكونون أمة الإسلام {فوسطن به جمعا}، أمة وسطاء، شهداء على الناس والرسول عليهم شهيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم وقد شهدنا أنه لا إله إلا الله، وشهدنا أن محمداً عبده ورسوله، اللهم فأغدق علينا نعمتك في شهودنا، ورحمتك في وجودنا، وإيماناً بك لا ينقطع ولا يحز في معلومنا عن أنفسنا. اللهم كما أشهدتنا فأشهد بنا، وكما أعلمتنا فأعلم بنا، وكما رحمتنا فارحم بنا. اللهم افعل بنا ما شئت، وما أردت، وما قدرت بيد رحمتك، وبيد عنايتك، وبيد مغفرتك، وبيد خلاصك، واصطفائك، واستخلاصك.

اللهم لا تجعل منا صوت عذاب للناس. اللهم لا تجعل منا يد بطش بالناس. اللهم لا تجعل منا أداة إفناء للناس، واجعل منا أحواض حياة، وماء سقي، ونور طريق، وساحة رحمة. اللهم ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بعملنا. اللهم عاملنا بعفوك وما أنت له أهل، وأقلنا من عدلك وما نحن له أهل. اللهم تولنا في الصغير والكبير من شأننا، وخذ بنواصينا إلى الخير، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك، حكماً ومحكوماً في أنفسنا مع الحياة ووجوها لك.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

(افرحوا فإن دفعة قوية قد أعطيت لقدرة الروح كيما تتجلى. انظروا إلى الأجهزة الجديدة التي جيء بها إلى دائرة القدرة الروحية. انظروا إلى خطوط الاتصال الجديد التي عملت. شاهدوا تحطم الحواجز التي وقفت زمنا في طريق التقدم. نحن جزء من جيش منتصر لا يحارب بالسيوف ولا بالبنادق، ولكن بالحب في قلوبنا، بالتسامح، بالإحسان، وحب الخدمة. أسلحتنا هي الحق والمنطق. إننا لا نرغب إلا في جلب ثروة وجمال أعظم إلى حياة الذين رفضوا ميراثهم الحلال).

الروح المرشد (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الأحزاب - ٧٢
- ٢ حديث قدسي: "لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن." ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين"، وفي أدبيات المتصوفة.
- ٣ سورة الحديد - ٢٨
- ٤ سورة البقرة - ١٨٦
- ٥ سورة ق - ٢٢
- ٦ سورة الحجرات - ٧
- ٧ من النشيد المعروف الذي استقبل به الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة.
- ٨ حديث شريف عن الصحابي أبي ابن كعب: "أجعل لك صلاتي كلها يا رسول الله؟ قال: إذا تكفئ همك، ويغفر لك ذنبك." رواه الترمذي وأحمد. (عبارة "يا عمر" يذكرها السيد رافع مع هذا الحديث الشريف في النسخة الأصلية)، ولكن نذكر هنا الحديث الشريف الموثق.
- ٩ سورة العاديات - ٥

(٩)

الإنسان بين القلب والقالب بيت ونصب

حديث الجمعة

١٧ ربيع الأول ١٣٨٢ هـ - ١٧ أغسطس ١٩٦٢ م

بسم الله قلب القلوب، وحياة القوالب.. بسم الله روح الأرواح، وحياة الأشباح.. بسم الله نور الوجود والمشاهد في كل مشهود.. بسم الله الرحمن الرحيم. به نستعين، وبه نعمل، وبه نقوم، وبه إلى الله نرجع.

الإنسان بأنانيته، ما بين قلبه وقالبه. إذا التصقت أنانيته بقلبه، كان الشيء، وكان الوزر، وكان الثقل، وكان الحمل، وكان الهول له هو القلب. وإذا التصقت أنانيته بقلبه كان الأرض، وكان المعنى، وكان الإنسان. فإن تواجد لقلبه بقلب من ولد وصار قلبه لهذا القلب قالبا، تلقى من الله كلمة كانت له جديد أنانية من الرحمن، من الحقيقة، من النور، من السر، كان بها عبدا لله، وكان في ذلك خلاصه. أما إن صار في معناه إلى معزول أنه من كبريائه، ونفسه، وعزته، فصبغ على مكانته، كان في ذلك إبلاسه، وكان في ذلك تعاسته، وكان في ذلك حرمانه وطرده وإنظاره.

إذا عرفنا هذا فقدرناه، وطلبنا هذا الحق وواليناه، عرفنا أن الإنسان الكبير بين تشتيته وجمعه تقوم قضايا الأديان أو قضية الدين، وتقوم قضية الحق، وتقوم قضايا الوجود. إن البشرية بظاها على تفرق بمفرداتها، وإن البشرية بباطنها على وحدة بإنسانها من آدمها، وقديمه بقائم إنسانها وأديمه على ما هي عليه، في أزل من قائمه بنوعها وعلى عهد لبدء من قائمه لأبد بمثلها. الإنسان بينها يتجدد ويتكرر ويتعدد لآباده عودا لآزاله، بالله معها يفرقها ويجمعها، والله لها كل يوم هو في شأن. يجدها بظاها بآحاده منه لها لآحادها منها له، فيتجدد قديمها لها بباطنها ولا يتوقف لها تجدها في ظاهاها، فلا يتعطل لها

جديد من باطن ولا يتوقف لها تحقق من ظاهر، عطاءً من الغيب غير مجذوذ، وقياماً للحق في شهادتها ناجزاً غير مجحود، مواصلة للتكاثر والتجدد بالخلق قياماً غير موقوت، وحقا غير مفقود.

وها أنتم في هذه الدار، وفي هذه الجماعة، وفي هذه الدائرة، للإنسان من الإنسان تشهدون هذا الأمر على وضوح فيه، وعلى بيان له، وعلى قيام بكم شتات إنسان، واجتماع إنسان في جمع بعنوان، لأمر الله في إنسانية الله لا بدء لها خلقاً وحقا، ولا بداية لها حقا وخلقاً، ولا توقف لها في تخلق بجديد، ولا في تحقق بمزيد. نعمة الله ناجزة، ويده بارزة، ووجهه مشرق، وأمره قائم، وحقه حاضر، لكم وبكم ومنكم وفيكم. إن قلتم رسول فمن أنفسكم، وإن قلتم حق فمن قائم الحق عليكم، وإن قلتم خلق فمن تخلقكم بأخلاق الله، واجتماعكم على أمر الله، وإيمانكم بوجه الله من ورائكم يحيط، ومشاهدتكم لوجه الله، بلطفه فيكم قائم في مرآة أخوتكم، تشهدونه بعينه من معاني عيونكم لبصائرهم، يقاربكم في تقاربكم إليه ويباعدكم في تباعدكم عنه، تؤمنون بالله بإيمانكم بالله في معيتكم وأنتم في معيته، على دين من يخاللکم وتخاللونه، ويراكم وترونه. بكم يراكم كما به ترونه، عبادا لله مكرمون، وعبادا لله في أمر الله بأمر الله فيهم ولهم لا يفرطون، عبادا لله يشهدون الله في عبوديتهم، وفي عبودية عبادهم بينهم من أنفسهم.

ها نحن نتسبب إلى روح مرشد لنا نجتمع إلى حضرته بفريق منا لمواقيت له معنا، ونتابع في هذا روادا من أنفسنا، يقيمهم هذا الروح المرشد لنا، ويقومون هم بمعناه، وجهها له مشهودا لأعيننا، مسموعا لآذاننا، حبيبا إلى أنفسنا. فإذا نفهم؟ وماذا نعني بهذا الذي نشهده ونقومه، ونسمع عنه ونسمع منه؟

ها أنتم تشهدون ما وعد الله وما يعد، وما فعل الله وما يفعل، من تشيت إنسان بين قلب وقلب، ومن تجميع إنسان من قلب وقلب. إن السيد الروح المرشد "برش" إنما هو قلوبنا جميعا، إن أردناه لأنفسنا، وإن عرفناه الحق من ربنا، وإن الرائد لروادنا الذي يرودنا في طريقه ما هو له إلا خادم تأدب هو معه بعالي وراقي أدبه، فقال لخادمه وتابعه: يا أخي، يا أنا، يا عيني، يا معناني، يا وجهي، يا ظاهري، يا بني، يا خليي، يا حبيبي. إنه أدب الإنسان يوم يصبح الإنسان إنسانا بحق، وإنسانا على كمال، لا يرى في الوجود تافها، ولا يرى في خادمه وتابعه في الروح الأعظم المطلق إلا أخا وعينا، يتخلق بأخلاق الله ربه ورب ربه، ورب ما سفله، ورب ما علاه، ربه ورب معناه، ربه ورب كل ما احتواه. ألم يقل الله ما زال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنته؟ هكذا يقول الإنسان في كماله متخلقا بأخلاق الأكبر والأعلى من رفيقه ومثاله، يقول مقالته، ويتبع سنته. إذا كان هذا ما علم رسول الله للناس ليكونوه، ألم يكن لرسول الله وقد تعلم من ربه وبه امتد وانتشر فكانه مع ربه، ألم يكن له من أصبح منه عين ما آل هو إليه؟ إنه المرشد اليوم لكم.

إن الروح المرشد لكم هو لكم ولرائدكم معاني القلب لقلوبكم، وأنتم له في الوقت نفسه قلبه لقلوبكم لقلبه بكم في جديد أمره لعين قادمه من قديمه، بقائه قلوبكم به النور، وقلبه بكم الروح من روح الحياة الأعظم. وما كان قلبه بكم من روح الحياة الأعظم إلا ما كان قلب رسول الله لكم، وما قلوبكم به من نور الله إلا ما آل إليه قلب رسول الله، قبسا من نور الله جديدا لقديم فيه، في غيب الله وقائم الله ساحة رحمة منه، ووسيلة وصلة به. وما كان رسول الله إلا قلب وقلب، وما زال وسيبتي رسول الله قلب وقلب. قلبه وجود بأسره، وقلبه روح الحي القيوم من الحي الموجود بوجوده. فنحن إذ نتابع رائدا لقلب في قلب، نعرف فيه قلبا لقلب، ونلقى فيه قلبا لقلب في معارج الله، إنما نسلك طريقا لله، إنما نسلك طريق الله المستقيم، إنما نسلك طريق الحياة، إنما نسلك طريق الحق. المؤمن مرآة المؤمن. والمرء على دين خليله.

إن الحياة هي الطريق، وإن الطريق هي الحياة، فما هو بحي من لم يسر، وما هو بسار من لم يحيا. وإن الطريق منازل ومعارج، وإن الحياة طبقات وأطوار. إنا إذا شهدنا القلب المضاف إلى قلب فقد شهدنا القلب. وإن طفنا حول هذا القلب نصبا للحياة فقد دخلنا القلب بيتا للحياة. وإن دخلنا البيت فقد دخلنا الحصن، وركبنا السفين، وقفنا في الخلاص، وسعدنا بالتخلص وكسبنا الإخلاص، إن الذي قال للناس، (أنا هو الطريق والحق والحياة)^١، (أنا هو القيامة والحياة)^٢، ما انقطع بين الناس تواجده. وإن الذي قال للناس {فاتبعوني يحببكم الله}^٣، (ما أعطيته فلائمتي)^٤، ما انقطعت بين الناس أعلامه وفيهم بالساجدين قيامه. إن الذي بدأت منه الحياة.. إن آدم الحياة ما انقطع بين الناس من أبنائه تجدده وقيامه. إن عباد الله الذين عرف الناس مصطفين من الله، مكرمين من الله، عارجين إلى الله، مدانين من الله وجوها لله، ما توقف لروح الله بهم من الأرض قيام أو من السماء إعلام، عروجا إلى الأرض لتمام، أو تدانيا بحق وكلام، ثم عودا إلى السماء بحصيلة، أو قياما من الأرض بقبيلة. إن القافلة تسير، وإن الركب متصل كبير، وإن الفرد والجمع يعمل، دواب الأرض ودواب السماء، ملاء الأرض وملاء السماء بالعباد من أهل الرشاد، لا ينقطع لهم بينهم اجتماع، ولا يتوقف لهم في أمرهم ركب من أتباع، ولا يتعطل لهم مسير بانقطاع، فهم في الأرض إلى حين، وهم في السماء إلى حين، هم في العاجلة إلى حين، وهم في الآجلة إلى حين، وللآخرة للأولى في دوام خير وأبقى، سواء كانت الآخرة في هذا القيام من قائم السموات، أو الآخرة في قائم السموات من ملاء هذا القيام. إن الملاء الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أيها الملاء. إن من الملاء الأعلى من يطلبونه في ملتكم ملاء أعلى، وإن من ملتكم من يطلبونه في الملاء الأعلى، وإن من الملاء الأعلى من يدعون إليه في ملتكم، وإن في ملتكم من يدعون إليه في الملاء الأعلى. إن الله لا ملاء له، وإنه في الأعلى على ما هو في الأدنى، لا فرق

عنده بين الأدنى وبين الأعلى، الكل له، والكل فيه عبده، والكل منه وجهه، والكل به أمره. لا وزير له، ولا وزير له، والملا الأعلى له لا مكان له.

فإذا تابعت قلبا لقلب فآمنوا بقلبه، وإن حيت به قلوبكم بنور الله في طريقكم، فاعملوا لإحياء قلوبكم. إن قلوبكم عالم قلوبكم، ومدينة بيوتكم، بيتا لله، وقلبا حيا بالله، وسراجا مشعلا بجذوة الحياة من نور الله. الحي في حياتكم، والقيوم عليكم بالحياة.

على هذا قام الدين، وبه جاء الرسل، فكانوا قوالب لقلوب، وكانوا قلوبا لقوالب، في قانون الحياة لا يتعطل لقلوبهم عمل، ولا لقوالبهم تواجد، والله لا يمنع عن طالب رفته ونعمته، الله للكل، والكل لله. الإنسان في الله فرد وجمع، أمة في فرد، وفرد في أمة، ما تحاب الناس في الله، وما تجمع الناس في الله، وما تناجى الناس عن الله، وما قام الناس بأمر الله، فانتها عما نهى لخيرهم، واستجابوا لما أمر لبرهم، لبوا منه كل نداء، واستوفوا منه كل عطاء، وأنكروا على أنفسهم ما كانت لهم فيه نفس دعهم لقطيعة، ومنعتهم عن جمع توحده فيه وتوحد به.

الله في الحب، والحب في الله، ما تحاب الناس في الله عرفوه، وما توادوا فيه قاربوه، وما تنافروا بينهم باعدوه، وأنفسهم عنه عزلوه. الله أقرب للكل من حبل الوريد، ومع الكل حيثما كان. اعرفوا الله لأنفسكم يعرفكم الله لنفسه، وتصنعوا بيديه له على عينه. اركبوا سفين النجاة من عباد رحمته، وأوردوا أنفسهم أحواض الحياة، من كتب علمه بينكم من الناس. إن الله منكم قريب ما قاربتموه، وهو عنكم بعيد ما باعدتموه، وهو لكم راحم ما رحمت أنفسكم فاسترحمتهم، ولم تحولوا بينه وبين داره من قلوبكم لتتواجدوه، فيظهركم فيكم يتواجد، وإليكم بكم يتعارف، ومنكم لكم يعمل، ويذا له بكم للناس يمد. هذا أمركم إن كنتم من الموحدين، وهذا شأنكم إن كنتم لله من الذاكرين، وعن إحياء أنفسكم غير متوانين، وإليه أمرها واكلين فهو حسبكم وحسبنا ونعم الوكيل، لا معبود غيره، ولا مرتضى سواه، ولا مقصود إلا رحمته، ولا أمان إلا بجواره، لا إله إلا هو إليه المصير.

اللهم إنا بك آمنة فآمناء، وإليك سكنا فأنزل سكينتك على قلوبنا، اللهم إنا عرفنا أنا فيك حللنا، فأنزل اللهم برحمتك السلم والسلام على أرضنا، اللهم من أنفسنا فأعذنا، ومن الأشرار من خلقك فقنا، وبرحمتك فوفنا، وببورك فتوفنا، وعنا فأممتنا، وبك فأحينا، وإليك فأرجعنا، ومنك وبك وإليك فأرسلنا، عبادا لك، قياما بك، ورحمة منك. اللهم لك فعبدنا، وبأنفسنا مزكاة برحمتك فابعثنا، واعمل الخير بنا.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تول أمورنا شرارنا، وخذ بنواصينا إلى الخير حكاما ومحكومين، واجعل اللهم خير أيامنا يوم لقائك وخير أعمالنا خواتيمها.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

(تخلصوا من زيف هؤلاء الذين يحتاج خيالهم إلى فلسفات طنانة، ما لدينا هو الحق البسيط. ولمنتهى بساطته يستطيع الكل أن يقدره ويفهمه. فإنا نجاهد لنبين أن أطفال الروح العظيم لكونهم جزءا من الروح العظيم، وأنهم أطفال الله حقيقة، هم جميعا محاطون برباط الروح الخالد اللانهائي، وكلهم جزء من عائلة روحية واسعة، ومتساوون كافة في نظر الروح العظيم.

إنه من الضروري جدا أن نذكر عالمكم بهذه الحقائق البسيطة، لطالما تقلبوا بين المذاهب والتقاليد بين الاحتفالات والطقوس التي ليس لها علاقة أبدا بالدين أو الروح العظيم للحياة. ونحن لا نغنى بشيء من هذا اللهم إلا إذا ساعد نفسا كيما تحيا حياة أفضل. إنا لا نهتم إلا بالعمل لأنه الباقي من حياتكم اليومية التي بها تتجدد حالتكم الروحية بإيمانكم بروح الحياة العظيم، وبكل قوانينه الطبيعية الخالدة، إذ لا تستطيع المذاهب أو الطقوس أن تغير من سريان قانون السبب والنتيجة، ولو بقيد أئمة). من هدي الروح المرشد (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ (أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي.) (يو ١٤: ٦)
- ٢ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» (يو ١١: ٢٥)
- ٣ سورة آل عمران - ٣١.
- ٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

(١٠)

الساعة والقيامة عِلْمٌ وَعِلْمٌ، بِحَقِّ وَكَلَمٍ

حديث الجمعة

٢٤ ربيع الأول ١٣٨٢ هـ - ٢٤ أغسطس ١٩٦٢ م

موجودة، قائمة مشهودة. يؤمن بها من يؤمن بالله، ويشهدا من يتطلع إلى وجه الله، معلومة في العلم عنه، موجودة في الوجود له، قائمة في القيام به، يستعجل بها لنفسه من لا يؤمن بها، والذين آمنوا بها في أنفسهم مشفقون منها، ويعلمون أنها الحق.

إنه لعلم للساعة. إنه علمها وعلمها. ذلك من كان تمام الكلمة وقيامها. بدأها عيسى من آدم، وواصلها محمد لآدم، وبيتها محمود المقام لهما الإنسان الآدم، بمولد قدم لمن كان لهما أصلا هما مسيحه، وكانا له في جديد منه أصلا هو مسيح لهما، قيوم بهما عجبيء من كان لهما أبا في جديد مولد بهما، ومن كانا له ولدا في قديم ومعلوم مولد به لهما. إن الكلمة لله في تمامها لا تعرف لمعناها وصف الوالد والولد. وتجمع لمظاهرها وصف الوالد والولد. وتنزه بمعناها بحقها عن الوالد والولد. فهي تظهر بالوالد كما تظهر بالولد. وهي قيام والد وما ولد في قيام من جمع وبيوت وبلد. كانها من كان حلا في البلد، وفي والد وما ولد. كان كلمة الله، وبيت الله، ومدينة الله، وعبودية الله، وروح الله، وآدم الله، وأوادم الله، وأمة المصطفين من أبناء أوادم الله عبادا مكرمين. كان معنى لأولية عباد وقع عليهم اصطفاء للدوام من بين خلق وعباد للنشأة والحطام، وكان تمام الكلمة لكلمات من بين كلمات تهيأت لطلب المعرفة والرشاد. {يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب}¹. إنه علم الساعة وعلمها، وتمام الكلمة وقيامها، إنما هو دورة آدم بسلام بين سفوره وكنزيتيه، إنه يوم الله وليلة الله، يوم يسفر فتشرق شمس وجهه بقيام، أو يتكنز فتغرب شمس وجهه ليأتي ليل سكينته بسلام.

إن الأرض بدورتها حول نفسها يتخلق عند أبعاضها من مقابلتها للشمس وعزوفها عنها دورة الليل والنهار دائبين، سرمديين، أزليين، أبديين، لا يتوقف لهما تلاحق، ولا ينقطع لهما نتابع. يتواجدان معا على هذه الأرض باجتماع لا يفصل، ونتاج منتظم متصل، لا الليل سابق النهار، ولا النهار

متخلف عن الليل. الأرض في حاجة لهما، وفي استقامة بهما. ومن إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه إذا أرسل عليكم النهار سرمداء. ومن إله غير الله يأتيكم بنهار تعيشون فيه، وتعملون فيه إن أرسل عليكم الليل سرمداء، وهو لذلك فاعل في عوالم غير عالمكم. إنها نعمة الله عليكم في تعاقب ليله ونهاره، يتعاقبان على أبعاض الأرض جزءا بعد جزء، يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل على تداخل واختلاف في الدرجة من الإظلام والإنارة، وعلى اختلاف في الزمن من الطول والقصر. ما أشبه الليل والنهار بدنيي الإنسان من منظور دنياء، ومن آجل دناء، بحاضر دنياء، وبغائب دناء، بقائم دنياء، وبآتي دناء، الدنيا والآخرة، الأولى والثانية، العاجلة والآجلة، اليوم وغده، الليل ونهاره، النهار وليله. قد تكون في عاجلتك في نهارك، وفي آجلتك في ليلك. وقد تكون في عاجلتك في ليلك، وفي آجلتك في نهارك. إن الليل والنهار يتعاقبان عليك أيها الأرض الصغيرة. وإن الليل والنهار معك على دوام أيها الكوكب الصغير. يستهلكانك أو يتواجدانك، ويربيانك أو يملكانك أو يملكانك، يسودانك أو يسودانك.

إنك بداخلك وبخارجك بين ليلك ونهارك، بين عاجلتك وآجلتك. وفي أنفسكم أفلا تبصرون، سلام هي حتى مطلع الفجر، ارجع البصر كرتين، باحثا منقبا عن هدفك في طلب معروفك من أمر ربك. إن صدقت، إن اجتهدت، إن حاولت، انعكس إليك أمر الله الذي تطلب، فوجدتك أمر الله الذي يقوم، ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير. ترى الله معك، تراك في أمرك معية الله، وباطن الله، وظاهر الله، في ظهور أمرك، وفي بطون أمرك. إن كنت كذلك، قامت قيامتك، بقيام الحق بك، وجها له من ورائك محيط، ويذا له بها فاعل قابض، وقدما له بها على الأرض يدب، وعليها يسير، وعبر الزمن للزمن يقطع، وصحت نسبته إلى أبيك وصلحت لتكون ابنا للإنسان، فترى من يكون الإنسان، ومن يكون آدمه، ومن يكون أبناؤه، ومن يكون بنو آدم. إن أرض الإنسان أو ذات الإنسان المراد بمعنى الإنسان في حقيقته إنما هي كائن يعيش الكون بشموسه، وكواكبه، وأقماره، وسدمه في داخلها، في مقابلة لشمس ربه.

إنه لعلم للساعة، وعلم عليها، ذلك من تواجد كلمة الله وتماها، وخرج للناس كلمة الله وقيامها. يشهده الناس يدا لله مبايعة، ووجها لله مشرقا، وحوضا لله مورودا. عرفه لنفسه من كانه محمدا، ومن كانه كلمة الله، ومن كانه آدم الله، ومن كانه عبد الله، أو من هو قائمه عبدا لله، ومن كان مرجوه في تكاثر لا يخرج عن وصف العبد لله والوجه له واليد منه، حتى يدرك بالأرض له في معناه لمشرق الشمس عليها، فيعرف عن مغرب أرضه بمغرب الشمس عنها، لا شروق ولا غروب، ولا غروب ولا شروق، ولكنها الحركة ولكنها الحياة. ظاهر الغروب كامن فيه شروق، وباطن الشروق يظهره

غروب. أي ظاهر الغروب باطنه شروق، كما أن باطن الشروق غروب. إن الليل لا ظهور له إذا طواه النهار، وإن النهار لا ظهور له إذا طواه الليل. ولكن الليل وإن طواه النهار لا انعدام له، وإن النهار وإن طواه الليل لا فناء له. إن الليل والنهار أمران لله، وأمران في الله، وأمران في الإنسان، بالله يقومان، وبالله يتجددان، وبالله يبطنان، وبالله يظهران ما بين ظاهر وباطن من كيان، ما بين خلق وحق، ما بين عبد ورب. العبد ظاهر الرب إذا قام عبداً، والعبد باطن الرب إذا قام رباً. العبد بالرب يعمل، وبالرب يقدر، وبالرب يسعى، وبالرب ينطق، ولأمر الرب يكتف، وهو للرب وجه، وهو للرب يد، وهو للرب عين، وهو للرب قدم يسير. والرب بالعبد يظهر، وللعبد يعرف ويعرف، وإليه يتعارف، وبالعبد يترقى ومعه يعرف، لا فرق بين العبد والرب في إنسان الله، يوم يقوم الإنسان بوصف ذكر الله باطنه رب وظاهره عبد، أو ظاهره رب وباطنه عبد. (استمهلتي حتى يصلي ربي) ٢ (بل الرفيق الأعلى) ٣... - عبد يحجب ربا - رب يحجب عبداً..

هذا ما جاء به محمد عليه السلام، وهذا ما قام به محمد عليه السلام، وهذا ما هو به قائم محمد عليه السلام، وهذا ما سيبقى به قائم محمد عليه السلام، وهذا ما كان به محمد في قديم قانماً، في قديم لا يدرك، وسيبقى به في أبد لا ينتهي، وسينمو به ويتعالى به ويتداني به في تواجد لا ينقطع، وإشراق لا يغيب عن الأرض. جعلت الشمس عليه دليلاً، ولكنه يسير في الأرض بين مشرقها ومغربها، لا بل تدور فيه الأرض زويت له مسجداً وطهوراً، شرقها حيث يشرق، وغربها حيث يغرب. لا.. إنه شمسه تستقبله فيتواجد الشروق، وتدبر عنه فينفلق ليومها الغروب، نجماً بالعلم وسلطانه إلى الأرض هوى، وبكتاب الله عليها قام، وبالحق فيه لها طوى. قامه الحق فكان يوم ندائه، وليل سكينته، وجفر رحمته، ونهار نعمائه، يطوي النفوس المحترقة في الله ليل سكينته فتجع وتهداً وتسكن، كما كان النهار المشرق لله يطوي النفوس الخاملة، ماتت بعد حياة، فيشعلها جذوة مشرقة بنار الله، بنار قدس الله، فتألق وتحترق، ويصدر عنها نور الله، ينشأ فيما لا تعلم وفيما تعلم، وقد أوجدها مما تعلم ومما لا تعلم، وأقامها فيما لا تعلم حتى تعلم لما لا تعلم، ويتوفر لها حقي العلم بما تعلم. الظاهر مرآة الباطن.. من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.. اتقوا الله ويعلمكم الله.. انظروكم ضالين يأخذ بأيديكم الهادي والهادين.. اعلوكم مفتقرين يأخذ بيدكم صاحب الخوض والواردين. على أساس من هذا يقوم الدين، وعلى غفلة عنه وعلى محاصرة له يهدم الدين، وتظلم قلوب الكافرين، وتطفأ عقول الغافلين، ويتخلى النور، ويطبق الظلام، ويتخلى الليل بسكينته، ويتخلى النهار بجلوته عن طالبي العدم، ويتحقق لهم بإرادتهم من إرادة الله كانوا لأمرهم العدم ومعاني العدم. إن الله غير عاجز أن يحقق طلب الطالبين بالحياة لأنفسهم أو بالعدم لأنفسهم، بالبقاء لحياتهم أو بالتخلي عن الحياة لبقائهم. إن الله على كل شيء قدير وليس الناس بمعجزيه يوم يطلبون ما يطلبون، فقدرتة إنما هي في تحقيق ما يشاءون، كن كيف شئت فإن

الله كيفما تكون يكون، وما تشاءون إلا أن يشاء الله ما تشاءون. إن العباد والخلائق لهم لا يحققون لله طلباً فلا طلب له عندهم، ولكنه يحقق لهم ما يطلبون وهم الفقراء إليه.

إذا لم يقيم على هذا فقه الدين فلا فقه للدين. وإذا لم تقم على هذا حكمة الدين فلا عمد للدين. وإذا لم يسق من هذا بماء اليقين فلا حوض يورد للدين. إن الدين أن تعرف جوهر الحياة ومعنى الحياة، وأن الطريق أن تسلك سبيلك إلى موارد الحياة فتردها فتحيا باسم الله ذكراً لله وبيتاً لله.

من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز. إن الزحزحة عن النار إنما هي في دنيا قيامك، وإنما هي في حاضر فعلك يوم تتعرض لنفحات الله في عصرك وفي قائم حياتك، وما نفحات الله إلا عباد الرحمن على الأرض يمشون عليها هونا، وما نفحات الله إلا عباد الرحمن يدبون على الأرض في قيامك رسلاً من أنفسكم يفتحون لكم كنوز قلوبكم. (إن الله كنوزاً مفاتيحها الرجال) ^٤.. المؤمن مرآة المؤمن.. (خلفت الله عليكم) ^٥، {قائم على كل نفس بما كسبت} ^٦ فلا إنباء ولا نبوة بعد اليوم عن قائم موجود في العيان وفي الشهود...

رجال هم مصاييح الطريق، يعرفون مسالك السلامة، {الرحمن فاسأل به خبيراً} ^٧، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} ^٨. {أتأمرون الناس بالبر، وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون} ^٩. {مثل الذين حملوا التوراة [من قبلكم] ثم لم يحملوها [مثلهم] كمثل الخمار يحمل أسفاراً} ^{١٠}، وقد حملتم الكتاب والسنة من بعدهم وما أنتم لم تحملوها، ترككم الرسول على المحجة البيضاء، كتاب الله وعترته، وقال لكم إن هذه المحجة البيضاء سينالها الغبار ويعلوها الصدأ من فعلكم وغفلتكم وتحريفكم الكلم عن مواضعه، وسيبعث الله على رأس كل قرن من يجدد لكم أمور دينكم. وما قد مضت أربعة عشر قرناً، وكلها جدد الله على رأس كل قرن، وعلى رأس كل جيل من الناس، وعلى رأس كل أمة من قومه في قرون متداخلة، وأجيال من الناس متشابكة متداخلة، في أوطان متجاورة ومتباعدة، لحق به أناس وتخلف عنه أناس، ترفعون طبقاً فوق طبق كما تردون إلى الأرض طبقاً بعد طبق، تبعثون على الأرض طبقات، وتخلون عنها طبقات، وكلها جاءها قرن، وكلها جاءها طبقة، وكلها جاءها جيل، وكلها تداخل جيل بجيله في جيل بنهاره، وكلها أوج جيل بنهاره، في جيل بليله، وكلها تداخل ليل جيل بنهاره، أو ناره بليله، تواجد الإنسان في طريق كماله، وفي استقامة أحواله، في الأرض مزواة له.

جعل الله من محمد مثالا وقدوة، كما جعل به للناس أسوة وقدوة ارتضاها، ولنفسه في نفسها هداها ويهدها أمرها، ومن الناس رحمة منه ما ميزها إلا بما أعطاها، وجعل في عطائها البشري لمن والاه. جعل منها قدوة وجعل من قسوة الحياة في قيامها بها وصبرها لله في أمرها أسوة، حتى يصبر الناس

لأمر الحياة في أمرهم {خلقنا الإنسان في كبد} ^{١١}. وما كانت المشقة به إلا تذكرة لمن يخشى. فما كان بقديمه في حاجة لسعي، وما كان في حاجة لتمام، فقد تمت به له في قديم كلمة ربه، وكان مثالا لتمام أبيه وربه، واصطفاء الأعلى له ليكون عضده وعبد، وقد سوى به بين العبد وربه فجعل من الولد رفيقا للوالد حبيباً وخليلاً فيه، فرأى الوالد في الولد كما رأى الولد في الوالد وجه الرفيق الأعلى له، فطلب الذكر القديم للذكر المحدث إن شاء أن يبقى كلمة الله في الأرض أبداً وإن شاء رده إلى الأعلى لهما عبداً وولداً، فطلب المرجع للأعلى، فأعطي الكوثر حتى لا يتخلى عن الأرض بقدوته ومعناه في كوثره ومبناه، حتى يجدد نفسه بكماله وجميع أحواله، حتى لا تسلب الأرض عطاءها من الرحمة به، فاستعان بربه على أن يسوي جديده بقادمه بحاضره لقديمه، {رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين} ^{١٢}، فأجاب سؤاله كما أجاب موسى من قبل، وأمره بالصبر والصلاة وأهله حتى يطبق القانون بمحدثه، فعرف أنه حي في قبره وقد ارتضى ربه لنفسه ولده وجديده منه ولياً، ولعين معناه تقبله فصار له خليلاً وعليه دليلاً فطلب من ربه له ما عرف مما به شرف فعبدته لنفسه على ما عبده، وصنعه لنفسه على ما صنعه. كيف لا وهو الولد الذي رأى فيه الوالد وجه الأعلى مرآة له، فسأله أن يجعله منه في جديد متكاثر مرآة له، وأن يجعله له منه لنفسه لمن يؤاخيهِ عين معناه، وطلب أنه من خلاله يتكاثر بنفسه ويحييه بعثاً لأبائه بالأكبر من عطائه، فأجيب سؤاله وقام بالله أمره في أمر بيته وولده وعترته، وجعل الله ذريته في ظهر عليه، وجعل من زهرائه أم أبيها في أبنائه قدوة للناس وربما للناس من رب الناس في رب الناس.

أحاط بالأرض وزويت له، وجعلت له مسجداً وطهرت له، وقيل له يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنى، وقد أظهره ربه على الدين كله فقال أمة مذنبه ورب غفور، ما أرسلت إلا رحمة للعالمين وإني لا أدين أبداً، اذهبوا فأنتم الطلقاء، وسأبقى حياً في قبري في جوار الرفيق الأعلى لا مكان له، تعرض علي أعمالكم فإن وجدت خيراً حمدت الله وإن وجدت شراً استغفرت لكم. وإني لتارك فيكم ذا قرنيتها من أنفسكم دائماً متجدد بدوامكم وتجدد أجيالكم. (أما يرضيك يا علي أن تكون أنت أخي، أنت مني بمنزلة هارون من موسى) ^{١٣}، بل عباد مكرمون. إن الله عبادا يغبطهم النبيون والشهداء على مكانتهم من الله يوم القيامة.

لم يتعال على الناس بمكانته من ربه، وخفض جناح الذل وهو العزيز الممكن رحمة بالناس، ولم يظهر بجبروت سلطانه وهو القوي، ولم تمتد يده بطغيان حتى على أهل الطغيان، ولم تمشي قدمه بغير الحق حتى بين أهل البهتان منزهة عن مقابلة البهتان بهتان، حتى إذا ما تحقق له النصر وطوى الأرض وعلاها، لم يمشي مرحاً ولا مختالاً ولا نفوراً بإحسان على ثراها.

تخلق بخلق الله، فأثنى عليه الله {وإنك لعل خلق عظيم}، فقال بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، فلها تكشف القانون في قوله تعالى {قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا}..^{١٥} وقد كان في المرتبة وتجاوزها قال مالي والدنيا، أنا في الدنيا عابر سبيل استظل بظل شجرة ثم مضى، وإني لماضٍ، خلفت الله عليكم وقد عرفتم أنه القائم على كل نفس، وتركت فيه منه بينكم عبداً له ورسولاً من أنفسكم أخاً لي وإماماً لكم وولياً عليكم، يا علي أنت ذو قرنيها، فمن كنت مولاه فعلي مولاه، وما أنا عليكم بوكيل إلا من آمن بالله وعرفني رسولاً له. وسألقاكم مرة أخرى يوم أولد منه. إني أرى فيه في مرآة الأخوة وجه أبي، وإنه ليراني في مرآة من أبنائه وجه أبوته، فعلي مني وأنا من علي، وولده مني وأنا من ولده. كل بني امرئ يدعون إلى أبيهم إلا بنو فاطمة فأنا وليهم وأنا أبوهم، أنا من حسين وحسين مني، وأنا من حسن وحسن مني - أعطيت جوامع الكلم - روعي وشجرتي ونفسي وأم أبيها وعذراء وجودي ومعنى موجودي. إنهم أهل البيت الموضوع بي لكم، إنهم الحوض المورود للمؤمنين منكم، إنهم الوجه المشهود للعارفين من بينكم، إنهم الحق المقصود في قبلة صلاتكم ومطاف حجكم، حجبته عنكم غشاوة الجحود، وغشاوة الكبرياء، وغشاوة الغفلة، وظلام الشرك. إنهم أهل البيت يوم ينفخ خلال أسوار ذواتكم وفي بيوت قلوبكم من روحه، فتشهدون وجه القلوب الحية وجوها لله، والبيوت المطهرة بيوتاً لله بعيون بصائرهم.

إنهم عباد الرحمن، إنهم عترة القرآن، إنهم كوثر الإنسان، إنهم بيوت الله يذكر فيها اسمه، موضوعة أو مرفوعة، إنهم أسماء الله في الذكر القديم تقوم بالذكر المحدث باسم الله الرحمن الرحيم. إنهم سفن النجاة، إنهم موارد الحياة، إنهم أبواب السماء، إنهم عيون الأرض بالجزاء أو الابتلاء، إنهم يد الله منبسطة بالرضاء، إنهم قدم الله بالسعي للعطاء جزاءً وفاقاً لأهل الصدق والرجاء.

هذا في دين محمد، هذا في دين الإسلام، هذا أمر هذا الدين يوم يقوم لهذا الدين أمر. هذا هو الطريق المستقيم يوم يستقيم الناس في حياتهم، ويستقيم الناس في دينهم. هذا علم الدين يوم يقوم للدين علم، وهذا علم الدين يوم يقرأ للدين كتاب. ولكن ماذا كان من أمرنا في قديم؟ وماذا كان من أمرنا في قائم؟ وترى ما يكون من أمرنا في قادم؟ هل ندرك؟ هل نستيقظ؟ وما نحن في قائم إلا بعثاً بجديد لقديم من الظلام ما قامت فيه حياة، وما قام فيه نور، وما قام فيه رجاء. هل سنقول كما قال آباؤنا قبل الإرسال، وقبل الرسالة، وما عادوا إليه بعد الإرسال وبعد الرسالة إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتفون؟ فما نحن الأمويين، وما نحن العباسيين، نحن الهاشميين، وما نحن العثمانيين، وما نحن العرب والمستعربين، فأين هم المسلمون؟ أين هم المؤمنون؟ أين هم الموحدون؟ إن الآباء والأجداد بعملهم تحت نظر الأبناء يوم يتفكرون، ويوم يستيقظون وإلى أنفسهم يتوجهون، يرون أنهم

على ضلالة وعلى غير هدى يقومون. إن ركب الحياة في تقدم وارتقاء وهم في تخلف وبلاء، فالناس إلى الأمام بالعلم يسيرون، وهم بالجهل إلى الخلف يتقدمون فلا يميزون بين الخبيث والطيب مما ورثوا، بل ما تكشف لهم من الحق كلما تجدد بينهم الدين يتجنبون. وبكل رذيلة من قديم يتمسكون. وكيف قام هذا الخبيث من الأمر في حياتهم لا يتبصرون. الحلال بين والحرام بين ولكنهم مع الآباء في إصرار من العناد يعمهون، وسيرا إلى حياة الأبناء بجهلهم وفسادهم يسرون، لا أنفسهم يصلحون ولا أبناءهم للقدر يتركون، والجهل على الأرض الطيبة يفرضون. وما جعل الله كمال العلم به فرضا على المؤمنين فما كلف نفسا إلا وسعها من المسلمين. من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، لا إكراه في الدين. فلا يخلفون من بينهم ولا يتركون من بعدهم إلا الضالين هم لهم مضلين، وسحبا من فساد وظلام عن الأرض بأشباحهم لا روح فيها يتصاعدون، فيفسدون السماء بعد أن كانوا في الأرض من المفسدين وفسادهم يبعثون.

إن الله لا يقبل السجناء في المادة ولا الأسرى للمادة، لا يقبل الجهلاء ولا المستكبرين، ولكن الله يفتح ذراعيه بالقبول والرضا لمن تأمل وتفكر فيه بحرية كاملة ولو انتهت إلى الحيرة فيه، أو إلى الشك فيه، أو إلى الكفر به، أو الإنكار عليه. إن الفكر الطليق المتحرر الباحث عن الله لا يحيط بالله، ولكنه يحمل نفسه ما لا تطيق فيشق عليه الأمر. فإذا رد الأمر إلى نفسه وطلب إلى عقله أن يقرأ كتاب نفسه، وأن يتردد بالنظر إلى نفسه لوجد ربه ووجد نفسه، وعرفها خصيما لله بوهم ربوبيتها في عزلة عنه بعزته. ويوم يعرفها على ما هي من معاني الخلق من معاني الأرض والسماء، ويدركها جهازا لخالقها وخالق السموات والأرض. يوم يعرف ذلك، يدركه له خلقا وعبدا، ويعرفها له كرسيًا وعرشًا، فيكون بها في الله بيتا وربا، فيسير إلى حضرة الله ويسير في الله، في حاضر من قيام، وفي موجود من قائم بسلام، وهنا يعمل العقل، وتستيقظ النفس. وهذه هي المجاهدة في الواسع العليم وعد معها بالهدى منه في ارتداد العقل إلى نفسه في نوراني أمره سبيلا لله. يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فلاقه، إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني، فليؤمنوا بي وليستجيبوا لي لعلمهم يرشدون. ويوم قال الرسول (خلفت الله عليكم)^{١٦}، وقال الله هو خاتم النبيين، وقال الرسول (علماء أمتي كأنباء بني إسرائيل)^{١٧}، انتهى الإنباء وقد كشف الغطاء، {فأينما تولوا فثم وجه الله}^{١٨}. {ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير}^{١٩} {فكشفنا عنك غطاءك}^{٢٠} (لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة)^{٢١}.

كل هذا قاله الرسول. وكل هذا جاء به الكتاب. وكل هذا تجدد بيننا المرة بعد المرة، والكلمة بعد الكلمة، وتجاهلناه من الله، {من يهد الله فهو المهتد} ^{٢٢}. وتجاهلناه أنفسنا به، وأنكرنا على من كانه وقلنا: آللهتنا خير أم هو؟ وتعلقنا بأربابنا مما تهوى أنفسنا من عاجل أمرنا، وما تهوى أنفسنا من ذليل أمرنا ممن نقيم على أنفسنا، أو نتخذ أربابا ممن جعلتهم الفطرة زينة الحياة الدنيا، نتخذهم من دون الله فيمن نختار سواء لدنانا أو لديننا ليكونوا قدوة لنا، وعنوانا للمثنا، مما هدم الدين بيننا وما هدم كياننا، وأفسد علينا مزرعتنا من دنيانا وانفرط معه عقدنا من أمرنا، في بعد عن رب لنا هو معنا يرعانا ويجمعنا. نسأل الله المغفرة والعفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، لنا ولآبائنا، وأن يصلح للحق منه أبنائنا.

اللهم إنا قد فرطنا في أمرنا، وغفلنا عن أنفسنا، وتركنا لمعاني النفس فينا قياد عقولنا، فانعكس في الحق أمرنا، وانكبينا نسير على وجوهنا، وانفرط في الحياة عقدنا، وتلاشى فيها قيامنا إلا من رحم. اللهم بحقك معنا فوجهنا، وبه فأحيننا، وابعث فينا كلمة الحق لنا، وبكلمة الحق فأقننا، وبها ألف بين قلوبنا، ووحيد جمعنا، وألف نفوسنا وقيامنا، وعلى قلب كلمة لك فاجمعنا، وبها فابعثنا، وبها فانشرننا وارحمنا، واجعل منا يد رحمة منبسطة، ويد عزة واقية، ويد نعمة شافية، ويد قدرة دافعة ماحية محيية.

اللهم اجعل نطقك على ألسنتنا مستقيما، واجعل صوتك في آذاننا رحيما، وقنا شر القوارع وشرور أنفسنا، واهدنا حكاما ومحكومين، وارحمنا يقظين وغافلين، وخذ بنواصينا إلى الخير أجمعين.

أضواء على الطريق

(إني أحثكم دائما على أن تذكروا الحقائق الروحية الأساسية. ابنا عليها ديانتكم وفلسفتكم وأخلاقكم وضميركم. ما لدينا هو الحق البسيط. إن الذين يرون بعيون الروح يرون ما وراء حدود فواصل الجنس أو الوطن أو المناخ أو اللون أو المذهب أو الزمن، ويتبصرون عقدة الروح التي تربط كل البشرية في وحدة).

من هدي الروح المرشد (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الشورى - ١٣
- ٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومعناها في السياق.
- ٣ من حديث أخرجه البخاري ومسلم عن لحظات انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى، فجاء له ملك الموت وقال: السلام عليك، يا رسول الله أرسلني الله أخيرك بين البقاء في الدنيا وبين أن تلتحق بالله فقال: النبي صلى الله عليه وسلم، بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى..

- ٤ حكمة مأثورة تتناغم مع الحديث الشريف: "إِنَّ مِنْ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَعَالِيْقَ لِلشَّرِّ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ". أخرجه ابن ماجه في سننه، وهكذا صححه ابن حبان.
- ٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٦ سورة الرعد - ٣٣
- ٧ سورة الفرقان - ٥٩
- ٨ سورة يوسف - ١٠٨
- ٩ سورة البقرة - ٤٤
- ١٠ سورة الجمعة - ٥
- ١١ سورة البلد - ٤
- ١٢ سورة الأنبياء - ٨٩
- ١٣ العبارة تشير إلى أكثر من حديث شريف موجه من الرسول صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه: ١- الحديث الشريف حين آخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أصحابه بعد الهجرة، فقال لسيدنا علي: "أنت أخي في الدنيا والآخرة". أخرجه الترمذي، وابن عدي، والحاكم. ٢- الحديث الشريف: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي". صحيح مسلم وصحيح البخاري.
- ١٤ سورة القلم - ٤
- ١٥ سورة الكهف - ٨٦
- ١٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٧ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلاء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر". أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". أخرجه أبو داود والحاكم.
- ١٨ سورة البقرة - ١١٥
- ١٩ سورة الملك - ٤
- ٢٠ سورة ق - ٢٢
- ٢١ من الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم؛ إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيت المقدس وأثكاف بيت المقدس". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة". أخرجه الحاكم.
- ٢٢ سورة الكهف - ١٧

(١١)

القيامة

وإنها لقائمة

في قيامك بالحق: القيامة في السلامة وفي قيامك بنفسك: القيامة في الندامة

حديث الجمعة

٢ ربيع الآخر ١٣٨٢ هـ - ٣١ أغسطس ١٩٦٢ م

السلام على من اتبع الهدى، وخشي عواقب الردى. السلام على من سمع فاهتدى، وعمل فاقتدى. السلام على من استمع القول فاتبع أحسنه. السلام على من طلب وجه الله، وذكر الله بالغداة والعشي، بالكور والآصال، ولم يكن من الغافلين عن ذكره، مع أنفاسه قاصدا وجهه، راجيا رحمته، طامعا في جمال طلعتة. السلام على من عبد الله عبدا لله خالصا في طلبه واستقامته، يريد وجهه ربا معبودا بوجهه عبدا عابدا.

دخل أعرابي على رسول الله يوما، فقال له: إني لأرجف من ذكر القيامة، ذكرها يزلزل داخلي، وتتوء به نفسي. فقال له الرسول: وماذا أعددت لها يا أبا العرب؟ وإنها لقائمة. قال: (ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام، ولكنني أعددت لها محبة الله ورسوله. فقال: أنت مع من أحببت.)^١

(إنها لقائمة). وماذا أعددت لها؟ وماذا أعددت لهذا الأمر القائم؟ ماذا أعددت لأمر تنتظره ولا ينتظرك، ولا ينتظرك وتنتظره، لأمر هو أمر الله، لقيام هو قيام الله، لشأن هو شأن الله؟ يأتي لك يوم تفتح عليه عينك، يوم تدركه، يوم تبصره، يوم تعمل لتراه فتراه، وترى أنه رائيك، وأنه رآك، وأنتك ستبقى مرثيا منه. متى غاب الله عن قيامه حتى ينتظر له قيام؟ ومتى احتجب الله في قيامه حتى يكون له ظهور، وهو المعروف، وهو الموجود، أعطى كل شيء خلقه ثم هدى؟ إن الذي يهلك نفسه ويقوم بربه إنما هو الإنسان. إن الذي يحجب ويكشف عنه له عن معية ربه إنما هو الإنسان.

وأمره في هذا بيده ما طلبه في أوانه. وبعيد عن النوال ما فقدته في إبانته. (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)^٢. (موتوا قبل أن تموتوا)^٣. (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)^٤.

الإنسان في الهو، والناس في إنسانه، في جلايب من النور أو في جلايب من النار، أو في جلايب من الظلام والتراب. إن الناس وهم في جلايبهم من الأرض، بين يدي رحمته من الإنسان في جلايبه من النور، أو في جلايبه من النار، تسوقهم جلايبهم من النار، وتشهدهم جلايبهم من النور، كفى بنفسك اليوم عليك حسياء، يوم تأتي كل نفس معها سائق وشهيد، سائق من نفسها في جلبابه من النار، وشهيد من معناها في جلبابه من النور، ومسئول من قيامها وذاتها وجوارحها، في ذات نشأت من التراب، في ذات من الظلام، أنسى الحفظة ذنوبها يوم ارتضاها، وكشف لها عن فجورها يوم قلاها. أئتلك آياتنا فنسيته وكذلك اليوم تنسى. إن هذا الذي تلوكه ألسنتنا من القول، نقلا عن منقول الحديث، أو ترديدا لكريم حديث، أو استماعا لصادق حديث ليس أمرا في خيال ولكنه أمر في واقع وقيام عند مدرك للحق، طالب للسلام، وهو عنه غافل، أمر ينتظره فإن استيقظ عمل له، وإن عمل له كشف له، وإن كشف له قام أمره، وكشف عنه غطاؤه، فاحتد بصره وبصيرته، فرأى بعين بصيرته، رأى ما رأى أهل البصائر، انعكس بصره في بصيرته فرأى. رأى أمر ربه، ورأى خلق نفسه، ورأى خلق السموات والأرض، رآه من يطلب ومن يهوى وما يهوى، رآه عبده، رآه فناء فيه، فقامه بقاء به، عبدا ويذا ووجها، دخل في حصن لا إله إلا الله، دخل في شهادة أنه لا إله إلا الله، تواجدت فيه له من الله لمحتة، ومن الحياة ساعته، وقامت به بالحق قيامته، مات عن نفسه، فأحياه ربه بمعيته منه حياة طيبة له، فتألف سائقه، وصاحبه وخالقه، فما ساقه، وتألف شاهده فامتزجه، ما حاسبه وما راقبه، ولكنهما تحابا وتخاللا. لم يرد إليه عمله مقبولا ورد إليه عمل ربه به له مبذولا، فقد قبله لنفسه وقد قام فيه، شغلته مرضاته عن مجاهدته، غنيا عن العالمين في علم عنه راضيا عنه لغير علة في عقيدته به. عرفه لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، ورآه بالطاعة والمعصية يصلح شأن عبده الذي قام في طاعته، فعرف المطاع ليس غيره، وجانب أمر معصيته، فرأى المجانب عن المغاضبة ليس غير ضميره ووعيه. {من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها}^٥. من اهتدى إلى ربه إنما يهتدي إلى نفسه، يوم هو زكاه ما دساها، يوم هو هيا لها سبيل الزكاة والحياة، فأحياها بعقله، وقوله، وعمله، ومسعاها، فاهتدى إليها معية من الله، مرادة منه، ووجهه إليه، ووحدانيته عنده. ومن ضل فإنما يضل عليها. {إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا}^٦. ضل عليها يوم كفر بها لخالفها، ولم يردها لمن أئتمه عليها. وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. تأتي إليه كل نفس معها سائق وشهيد، سائق في جلباب النار من أمر الله، وشهيد في جلباب النور من أمر الله.. هذا أو ذاك إنما هما يدا رحمته، ويذا حكمته، لمن كانت في جلباب التراب

نشأته وهو في عماء عن أمره، ينتظره بحسن طويته من الخير الكثير، ومن العلم الكثير، ومن العطاء الكثير، ومن الحق الكثير، ومن الحب الكثير. هو في عمائه أبصر من بصائر الملك والجن، ما خلقه الله إلا لنفسه. ما خلقت الإنس، وما خلقت الجن، ما خلقت الجن وما خلقت الإنس إلا ليعبدون، إلا ليكونوا عبادا لأنانيتي فقد خلق الله النفوس من النار، وخلق الله العقول من النور، وخلق الله الذوات من التراب، وأوجد الإنسان بمعناه لمعناه كلها فيه أبعاضه وصفاته.

تواجد النور والنار في أسوار الذات، وقيود الحس، وعجز الصفات، وما أوجدهم الله ليكونوا فيما يشعرون به في سجن الضيق، والعجز عن القدرة، وأسر الذات. ولكن الله أوجدهم ليكونوا أحرارا، ولتكون السموات والأرض لهم دارا، وليكون الله معهم بأنانيته في معاني الأنانية لهم، في قرب قاب قوسين أو أدنى، أقرب إليهم من حبل الوريد، بمعيتة لا تفارق، وفي مخاللة محيية لا تنفض، وفي حب متصل لا ينقطع، وفي عطاء متواصل لا يجذ. هذا هو الإنسان في عمائه. هذا هو الإنسان في بلائه. هذا هو الإنسان في عالم ابتلائه ليلوكم أيكم أحسن عملا. فإذا أحسنتم العمل استوظفكم في وجوده أيدي له، وأقدام له، ووجوه له، وعيون له، وآذان له، وأفواه له، وألسنة حكمة له، وكتبا له، وكلمات طيبة له. كل هذه أوصاف العبد فيه، إذ يجعل منكم عبادا له، يذكر عند ذكركم، ويعرف في عرفانكم، ويلاقى في معرفتكم ليلوكم فيما آتاكم، فإذا ما ابتلاكم فأحسنتم أشهدكم خلق أنفسكم في جديد لكم منكم، وأشهدكم خلق السموات والأرض دارا لكم، بها يتسع خلق السموات والأرض، فإذا ما وعيتم ودريتم جعل منكم عضدا له ويذا له يفعل بها للآخرين ما فعل لكم بسابقين لمعانيكم. {والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون} ^٦ {وما كنت متخذ المضلين عضدا} ^٨ ...

يوم يسيركم جبالا ويقطعكم أرضا، يبعضكم أحياء، إذ أحييتكم كلاً وأحييت أبعاضا، يقطع أرض ذواتكم قطعاً حية، فكانت يديكم يد الله، وقدمكم قدم الله، ووجهكم وجه الله. {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا} ^٩. إنكم قيام السموات والأرض في تماسكها ووحدتها وفي أوزارها ودخانياتها، يدعوكم إليه فتستجيبون لندائه وتلبون طلبه، فأنتم للعالم ذاتها ودخانياتها، بعقولكم وقلوبكم وذواتكم ومعانيكم. إن بيان الكتاب لكم هو ما تبينه الروح اليوم لكم، وما أبانته مع من قبلنا من سالف من الصالحين بها ممن أبان لكم، على إحساس به، ومساس له، نورا يقوم في النفوس فتزكو، ويقوم في العقول فتتحرر، ويقوم في القلوب فتحي، ويقوم في الذوات فتتوحد، ويقوم في الجوارح فتتبعض، ويقوم في الباطن فينطلق، ويقوم في الظاهر فيتخلق. إن هذا الذي نقول لكم والذي هو ليس جديدا عليكم فقد جاء به الرسول، وأبانه مجددا للفطرة من قبله تجددت به الفطرة فيمن بعده، فردده وبينه من عمل به، فقامه وأقامه، واستقام مع ربه، فبه في

الناس نشره وأظهره، فقوم به وجدده، وأوجد به فعدده، وتكاثره فامتده، فرأى في نفسه ما وعده، ورأى في قومه ما شهدته، فاستقام على ما عرف استقامة من استقام على ما عرّف، فكان بما عرف عين من عرّف، فصلى لربه ونحر، وأمات نفسه، والله بقيامه ذكر. هذا هو الخير في أمة رسول الخير، وهذه هي الرحمة في أمة رسول الرحمة، وهذا هو الحق في أمة رسول الحق.

ماذا عرف الناس؟ وماذا طلب الناس؟ وماذا وعي الناس، حتى يجددوا قديما بخير، وما جددوا بما وعوا من قديم إلا كل شر، وحتى يزرعوا في جديد، ما عرفوا مما جدّ من الخير فيهم، ولكنهم لا يزرعون في الجديد، إلا ما جددوا من الشر بهم؟ يسوفون الله، ويسوفون الساعة، ويسوفون القيامة، ويسوفون الجزاء، ويسوفون الرحمة، ويسوفون الوهب، ويسوفون الميزان والعطاء، ويسوفون يوم الدين، وكل شأن من ذلك حاضر قائم بقيام الله، في قيام الله، ما ذكر الله، وما عرف الله، وما كشفت نفس أمرها من الله، ولم تفرط فيه أمرا قائما من قائم أمر الله.

إننا نشهد في هذا العصر وفي هذه الأيام جديدا من الأمر ومزيذا من الكشف في سفور الرقيب، وسفور الشهيد، وسفور السائق، يرسل الشياطين على الكافرين فتؤزهم أزا، ويفجر الأرض عيونا، ويفتح أبواب السماء بماء منهمر، ويفتح معارج السماء، فينظرون ويعرجون، ولا يدركون، سكرت أبصارهم بأوهامهم فهم مسحورون بفعل أنفسهم. كل ذلك اليوم في نشاط الروح ورسالته.

عباد الله، ارحموا أنفسكم، واتقوا الله، وقدره حق قدره، واعلموا أنكم بين المعلوم والموهوم من قيامكم والدائم الخالد من مآل نشأتكم، إنه في قيامكم هذا من نشأتكم هذه يخرجكم من الأرض، ويهيئكم لروحه، ولنوره، روحا تنفخ في روح قيامكم بذواتكم فتتخللها، ونورا يضاف إلى نور حياتكم لقاائمكم به منها تنطلقون ولها تشهدون، مضاعفة الحياة لكم، فإن زلت بكم القدم فضعف الممات ينتظركم، تموتون ثم تموتون، ثم تموتون في هاوية من الموت، يتلاحق عليكم الموت، حتى تكونوا في عذاب الهوان، في عذاب الهون، في عذاب كينونتكم بالقطيعة، ومعانيكم بالحرمان، وحياتكم بالنقصان، لا نار إلا هذا ودون ذلك عذاب الحريق، ولا جنة إلا ذاك، ودون ذلك السموات والأرض بما فيها دارا لكم. قدروا الله حق قدره، واعلموا أنكم خلقتم منه لنفسه، ويوم يفوتكم هذا لا يعود إليكم، وإن فاتكم فبالهوان في رحالكم تردون.. وإن لم يفتكم فيوم تكسبون هذا فبالعزة تردون، ودون ذلك الجنة والنار تملكونها وتملكون ناصيتها ومن فيها - إنها فرصتكم - واعلموا أنكم في هذا الطور من الحياة، وفي هذا النظام من الحياة، تحددون مستقبلكم، باختياركم، وبرضائكم، وبعملكم، وباصطفائكم للطريق لأطوار من الحياة وعوالم من الحيات، إما في طريق الرحمة ترحمون وترحمون، وإما في طريق الكبرياء والعزة تستكبرون وتعتزون، والمستكبرين والمعتزين تلاقون، فإن سلكتم طريق الكبرياء فإلى هلاك محقق، وإن سلكتم

طريق الرحمة إلى خير محقق وحياة محققة. إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا، هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

نسأله أن يهدينا سواء السبيل، وأن يجمعنا على الحق والدليل، ويفتح لنا كنوز أنفسنا، وكنوز قلوبنا، وكنوز ذواتنا، فتسعد بالله معانينا، ونسعد بالله معنا وبالله فينا، ونسجد نحن في الله، لا يحيط به محيط، ولا يدركه مدرك إلا بقدر ما علم، وبقدر ما أقام من العلم فيه عنه، نسأله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، نسأله أن يولي أمورنا خيارنا وألا يولي أمورنا شرارنا، وأن يهدينا برحمته وبحكمته وبقدرته، وبعزته وبنعمته سواء السبيل حكما ومحكوما، أئمة ومتابعين، يقطن وغافلين، وأن يأخذ بناصيتنا إلى الخير أجمعين، وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائه.

أضواء على الطريق

(إنكم تطورتُم في جسمكم المادي خلال ملايين السنين. تغيرتم ببطء وبالتدريج من حالات أسفل إلى حالات أعلى صاعدين من الطين صوب السموات، وفي بطن تخلف الوحش وراءكم وبدأ الروح الأعظم في الظهور.

كم من ملايين السنين مرت عليكم لتصلوا إلى ما أنتم فيه اليوم من أجسامكم المادية، ولم يستكمل بعد هذا التطور. فكم من ملايين السنين ينتظركم قضاؤها في تطوير نفوسكم. فليس هو بالبعيد ذلك الزمن الذي كنتم فيه قرود بالروح التي تعمل في هذه الأجساد. إن صور الحياة جميعا من الروح الأعظم أينما كانت لكم حياة وكيفما كانت فلکم نفس الروح الأعظم بدرجة ما من الأسفل إلى الأعلى. فهو الحياة وجماع الحياة. وهناك روح جماعية لكل الأجناس أنتم جزء منها.

هذا هو السبب في أن أخط شكل للحياة في أخط جزء من العالم المادي، يتصل بالروح الأعظم، وبأعلى قدیس وطأ الأرض منذ الأزل، فالأعظم فيهم جميعا. إن أخطر مجرم وأجمل نفس في عالمكم إخوان لأن الآتي من الأعظم في كل منهما. لا يمكنكم الهروب من القانون. وهذا هو السبب في أنكم جميعا مسئولون عن بعضكم البعض).

(برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ إشارة إلى حديث شريف: "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرٍ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أَحَبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّتْ." الراوي: أنس بن مالك. صحيح البخاري.

- ٢ مقولة من حديث للخليفة عمر بن الخطاب. أخرجه أحمد في (الزهد)
- ٣ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى". أخرجه البخاري.
- ٤ "النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهَوْا". قول للإمام عليّ كرم الله وجهه. المحدث: السيوطي. المصدر: الدرر المنتثرة.
- ٥ سورة الإسراء - ١٥
- ٦ سورة الإنسان - ٣
- ٧ سورة الذاريات - ٤٧
- ٨ سورة الكهف - ٥١
- ٩ سورة الرعد - ٣١

(١٢)

عبد من عباد في دورة للرشاد لحق في عماء في دثار من رجاء

حديث الجمعة

٨ ربيع الآخر ١٣٨٢ هـ - ٧ سبتمبر ١٩٦٢ م

انشقت عنه الأرض، كائنا من الناس، غاب عن نفسه إلى الأسمى من أمره فمات عن أمره وبُعث بأمر ربه، عنون الحق بخلقِه وهو ما زال في جلابب خلقِه، فشرَّع للناس بستته، وحمل إلى الناس من حقيقته حديثا خالدا على الزمان، شأن متحدثه عين متلقيه. في ألوان من المقال، ومصادر من القول رسم للناس ما يحْيِيهم بما فعل وما وهب، ليفعلوا ويتعرضوا لهبات يد الله ممتدة برحمة مهداة، أفرادا يستقيمون، وجماعات يتوحدون، وأما يتجددون، وسلطانا يتبادلون، وامثالاً للأعلى ينتظمون، حتى إذا ما حان الحين لغياب فردِه، ليتجدد بأهله، ويتوحد بجمعه، ويقوم بأمتِه، وينتشر بدِينِه وشرعته، ظهورا لكوثره، ودواما لبلاغه، وقياماً لبَيانِه وسماعه حج البيت للوداع، فتكلم في عرف مظهره كلمة الوداع وما ودع، ونزل من علويه حيث صار وما انحط بما فعل وبما عرف إلى الوادي حيث البيت الموضوع رمزا لبيته من المكان المرفوع، رمزا لذكره من دائرة المعرفة بربه إلى دائرة الأمانى لساحته، إلى دائرة البيت لقومه بأهله فدخل البيت مطأطئا، لم يرفع، وصلى منه على الناس، يبارك ويشفع، لا يسأل ولا يُدين، ربا للناس غفورا رحِيما، تمت للناس مكارمه، متخلقا بأخلاق الأعلى الواسع في غفرانه وكرمه، الذي تعالى على الناس إدراكه، فكان هو عبدا له به عرف، ورسولا منه به عبد، ورفيقا منه للعباد مدانيا من الرفيق الأعلى له علم وعنهما علم، ودَّ لو لم يدخل البيت حتى لا يشق على قومه فيكون الدخول مفروضا في شرعته، وحتى لا تلتزم بالأمر من بعده أمتِه، ودَّ لو وقف تشريعَه على تلبية النداء من المؤذن للصلاة، من يوم الجمعة من نفسه، ودَّ لو لم يجعل من مناسك دينه وشرعته أن يدخل فريق من أمتِه البيت، مطأطيء الرؤوس فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، فرض على المعلمين ليعلموا ويعلموا، وعلى الدعاة ليلبوا وينادوا، وعلى الراشدين ليتبعوا فينتشروا.

يستقبل الناس البيت مصلين، ويطوفونه حاجين، ويدخلونه عارفين. من دخله كان عليه أن يصلي على الناس لتكون صلاته سكا لهم، والناس مأمورون بصلاتهم أن يقيموا صلتهم بمن في البيت بأهل البيت يصلون عليهم، مؤمنين أن الله من ورائهم محيط يصلي وملائكته على من في البيت، ويصلي بهم على الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويصلي من الناس عليهم من ورائهم محيط لترتد أعمال الناس بالصلاة عليهم إلى أنفسهم مضاعفة مزاكاة.

هذه شرعة من شرائع الإسلام.. شرعة الحج.. شرعة الطواف.. شرعة الوقوف بعرفة.. شرعة الوقوف عند قدم جبل الرحمة.. شرعة الاستقبال من جبل الرحمة.. شرعة الانتظام والتناسق في دوائر من رجال، رواسي الأرض ماثلة في حلقة من جبال حول ساحة معرفته بعرفة، وساحة رحمته بمنى، وحول بيت إفاضته وقبلته بالبلد الحرام، الذي شاركت في إعداده الطبيعة بإعداد المكان قبل مجيء الإنسان. هل عرف الناس ما عني بهذا المنسك؟ ما عني بهذه الشرعة؟ إنه يوم اعتزم علم الحق أن يجدد علمه، وأن يشرح معلومه دخل البيت، وصلى على الناس، فكل للناس العلم عن دينهم، وأبان بذلك للناس أمره وأمرهم، فأمر أهله بالصلاة والاصطبار عليها، وقد تولوا زمام الأمر من أمره، إذ دخلوا بيوت أنفسهم متابعين، لم يخرج ولم يخرجوا من قلوبهم بعد أن دخلوها لأنفسهم مجددين، وترك الأمر للمصلين، وللطائفين، وللعاكفين، وللراكعين، والساجدين أن يقيموا مناسكهم مجاهدين ومتابعين، وأن يقوموا طريق استقامتهم عاملين، فأمر أهله أن يأمرُوا طالب الاستقامة، صاحب النفس البكر العذراء، أن يأمرُوا فيه البشرية، الآدمية في قيامها، والإنسانية في نيامها، في شخص كل صادق، وكل فارق بين الحق والباطل، كل مجاهد لنفسه، كل طالب لأن يستقيم على أمر ربه في شخص صديق من صديقين، وفارق من فارقين، إذ قال لأهله: مروا أبا بكر فليصلي بالناس، فليصلي أمام الناس، فليصلي إماما للناس، فليقدم الناس، فليتقدم على الناس ليتابعه الناس على فعله، فيعلمون ما علم، ويستقيمون على ما عليه استقام. ما فضلهم أبو بكر بصلاة أو صيام، ولكن فضلهم بشيء وقر في الصدر، وكم ضرب الرسول على صدره مشيرا (التقوى ها هنا، التقوى ها هنا)...

فكيف صلى أبو بكر بالناس؟ وكيف صلى خلفه الناس؟ وكيف اتقى الناس؟ وكيف عرف الناس؟ هذا هو أمر الإسلام، إذا طلب الناس أن يعرفوا ما الإسلام. وهذا أمر الدين، إذا طلب الناس أن يعرفوا ما أمر الدين. كان على أبي بكر أن يلي نداء أهل البيت بالحج والصلاة بما وقر في صدره، تجديدا لإيمانه بصاحب البيت وقد تجدد البيت، وأن يستقبل البيت في صلاته حتى يستقبله الناس، وأن يعرف بما يعرف عن أهل البيت في صلاته حتى يعرف الناس. كان عليه أن يستقبل البيت الذي عرف، ووجه الرب الذي به شرف، وأن يلي نداء أهل البيت، كما لبى من قبل نداء البيت وقد

أشرق قلبه بفجر يوم الجمعة، وأن يجدد صلته وصلاته بأهل البيت، كما أقامها البيت فيه له، بما وقر في صدره، وبما أدرك من أمره. ولكن أبا بكر ضعف أمام نفسه وأمام الناس، كما ضعف في كل زمان أبو بكر. ضعف كما ضعفت كل نفس عذراء خالية من التجربة. ضعف كما ضعف آدم من قبل. وعهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما. ضعف عن مجابهة الجهل وخشي أبا جهل ونسيه أبا جهل. ضعف عن مقابلة الطغيان، وخشي أبا سفيان ونسيه أبا سفيان. خشي الناس ونسيه الناس، فتوجه مع الناس ولم يوجههم، وصلى مع الناس ولم يصل بهم، وطغى عليه الناس، ولم يطغ هو عليهم بإيمان، ووقف عهده لأهل البيت عند نفسه، معللا نفسه بالاستقامة، وبالبعد عن الملامة واهما في ذلك السلامة يوم قال للناس (ارقبوا محمدا في آل بيته) ^٢. وما فعل هو، وما راقب هو محمدا في آل بيته حتى يرقب الناس محمدا في آل بيته. وأهل بيته ومعناهم من بيته هم الدين وهم الباب واليقين. هم قبلة الصلاة للمصلي، ووصلة النجاة للطالب للنجاة من المنجي، وهم بيت الحجيج، ومنارات الطريق. هذا كان، وهكذا سيكون، وهكذا هو كائن من أمر أمة محمد إلا من رحم، لا يعرفون لهم قبلة، ولا يعرفون لهم بيتا، ولا يستقبلون لهم في صلاتهم وجهاء، ولا يطوفون في معانيهم بغاية من رشد، ولا يتخذون لغايتهم وسيلة من بيت. لا دليل لهم، لا راشد ولا رشيد بينهم، لا رشد يُطلب، ولا ظلام ينبذ، ولا طغيان يقاوم، ولا طريق تستقيم. لا منار لهم في طريق إن طرقوا، ولا هم لهم في سلوك إن سلكوا، ولا وعي لهم عن منسك إن تنسكوا، ولا رشاد لهم من نور إن قرأوا، أو استمعوا، معالم الدين منقبرة خافية، مندثرة بالية. الدين بينهم أئمال لا تجذب نظرا، ولا تحمل أثرا، ولا تُبين خبرا، ولا تُفنى أو تستهلك ملبسا.

ما الدين الذي تشهدون؟ إنه معالم لأمر مندثر لا حياة فيها ولا إعلام عنه. لو صدق انتسابها إلى المعلوم بها لكان الإيمان في الكفر به وبها، وفي الجفوة له ولها، والبعد عنه وعنهما. إن الله وقد منح العقل وشرّفه، وكان العقل للإنسان به شرفه، وعي، وجاهد، واستقام، فخار، فضل، فاهتدى، فإلى من شرف به هدى. (العقل أصل الدين) ^٣ كما قال مؤسس الدين، ومجدد الفطرة، وكما قالت الحياة بآياتها ومعالمها، وكما قال كلها قال ومن معه من يدرك آيات الله في نفوس الناس، وفي أنفسهم، وفيمن حولهم، وفي الآفاق، بما فيه وفيهم من العقل، فمن يدرك إلا العقل، ومن يقرأ إلا العقل، ومن يترجم اليقين والآيات للناس إلا العقل، ومن يحملها للناس إلا العقل، ومن يستجيب لها بالعقل إلا العقلاء، وما يعقلها إلا العالمون. أوقف الله العقل بين يديه ثم قال له أدبر فأدرك حكمة الأمر فأدبر، ثم قال له في إدباره وهو المدير: أقبل نفلح من الإدبار، وانقلب إلى الإقبال راضيا مرضيا، سعيدا

بإدباره يوم أدبر امتثالا لأمر أمره، مسعدا بإقباله يوم أمر بالإقبال، فأقبل شوقا إلى أمره، عرفه المأمور وعرفه بآمره الأمر، فاستقام على أمره ولم يخدع عن أمره.

العقل .. العقل .. هو مناط الشرف، وهو مصدر الأمر بالتكليف، وهو محل القيام في الاستقامة على المأمور.

العقل .. من موهوب ومكسوب، هو مصدر للتشريع، ومصدر لكلام الله، وحديث الله، وهدي الله، ونور الله، يصدر من العقل الموهوب، يوم يدخل البيت فيصلي على الناس، ولا يرفع الرأس إلى أعلى، فيصلي عليه الأعلى ويدانيه، به يقوم دانيا للناس في معانيهم، فيقول للناس مأمورا، لا آمرا، جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، فيسن لهم بسابعة حيرته طريقهم إلى أمر نهايته قدوة وأسوة. هذا ما أراده الرسول يوم دخل البيت في حجة الوداع ليبيئ أمره من نفسه، ويجدد أمره من أهله، ويكشف أمر أهله أمر ربه ونفسه، ليقول للناس (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم)، ما دام النور الذي أنزل علي يتواصل نزوله، ليقول للناس (لا تزال طائفة من أمتي قائمون على الدين ظاهرين لا يضرهم من خالفهم) ° حول البسملة لم ترفع من بعدي، ليقول للناس: لا زال هذا الرشاد، لا زال هذا العلم، لا زال هذا الوعي، يحمله عدول من هذه الأمة برجال طبقة بعد طبقة إلى أن تقوم الساعة، هم عترتي وقرين كتابي إلى أن تتجدد هذه الأمة وهذه الرسالة تجديدا كاملا شاملا، يوم تأتي رسالة بيانه بجديد ربي في دوامه. وذلك يوم يتجدد للناس في الناس من الناس قديم عنوانه، يوم يبعث من خلاله، يوم يتجدد قديم إنسانه بجديد إنسانه حتى يعرف الناس معنى الإنسان وكوثره في خالده وأبتره، فيقدروا قيمة أنفسهم بمعنى الإنسان، ويدركوا فيجانبوا أنفسهم في معنى الحيوان والشيطان. إن فعلوا غيروا ما بأنفسهم وعرفوا الله في أنفسهم، أقرب إليهم من حبل الوريد، فقدروا الله حق قدره متعاليا مدانيا، بعيدا مقاربا، قلب كل شيء، والظاهر بكل شيء، والقائم بكل شيء، وعلى كل شيء. كل الأشياء عليه علم وله معلوم ومنه أعلام. كل الأسماء اسمه أو هي أسماؤه، وكل الأعلام وجهه أو هي أبنائه، أينما تولوا فثم وجه الله.

إذا عرف صغير الإنسان في كبير الإنسان الأكبر وعين معناه عرف ربه في نفسه، فعرفه عين كبيره وعين الأكبر وجهها لهما وعنوانا عليهما، عرف الشفع والوتر، عرف التجديد والتعديد والصمدية والتوحيد، عرف المتجلي والصمد، عرف الصفات والأحد، عرف الله ما ينسخ من آية أو ينسها يأتي بخير منها أو مثلها، عرف الله المتجلي في تجليه الدائم الباقي بجديده المتعالي بقديمه الناسخ والمنسوخ، الموجد والموجود، المتواجد والمشهود، الغيب والشهادة، الدنيا والآخرة، العاجلة والآجلة، الأولى والثانية. عرف الله بوجهه حيثما ولى، وعرف الله وراء كل ما ظهر. عرف الله المخبر

وحامل الخبر وعين الخبر والمدرك للخبر. عرف الله النبأ والمنبئ والمستقبل للنبأ وما وراء المنبئ وما وراء المستقبل للنبأ. عرف الله جديدا لا يتوقف جدته، وعرف الله قديما لا ينتهي تقادمه. عرف الله أزلا لا أزل له بآزاله، وعرف الله الذي لا أزل له أبدا لا ينتهي آباده، ولا يتوقف وصف الأبد له بتجلياته باقية أبدية. عرف الله إذا ما اتصف بالغيب، فهو الغيب، وغيب الغيب إلى ما لا نهاية له. وعرف الله إذا ما اتصف بالشهادة، فهو الشهادة وعين الشهادة ما يظهر من الشهادة مشهودا بلا نهاية لتواجد للشهادة. {والسماء بنيناها بأيدي وإنا لموسعون} ^٦، {أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم} ^٧، (خلقت كل شيء من أجلك فلا تثعب) ^٨ يا من سبق أن خلقتك من أجلي ولنفسي، ولتصنع على عيني، وأنت يا من أخلقتك لنفسي لا تثعب، فكل شيء ما خلق أو يخلق إلا لك ومن أجلك، ويوم تحقق لي ما خلقتك من أجله بيتا لنفسي، أحقق لك ما تطلب وما تريد، من كون ودار عرضها السموات والأرض ما خلقت إلا بيتا لنفسك.

أيها البيت الصغير.. أيها العالم الكبير، لا تستهن بأمر نفسك وكن بإرادتك عالما كبيرا بإرادتك إرادة الله، وفعلك حكمة الله، وخلقك تجلي الله، وخلقك صفة الله، ومشيتك مشيئة الله، {وما تشاءون إلا أن يشاء الله} ^٩. {والله خلقكم وما تعملون} ^{١٠}

إن البيت الموضوع ما زال موضوعا، والنور الذي أنزل معه ما زال متصلا بنزول لم يتوقف، والبعث لنفس البيت بأهله ما زال متصلا ببعث أصولها لها كلمات إليها منها حتى يأتي منها آدمها وأصلها مبعوثا من خلالها من وراء ظهرها إلى قيام مشهود لها وأمام وجهها، {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم} ^{١١}، حتى يجليها لوقتها وتشرق الأرض بنور ربها وهي به في دوام مشرقة ليصير ويوضع الكتاب وهو لقارئ موضوع، ويؤتى بالنبيين والشهداء وما غابوا عن عالم، ويقضى بينهم وما غاب قضاؤه عن تقي، ويحمد الله وما من شيء إلا ويسبح بحمده. يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق، وأن الحق على كل نفس قائم أدرك أو لم يدرك العقل، وأحست أو لم تحس النفس.

على هذا قام الإسلام وبهذا يقوم الإسلام ويتجدد، وبهذا قام المسلم وبهذا يقوم المسلم ويتعدد. إن الإسلام وهو دين الفطرة قامت به الفطرة وجددته، حتى جدده خاتم النبيين وأول العابدين، كمال المعرفة، وشمول الرحمة، ونصب القدس، وبيت القبلة، ووجه الغيب، وحق الإنسان للإنسان بحقه في معنى الإنسان، علما على معلومه عن المنزه المطلق الذي تنزه على الأسماء والتسمية بالفطري المسمى، وتنزه على تغيير الذات والذاتية بعلم الفطرة بأزلي الإنسان يظهر لأبدية في معاني الإنسان فيه منه يتشرف بأسمائه، ويتواجد بذكره، ويتعالى ويتداني بيوتا فيه، بعباد له منه إليه، أعلام عقول

والسنة مقول يُقبلون عليه بالنداء، ويدبرون عنه بالحكمة، إله في السماء، وإله في الغيب بإنسان السماء، وإنسان الغيب، وإنسان الشهادة، هو إنسان في الأرض، وإله في الأرض، قل جاء الحق وزهق الباطل، فمن عرف الحق في كل مكان، ومن عرف الحق في كل زمان، أقبل على الحق في نفسه لا يغيبه، وفي عالمه وعن عالمه لا يبعده. ومن غاب عليه أمر الحق، ورأى في معناه عين الباطل، وفي عالمه عين الخدعة، فجنب ما رأى من الحق، وتعالى على ما عرف منه فأدبر عن الحق، بقضاء الحق وحكمته، بعث على ما هو عليه وجاءت سكرة الموت بما عنه حاد. أما من لم يتثقل إلى الأرض، وتعالى في السماء انطلاقاً إلى الروح في انطلاقها وحريتها، وإلى رحابة الوجود في الواسع العليم بسلطان الله فيه فلم يكن أمره فرطاً، فإنما أدبر بحكمة الله عن محصور بيته، ومحصور عالمه، ومحصور قيامه المادي، وإن له إلى الأرض لإقبال ورجعة، وإن له عما قامه من إدبار عنها، لإدبار عما هو إليه، في بعث إليها ومجيء لها، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات عنده، ويحن لتعريف قومه بما جعل الله له من تكريم، فيؤذن له فيأتي ليقول: هاؤم اقرأوا كتابيه بيتا موضوعا لبيت مرفوع.

هذا قانون من قوانين الفطرة، ومن قوانين الحياة، ومن قوانين الوجود، جاء به الإسلام حتى يكون المدبرون من أهل المادة من أهل الأرض على استقامة في أمرهم بحكمة الله، وحتى يكون المبصرون في أنفسهم، وحتى يكون طالبو الله في أنفسهم وفي بيته من قلوبهم أقرب إليهم من حبل الوريد، في استقامة في مسلكهم.

إن الإسلام، وقد أظهر الله رسوله على الدين كله، فجاء لقومه بالدين كله وقال لهم لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، إنها إن تكن مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة في السموات أو في الأرض يأتي بها الله، إن الله واسع عليم، رفع بعضهم فوق بعض درجات، سيد القوم خادهم، إن الله قريب ممن قاربه، وإن الله بعيد عن باعده، إن الله يبايع بنفسه الناس على أنفسهم، فإن عشقوه قتلهم وكانت عليه ديتهم، ومن كانت عليه ديتهم كان هو ديتهم فكانوه، إن الله يحييهم بالموت، إن الله يميتهم عن أنفسهم بالحياة، ما الموت إلا الحياة، وما الحياة إلا الموت في الحي القيوم، هو الحي في حياتك ما حييت به، وما نفسك إلا الميت في الحي القيوم، إن الموت إنما هو معنك من عزلتك عنه، واستقلالك عنه، فإن رددت إليه الدين وأمانته التي بها استدانتك وأدانتك، وأرجعت للديان نفسك، بارك لك فيما أعطاك، وملكك وعليه استأمنك، فكنت وجهها له، {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك} ١٢. وها أنت وجه ربك تبقى ما أدركت هذا فبقية على ما أنت في كوثر بكثارك، وتفنى ما غفلت عن هذا فأفانيت نفسك عن معنك وما أفانيت الله في معنك فهو الباقي والقديم بمعناه، في وصف وقائم قيام معنك، {والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء فإذا جاءه لم

يجده شيئاً ووجد الله عنده^{١٣}. إن البقاء لربك بوجوهه والفناء لنفسك في تكاثر خلقك فصلّ لربك وانحر.

كل هذا جاء به الإسلام، وكل هذا جاء به رسول الفطرة وأمينها وعنوان الفطرة وعلمها، ظاهر الغيب من الإنسان ومن الله، ذكر الله المحدث بعينه لذكره القديم، يد الله عند الناس تمد، ووجه الله للناس يشرق، وحوض ماء الحياة فيهم منه يدوم ويمتد، ونور الحياة، ونور المعرفة، وروح الدوام، وروح الأبد والأزل. هذا هو رسول الإسلام وإنسان الله وعبد الله، ورب الناس وملك الناس وإله الناس، ربهم فما عرفوه، وملّكهم فما أطاعوه، وغاب عنهم ذاتا من ذوات وما آمنوه، وأبلغوا أن فيهم رسول الله ففي أنفسهم وفي معانيهم كفروه.

إنكم عوالم الله، هو لها رب وهو لله عبد ما آمنتم بالله ورسوله في أنفسكم. (ما عرفني غير ربي)^{١٤}. صدقت يا حبيب الله، ومن ذا الذي يعرفك إن لم يؤمن بك ويهدي من الله إليك، فتكن أولى به من نفسه ومن ماله وولده! {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}^{١٥}، (أنا جد كل تقي)^{١٦}. إذا كان كائن البشرية حقيقة جديراً أن يكون ابناً لآدم وهو له أب، فليعلم أن آدم كان جديداً لقديمه من الحق، فكان معنى ولده لجديده في الحق، فالرسول لك مؤمناً جديداً وقديماً وجدك من قائمك، يوم يكون لك به ابن ولك به أب، يوم يكون لك بيت.. يوم يكون لك من الوجود به أم وأهل. إن الرسول لا يعرف من لا يعرف له أباً ولا أمّاً. إنه لا يعرف من لا بيت له ولا أهل له. إن الذي يجعل بيته من المادة لا بيت له، والذي يجعل أباه من المادة لا أب له، والذي يجعل أمه وأهله من المادة لا أم ولا أهل له. إن الذي ينكر على المادة أن تكون له بيت، وله أهل وله أب، وله أم، فذاك هو اليتيم.. يتيم الكون.. ويتيم الكائنات.. هذا هو الذي يصلح لأن يكون الله له أباه وأمه وأهله وبيته. ومن كان كذلك أمر الرسول أن يجعله منه، على ما جعله الله منه.. {فأما اليتيم فلا تقهر}^{١٧}. وحال الرسول يخاطبنا في دوام.. وجدني يتيماً فأواني فتواجد لي الأب والأم والبيت والأهل، وإني إن وجدت بينكم من أدرك اليتيم فكان في هذا سعادته فسيجدني له من الله الأب والأم والأهل، كما يجدني منه إذ يجدني في جديده، إن فارق قديمه، وإن عرفني عرفني على ما يليق أن أعرف، وعلى ما يليق أن يعرف الله. ما عرفني من عرفني في قابليته وزعم قابليتي للعدم، وأنا الحي في قبوري، وأنا الحي في وجودي، وأنا الحي في القلوب، من رأيي فقد رأيي حقاً لا يموت ولا يغيب، {واعلموا أن فيكم رسول الله}^{١٨}، {واعلموا أن الله أقرب إليكم من حبل الوريد، واعلموا أنكم في الله، واعلموا أن فيكم رسول الله، ورسول الله فيكم يطلب الله أتم فيه، والله أتم فيه يطلب عبده فيكم، فأنتم تحولون بين العبد وربّه بغفلتكم وبمادي قيامكم، والله يحول بين المرء وقلبه فيكم، ما حلت بين عبده فيكم وربّه عليكم بمادي

قيامكم. أسقطوا أسوار قيامكم بين العبد وربّه، يسقط الله الحواجز بين عقولكم وقلوبكم، فتعرفون الله أنتم وتعرفون الله في معنائكم، وتعرفونكم في الله لا مخرج لكم منه، ولا حيلولة بينكم عنه، إن فعلتم فكنتم، فهذا هو الإسلام، يوم تشهدون أنه لا إله إلا الله، ويوم تعلمون أن فيكم رسول الله فتشهدون أن محمدا رسول الله.

اللهم يا من أظهرت محمدا على الدين كله به علمنا.

اللهم يا من أوجدته وتواجدته وآوَيْته، به أوجدنا وتواجدنا وآونا.

اللهم يا من أبلغتنا أن فينا رسول الله، اللهم به فابعثنا، وبه فانشرونا، وفينا فانشره وبنا فأعلمه.

اللهم يا من رفعت ذكره، وغفرت ذنبه، وأعليت بيته، ولم تجعل لبشر الخلد من قبله فأخلدته يوم كثرت وجددته، وبالحق أبقيته ونشرته وبالكوثر دثرته.. اللهم به فأحينا، واجعل منا له دثارا، واجعل به لنا منارا، وبه دثرنا وبنا دثره، وبه فأعلنا وبنا فأعلمه، وإلى بيته فأونا وبيتنا له فارفعنا، وبيوتنا له فضعننا، يا من علمت هذا وهديت إليه، اهدنا واهد بنا، ويا من أعطيت كل شيء خلقه، قدرنا على خلق أنفسنا، ويا من قدرت فهديت قدرنا على الاهتداء بك إليك فينا، وعلى الدخول عليك بمشيئتنا نعلبها مشيئتك. خلصنا من الشرك بك، وارجعنا لأنفسنا إليك موحدين مؤمنين أوابين مستغفرين، وبرحمتك فارحمنا يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

{إن الله لا يغفر أن يشرك به} ١٩

{وهو معكم أين ما كنتم} ٢٠

{قائم على كل نفس بما كسبت} ٢١

{ونحن أقرب إليه من حبل الوريد} ٢٢

{والله من وراءهم محيط} ٢٣

(ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان) ٢٤

(ازرع كلمة الله في أرض ناسوتك) ٢٥.

{قل جاء الحق...} ٢٦ {... ووجد الله عنده} ٢٧

{والذين آمنوا بما أنزل على محمد وهو الحق...} ٢٨

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ حديث شريف: "المسلمُ أخو المسلم، لا يَخُونُهُ، ولا يَكْذِبُهُ، ولا يَحْذُلُهُ، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ، عِرضُهُ، وماله، ودمُهُ، التقوى ها هنا وأشار إلى القلبِ بحسبِ أمرئ من الشرِّ أن يَحْقِرَ أخاه المسلم". أخرجه الترمذي باختلاف يسير، وأخرجه مسلم مختصراً.
- ٢ قال أبو بكر: "ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته". صحيح البخاري.
- ٣ عن علي ابن أبي طالب قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفعي، والطاعة حيي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة. ذكره الغزالي في الإحياء، والقاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ومعظم المتصوفة.
- ٤ من حديث شريف: "حياتي خير لكم تُحَدِّثُونَ ويَحَدِّثُ لكم ووفاتي خير لكم، تُعَرِّضُ عليَّ أعمالكم فما رأيْتُ من خيرٍ حَمَدْتُ الله عليه، وما رأيْتُ من شرٍّ استَغْفَرْتُ الله لكم". أخرجه النسائي والطبراني.
- ٥ من الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي على الدينِ ظاهرينَ، لعدوِّهم قاهرينَ، لا يضرُّهم مَنْ خالفهم؛ إلَّا ما أصابهم من لأواءٍ حتَّى يأتِيهم أمرُ الله وهم كذلك". قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيت المقدس وأكاف بيت المقدس". أخرجه مسلم والبخاري بخوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.
- ٦ سورة لذاريات ٤٧
- ٧ سورة يس - ٨١
- ٨ استلهاما مما جاء في بعض الآثار: يقول تعالى: ابن آدم، خلقتك لنفسي فلا تلعب، وتكلفت برزقك فلا تتعب، ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فأتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء. وذكرهما كذلك المناوي في فيض القدير. قائلا: "ولم نعثر بعد البحث على عزوهما للنبي صلى الله عليه وسلم فعلهما مما روي عن أهل الكتاب."
- ٩ سورة الإنسان - ٣٠
- ١٠ سورة الصافات - ٩٦
- ١١ سورة الأعراف - ١٧٢
- ١٢ سورة الرحمن - ٢٦-٢٧
- ١٣ سورة النور - ٣٩
- ١٤ حديث شريف ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".
- ١٥ سورة الأحزاب - ٦

- ١٦ إشارة إلى الحديث الشريف: "سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ آلُ مُحَمَّدٍ فَقَالَ كُلُّ تَقِيٍّ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ}. أخرجه الطحاوي في ((أحكام القرآن)) مختصراً، والعقيلي في ((الضعفاء الكبير))، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) باختلاف يسير.
- ١٧ سورة الضحى - ٩
- ١٨ سورة الحجرات - ٧
- ١٩ سورة النساء - ٤٨ , سورة النساء - ١١٦
- ٢٠ سورة الحديد ٤
- ٢١ سورة الرعد - ٣٣
- ٢٢ سورة ق - ١٦
- ٢٣ سورة البروج - ٢٠
- ٢٤ عبارة صوفية متناغمة مع الآيات الشريفة التي جاء فيه أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض.
- ٢٥ استلهاما من تعاليم السيد المسيح وهو يدعو حواريه أن يزرعوا "الكلمة" أي كلمة الله، أي المسيح في أرض ذواتهم.
- ٢٦ سورة سبأ - ٤٩
- ٢٧ سورة النور - ٣٩
- ٢٨ سورة محمد - ٢

(١٣)

الفطرة ودينها والدين وفطرتها في الإنسان ابن الطبيعة وسيدها

حديث الجمعة

١٥ ربيع الآخر ١٣٨٢ هـ - ١٤ سبتمبر ١٩٦٢ م

براءة من الله ورسوله، لمن كان بيتا لله ورسوله، ذكرا مرفوعا، أو بيتا موضوعا، فقد قام في حكمة خلقته، وحرص على أمانة حقيقته. هذه هي لا إله إلا الله في شهودها وقيامها، كانها محمد عبد الله، فقامها رسولا لله، منارة للطريق، ومصباح صدور للرفيق، طريقا مستقيما لا عوج له، عزيزا بالله لا ضعف له، قائما بالله، لا شائبة فيه ولا شائبة له.

كان الفطرة، وكان دين الفطرة، وكان صبغة الله، وكان وجه الله، وكان الحق من الله. الفطرة ودينها ما كان وما إليه آل. والدين وفطرتها ما فعل وما قال.

فما تكون الفطرة للناس؟ وما يكون دينها للناس؟ وما يكون الدين للمستقيم عليه؟ وما تكون فطرته لطالبه ومستقيمه؟ وما تكون صبغة الله ومن كان من الله صبغته؟ هذا ما جاء به العبد وقامه. جاء به وقد جاء له من نفسه لنفسه ليعرفه فعرفه. وأمر ليعرفه فعرفه للأسود والأحمر والأبيض فكان تعريفه لما عرف وما به في نفسه بعث وشرف رسالته. وكان مجيئه بما وجد به وما بعث رحمة وفطرة. وكان قيامه به بين عوالم الناس حق للخلق مقارب فكان بيته للناس قبلة في صلاة وطواف. وكان في الإسلام له الإسلام لله. وكان في الرضاء منه رضوان الله. وكان في الرضاء عنه الرضاء عن الله، وفي الحب له الحب لله فكانت في الصلة به الحياة. وكان في المتابعة له النجاة، وكان في المخالفة له والتخلف عنه الهلاك والثبور وعظائم الأمور، كان فيه الهلكة والعدم، كان فيه الشقاء والمشقة، كان فيه العذاب والقطيعة، كان فيه الهاوية، كان فيه الداهية، كان فيه كل ما يبغض الإنسان، وكل ما يكره

الإنسان، وكل ما يخشى الإنسان، على نقيض ما كان في أمر الصلة به فيها ما يحب الإنسان، وما يرضي الإنسان، وما يسعد به الإنسان.

أبرزه الغيب عنوانا على الغيب ومراة للغيب وقياما للغيب بين أهل الشهادة وهم مرايا الغيب، فكان في أهل الشهادة عين الغيب بعين الشهادة، وكان في مشهوده لأهل الغيب، في قيامه بشهادة لهم لشهادة منهم بعين الشهادة عين الغيب. رآه أهل الشهادة بغيه عين الحق وبشهادته عين الخلق، ورآه أهل الغيب في شهادته من شهادتهم أرق الخلق، وفي غيبه مشهودا لهم عين الحق. وعرفه الكبير المتعال جماع وعين الحق لأهل الحق في الغيب والشهادة، عالم الغيب والشهادة، أظهره على الدين كله. عرفه الرفيق الأعلى لمعناه عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، عبد الغيب والشهادة، وموصول الغيب والشهادة، وعين عالم الغيب والشهادة عالما للغيب والشهادة، فكان سيّدا في أهل الغيب والشهادة، وخادما لأهل الغيب والشهادة وقد أظهره على الدين كله. عرف وعرف كيف هو خلق للسموات والأرض لمن هم أصل للسموات والأرض من أهل الغيب والشهادة، كما عرف وعرف خلق نفسه لمن هم نواة جديد لنفسه لتكاثر، وكان عضدا ويّدا لمعبوده من الغيب والشهادة، بها أوسع معبوده وموجوده ومشهوده ومنشوده دائرة السموات، وتكاثر الأرض أوسع في السموات والأرض، وخلق به السموات والأرض في لانهائي وجوده، ولانهائي فراغ تواجده فاستدار الزمان على هيئته من قديم فيه بإبرازه ورسالته كيوم خلق السموات والأرض، في دورة هي العصر في لانهائي الدهر، لا بداية له ولا نهاية له، تخلق الزمان به في دورته كيوم تخلق المكان له بالقدرة لحضرته دارا عرضها السموات والأرض، فتواجد في المكان مخلوق الإنسان، اتسع المكان لموجود الإنسان، فكان الإنسان داخل المكان وخارج المكان، وداخل الزمان وخارج الزمان بين خلق وحق، هو موصوف ومجهول الإنسان، وقائم وقيوم الإنسان. يقوم الإنسان حقا، ويقوم الإنسان خلقا، وما أوجد وخلق الإنسان خلقا إلا موجود الإنسان حقا صبغة الله، صبغة الله في حقي الإنسان، وكّابُ الله في خلقي الإنسان.

الإنسان بين معاني العبد ومعاني الرب في الله، ما كان العبد إلا الإنسان وما كان الرب إلا الإنسان، كلاهما وجه لله، وهما وما بينهما حقيقة واحدة من حقائق المطلق في لانهائي الله، فما كان الله بأناه الجامع لمعاني العبد فيه والرب منه، وما بينهما من عوالم الروح، وما يقومان فيه من عوالم المعاني إلا الإنسان صبغة الله، وعلمها عليه، وذكرها قديما فيه، على مثاله يداني بالذكر المحدث منه، إنسان خلقه على صورة إنسان حقه، في حقيقة منه من رآها رآه وعرفه حقا من حقائق الله، في نسبية معارجه لمعناه في مطلقه، وكالات ذواته للانهائي ذاته، وتجليات أسمائه، وتداني صفاته بآلائه في كائناته.

إذا قلنا الفطرة ودينها، وإذا قلنا الدين وفطرته، كان في معرفة الفطرة ودينها معرفة الإسلام، وقيام الإسلام، وسفور الإسلام، الناس فيه بمولدهم، والناس في طريقه، وفي البعد عنه بفطرتهم، في موالد آبائهم وأجدادهم، إما أن يكونوا ذرية طيبة من أصول طيبة تابعت أصولها بإيمان فإليها رجعت، ومنها بعثت ببعث الآباء من الأبناء في الكائنات الطيبة بالأصول الطيبة في قيام طيب، مجيئاً للفطرة في قادمها على أحسن تقويم، بعثاً وتجديداً للفطرة في قديمها في أحسن تقويم، مجاهدة بالفطرة في قائمها عبداً ورباً لقديمها وقادمها. صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة.

هذه هي الفطرة للوجود في كلياته وإلى ما لا يحاط به، وفي صغير جزئياته إلى اللامرئي فيه، وفي واسع موجوده على ما نشهد أو ندرك، وفي نامي وجوده إلى ما لا نعرف ولا نقدر، وفي لانهائي مكنته لا تغلب ولا تقهر، وفي فراغ سعته وفي سعة فراغه ما استقام الصغير فيه في متابعة الكبير له، وما قام الكبير فيه على رعاية وخدمة الصغير منه إيماناً بالأكبر منهما في الواحد اللانهائي، وبذلك يتوحد ثلاثتهم في حق من حقائق الوجود المطلق، به كان ثلوثهم في وحدانيته جماع فطرتهم وقيام فاطرهم، واجتماع قائمهم على فاطرهم، من فطرهم كما فطر السموات والأرض لهم، وهذا أمر القيامة والساعة لهم، وما أمرها إلا كلمح بالبصر أو هو أقرب، ولكل قيامته وساعته أفراداً وجماعات.

الإدراك لهذا، والتواصي به، والعلم عنه، والقيام فيه، هذا هو الإسلام، وهذه هي شهادة أنه لا إله إلا الله، وهذا هو دخول هذا الحصن بالدخول في لا إله إلا الله، وهذا هو سفينة النجاة، وباب الحياة، وجنة رضاه، وكتاب الرضوان، وقيام الحقيقة، وظهور العنوان، في شهادة أن محمداً رسول الله، معلوم في النفس قيامه، موصول بالنفس سلامه، مقبول عند العقل كلامه، مرضي للروح والذات أعلامه، قدوة فيما ظهر به من عطاء الله له، وأسوة فيما هو عليه من ابتلائه بالناس من حوله، يصبر لجاهلهم، ويأوي ليتيمهم، في حصن لا إله إلا الله دخله فأواه، وقامه فأوى به وآوى فيه، ويوجب حاجة مساكينهم، ينعم عليهم مما هو عليه مستخلف، وينعم الله بنعمته عليه وعليهم من نعمائه وعطائه لا يجذ، فيسد فاقتهم ويقضي حاجتهم بكفيلين من رحمته، كفل من الله بجزاء هو عليه مستخلف، وكفل برحمته هو فيه مفوض. يكفر عنهم سيئاتهم ويصلح بالهم، يخرون ويخرون لهم أنفسهم إليه مبعوثين فيه، ويخرون نفسه فيهم بعثاً بالحق لهم فيقومون في وحدانية الله لا شريك له وجوهاً له، فتعرف بهم لهم فيهم وحدانية الله، ويشهد لهم فيهم أنه لا إله إلا الله، وأنهم محمد رسول الله، أمة عباد، وحضرة رشاد، وطريق سلام وإسلام وانقياد، وساحة جهاد واجتهاد وعلم ورشاد. أمة هي في ذاتها أمم، وأمم هي في ذاتها به أمة، خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف الذي هو أقرب لها وللناس من حبل الوريد، والذي هو معها ومع الناس، يوجههم ويرشدهم ويسمعهم ظاهراً وباطناً،

هم إليه أوابين، رجاعين، راجين بمحمد أحياء موجودين، وبالقرآن كتاباً قائماً متجدداً مبيناً مبعوثين، عليهم منهم مفروض وبهم لهم على الناس مشهود له به، ما قاموه فارضين، وعلى الناس به قائمين، ولجماح أنفسهم والطاغين كالجحيم، ولعقولهم ولطالبي الشهادة مرشدين، ولمعروف الحق عندهم في الخلق للخالق، في الخلق مشاهدين، عباداً للرحمن يدعون لا قساة ولا طاغين. أولئك هم المسلمون، أولئك هم لنداء الله الملبون، وفي ساحة الله القائمون لا حد لساحته، ولطلعة الله مشاهدين لا عد لتجلياته، وبمعروفهم من الله متجلين لا غياب لوجهه، ولا كنود مع الأقدس من ذاته له يشهدون وله يطلبون، فذات العين بهم في قدسها بلطفه تشهد قدس ذات الرب في قدسيتها بتشريفه، علماً على الأقدس لمعناها، ذكراً واسماً لله به يذكر، ووجهاً لله به يُعرف، وكتاباً لله به يُعلم. ذلك هو الإسلام ديناً للفطرة، به الفطرة قامت لا بدء لها، فيمن لا بدء له فاطر السموات والأرض، لا بدء لها في تواجد، ولا عدد لها في تكاثر، ولا حد لها في سعة واتساع. ذلك هو الإسلام، دين الفطرة، لا انتهاء لها، ولا بدء في فاطر السموات والأرض، فلا انقطاع لفعله، ولا توقف فيه لآثار صفاته في واسع وجوده، بواسع رحمته وجوده، فخلق السموات والأرض ضرورة تواجدت كلها خلق عبداً له، فسد فاقته، وشيد له داره، داراً عرضها السموات والأرض يقطنها، فيسكنها وأهلها، وتسكنه وتقطنه أمراً لله عليها، فإنه إن لم تسكنه وسكنها حجزته وما سكنته، وما ملكها ولكن ملكته، وإن تحرر منها ملكها ما ملكته، وما تابعها ولكن تابعته. فالإنسان مملوك الدنيا وعبدها، أو مملوك السموات والأرض وعبدها، أو مالك الدنيا من السموات والأرض وسيدها. رفعنا بعضكم فوق بعض درجات، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً. فسواء كان الإنسان في دنياه من السموات والأرض داراً له، أو في أخره من حريته متحرراً من سجن السموات والأرض، فهو الإنسان.

(الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له)¹، (مالي والدنيا، أنا في الدنيا عابر سبيل، استظل بظل شجرة ثم مضى)². تابعوني إلى دنيائي فقد استدار الزمان بي على هيئته كيوم خلق السموات والأرض. تابعوني إلى سمواتي المشرقة بنور الله، وإلى أرضي الطيبة بذكر الله، فأنا من كان عليكم نيره لطيف، لا بل من كان نيره رحمة لكم فأني لا أدين أبداً، اذهبوا فأنتم الطلقاء، أمة مذبذبة ورب غفور، تابعوني يعظكم الله مما أعطاني مما عرفتم ومما لم تعرفوا. تابعوني يحببكم الله، من تابعني كان له من الله ما لي، ارتضوني لدنياكم وأخراكم، ارتضوني راعياً لكم، ارتضوني خادماً لكم، ارتضوني أباً لكم، ارتضوني معلماً لكم، ارتضوني أخاً أكبر لكم، ارتضوني كتاباً لكم، ارتضوني معرفة لكم، ارتضوني قدوة لكم، اقبلوني أسوة لكم، أنا لكم ومنكم، ارتضوا أن تكونوا أمتي حتى تشهدوا كيف أكونكم وأكون منكم، وكيف كنتم مني، وإن فعلتم رأيتم بي من ربكم حقاً منه وحقاً فيه، (من رأيني فقد رأيني حقاً)³، فإن كنت منكم شهدتم أنفسكم حقاً له، يوم أكون منكم عبداً له، به أرى فيكم حقاً له، أنا الذي طلب منه، وهو

الرب لكم، أن أكون فيه العبد له، والخادم لكم. من رأي مولاه قمت فيه، وأقمت منه، وأشهدته مولاه، على ما أنا، وعرفته فيما عرف مما خلق وصنع في متابعتي لي، وكيف بعث بحقي، وقام في طريقي، وسار من خلفي، فقدمته أمامي إلى ربي.. إلى الكبير المتعال في ذي المعارج، إلى وجه الانهائي إلى ربي حتى يشهده في مرآة نفسه، ويعرف نفسه بنفسه فيما يصنع بنفسه لنفسه، فن كان "علي" مولاه على ما أنا له، عرف معه ما عرف من عرف معي، ومن عرف معي عرفه بأبي مدينة للعلم. من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا.

هذه هي الفطرة وهذا هو دينها، فما يكون الدين وفطرته؟ إن الدين وفطرته على فطرته أن تعرف هذا وأن تعمل للقيام فيه، فإن تحققت في القيام فيه، فاعلم أن مزيدا للقيام فيه ينتظرك، لا تنتهي معارك الرقي فيه، ولا يجذ العطاء من الانهائي به. المعرفة لذلك هي العقيدة، والعقيدة هي الدين، والدين هو المرشد، أما المناسك، أما المناهج فهي ثمرة للتجارب ممن كان عنوانا للفطرة، وثمره للوعي الفطري، وثمره للتجربة في الاستقامة، ومحاولة أخرى من المجرب ومن المستقيم، على متابعة لسابق له معتقد منه، لكل جعلنا شريعة ومنهاجا. ولو أن أهل الكتاب آمنوا بما يجب أن يكون عقيدة، واتفقوا على ما يصح أن يكون طريقا، لسقيناهم ماء غدقا، لأغرقناهم في بركات منا، لفتحنا عليهم أبواب السموات والأرض من ماء الحياة والسعادة، أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، كلمة الله جمعنا وجعلت من مرضاة الله غايتنا، نحن فيه كلماته في كلمة جامعة متابعة، ونحن فيه آياته في آية منه ممتدة، ونحن به وجوهه لأنفسنا ما تألفت قلوبنا فيه، وجوه في وجه له، وجوه لوجه له من أنفسنا، نشاهده وجها لوجه في قيامنا فنعلم ونؤمن أن المؤمن مرآة المؤمن، وأن الأخ مرآة أخيه، كلنا فيه وكلنا منه وكلنا له. الله لهم من وراءهم محيط وعلى كل نفس قائم، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله، الذي هو قيامنا وقائمنا وقادمتنا، وهو بحاضرنا، وهو على حاضرنا قائم، غيبه لا يشهد وشهادته لا تغيب. هكذا نعتقد الله الذي هو أقرب إلينا من حبل الوريد، والذي هو معنا أينما كنا، وأينما نكون، فلا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دونه، وليتواضع بعضنا لبعض به فيه أدبا له، وأدبا منه، وأدبا معه. إن الله متأدب مع عباده، ما تأدب عباده معه، يرفع عنهم وصف العبد له يوم يشهدهم معناه فيهم ليشهدوه به، لا فرق بينهم وبينه، فيحنون لوصف العبد له به يرتقون، وبمعراجهم يتعالون ويتسعون وعبادا يتجددون. لا يرفضونه ربا وإلها شهادة وغيبا، ولا يستكبرون عليه عبادا، ولا يتعالون بأنفسهم وجوها عن السجود لوجهه ما شهدوه مبعوثا بهم أو شهدوهم مبعوثين به، وقد يسجد الأكبر للأصغر أدبا أو حكمة منه، أو تعليما له، أو توجيها له في مسلك مع مطلق الله، حتى يقتديه فيسجد بدوره ويخفض جناح الذل من الرحمة لمن يراه في افتقار لرحمة الله محبوبا عنها وهو

الطالب لها مسكينا ذا متربة من ذات من تراب، أو يتيما ذا مقربة بعقل حائر ضال في ساحة الله فيأويه إلى ساحة الله يوم يأويه إلى نفسه قائمة بلا إله إلا الله، ويوم يخفض له جناح الذل رحمة به وإشفاقا عليه بقيامه محمدا رسول الله، وما خفض جناح الذل وظهر بالذل ذليل، ولكنه العزيز، الحكيم، إنه الكبير، المداني، إنه المتخلق بأخلاق الله في قربهِ وحلمه ورحمته وغيبه على العقول.

هذه هي فطرة الدين، وهذا هو دين القيمة، هذا هو دين الناس يوم يحيون بالله الحي القيوم فيقيمهم الحي القيوم بالحياة في إنسانه ربا للناس ملكا للناس وإلها للناس، يستعيز به الناس وهم لا يعرفونه، ويخضع له الناس وهم لا يشهدونه، ويعتقده الناس وهم لا يقدرونه وهو معية الناس ولا يدركونه. هذا هو إنسان القيمة من أهل الدين ورجال الفطرة وصبغة الله. الدين على فطرته يقوم في معرفة القيمة وإنسانهم، وأنهم قائمون به بفطرة الدين، وأن التخلق بأخلاقهم والاستجابة لأمرهم، والإسلام لوجوههم، والمتابعة لهم في فعلهم وسيرهم، هي صبغة الدين، هي فطرة الدين، هي الدين، هي طريق الدين للقيام ولقاء إنسان الناس في أنفسهم في سلام.

إذا عرفنا ذلك، عرفنا فطرة الإسلام، وعرفنا صبغة الإسلام، وبذلك نكون من المتدينين، ومن المسلمين. كيف ندين وأنت لا تعرف الدين؟ وكيف تكون مسلما وأنت لا تعرف الإسلام؟ كيف تكون عبدا وأنت لا تعرف الرب ولا العبد؟ كيف تكون متابعا وأنت لا تعرف الإيمان وبمن تؤمن ومن نتابع؟ كيف يكون لك بيت وأنت لا تعرف بابا للبيت، ولا أين البيت، ولا أحدا من أهل البيت؟ وكيف لا يكون لك بيت وأنت تقيم الصلاة تستقبل فيها بيتا فما البيت؟ كيف تسافر وأنت لم تركب السفينة؟ وكيف تطلب البيت وأنت لم تصل للمدينة؟ وكيف يكون لك بيت وأنت التائه في البيداء؟ أن تكون مسلما عليك أن تعرف الإسلام من أهله. أن تكون متدينا عليك أن تعرف الدين من منبعه. أن تكون مستقيما عليك أن تعرف الرفيق قبل أن تعرف الطريق، وأن تعرف وصف الاستقامة قبل أن تزعم الاستقامة، أو تُخدع في الاستقامة. هل يتواصى الناس بذلك في هذا العصر؟ هل يتواصون بالحق هو معهم، أم أنهم يتناجون عنه بعيدا عنهم لإبعاده وإقصائه عن أنفسهم، وللتخلص منه في قيامهم؟ يكذبونه باسم التصديق، ويجحدونه باسم الإيمان، ويخالفونه باسم الإسلام. ولا يقبلونه في أنفسهم، ولا أقرب لهم من حبل الوريد، ولا يقبلونهم وجوها له، ولا يقبلونه مشهودا فيما أوجد وبه تجلى، ويطلبون لقاءه مشركين، ويزعمونهم له موحدين، يباعدون بينه وبينهم في أنفسهم باسم التنزيه، والتنزيه أن لا يكونوا غيره. ويحددون له المكان فيتجهون إليه في السماء، ولا مكان له إلا في أنفسهم، أو يجسدونه في وثن من صنعهم باسم بيته فيتجهون إليه في غرفة باسم القبلة، وما جعلت إلا رمزا لما في الصدور، وما بيته إلا في قلوبهم لعقولهم، يوم تحيا

القلوب وتحرر فيه وبه العقول، يوم يحملون صفة الحياة بالحي القيوم من الحي القيوم فتندفق بالحياة مشاعرهم وذواتهم، ثم هم بعد ذلك ينتظرون لقاء له في يوم ينتظرونه وهو اليوم في يومه منتظر معهم يومهم الذي يزعمون. إن موعدهم الصبح أليس الصبح ب قريب. انتظروا إنا معكم منتظرون.

ماذا يعرف الناس عما يلوكون بألسنتهم عن اسم الله، وذكر الله، وكتاب الله، ورسول الله، ودين الله، وخلق الله وعباد الله؟ لا شيء، الا هراء.. هراء في هراء من هوى أنفسهم، ووضع أنفسهم، وتحريف الكلم عن مواضعه لإشباع شهواتهم، لا عقل فيه، ولا حق فيه، ولا صدق فيه، ولا تصديق له في ضمائرهم. هذا ما آل إليه أمر الناس مع رب الناس ملك الناس إله الناس، وهو فيهم وهو معهم وهو أقرب إليهم من حبل الوريد، وهو بينهم لوجوهه بعباده لوجوههم وجوها له، رسلا من أنفسهم، عبادا للرحمن يمشون على الأرض هونا يقولون سلاما مع الله، تسلموا أيها الناس، وادخلوا في السلم معه وانظروا جهلا في أنفسكم تعلموا أيها الناس. واعتقدوا حقا في باطن قيامكم تحققوا أيها الخلائق، ولا تسوفوا الله، ولا تسوفوا قيام الله عليكم فهو القائم، لا تسوفوا ساعة الله لكم وأقيموها بكشف الغطاء عنكم، إن الله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها. هذه هي فطرة الدين، وصبغة الدين، ومعنى الدين.

نسأل الله أن يجعل لنا دينا هو دين الفطرة، وأن يقيم فينا فطرته بعيدة عن الخصام، وأن يبعثنا بالفطرة في سلام، وأن يجعلنا كتباً تقرأ بالإيمان في عوالم قيامنا، وأن يحققنا بنا كلمات له في كتاب قيامه وروحا من وجوه سلامه نشهده لا إله إلا الله محمدا رسول الله.

اللهم أحْيِ موات قلوبنا، وابعث منا حقائق سلامنا، واكشف حجاب الغفلة عنا، وأشعل جذوة الحياة فينا، وأنر مشكاة صدورنا، وأسِر فينا بنورك بقاء قديمنا في أحسن تقويم، واجعل منا أوادم لاحقنا لأحسن تقويم، واجعلنا وجوه حقائقنا، وأدخلنا حصن لا إله إلا الله، بها أشهدنا أنفسنا مبعوثين بك فيه محمدا رسول الله، وأدخلنا فيه ساحة رحمتك، ورسول أزلك، وعبد دوامك لنشهد به في أنفسنا من العلم عن حقائقك بنا نُشهد وفينا نُثقل، وعلينا تقوم، ولنا تقوم رحمة منك، وللناس منا تقوم فيض رحمتك وعلما عليك، كما وعدت، واجعلنا من أمة صفيك أمة وسطا، خير أمة أخرجت للناس تدعو إلى الخير غير مشوب، وتأمُر بالمعروف معروفا لها، ومعروفا عندها، ومعروفا فيها، ومعروفا بها، وتنهى عن المنكر لا تتصفه ولا تتهم به، لا تشهد إلا الله، ولا ترى إلا حكمة الله، ولا تسمع إلا من الله، ولا نتكلم إلا بلسان الله، ولا نقوم ولا تعمل إلا بيد الله، ولا تسير ولا تسعى إلا بقدم الله، ولا تشهد إلا بوجه الله، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، شهداء على الناس أمّا بعد أمم لأمم وأمم، بعثا لأمم قبل أمم قد خلت منها الأرض لها ما كسبت، ولها ما به

سبقت، فكانت أمة محمد الأمة الوسط ما بين قديم الإنسان وجديد الإنسان، عن طريقها يصعد جديد الإنسان إلى قديمه مع أئمة له وشهداء عليه، وفيها يداني قديم الإنسان جديد الإنسان، حقائق لله في قيامها، ومن خلال قيامها لمواصلة قيامها في تجدها مع جديد الجنس في كل جديد له أمة رسول الله.. أمة عبد الله.. أمة عباد الله.. أمة الله، في بيت الله وحول بيت الله، وساحة الله بأرض الله مسجدا وطهورا.

هذه هي أمة محمد، يوم يكون لمحمد على الأرض أمة، وما انقطعت لمحمد في الوجود أمة، ولن ينتهي لمحمد في الوجود أمة، وما تعطل حصاده من الأرض لأئمة في الوجود.

إن أمة محمد تتواجد ما تواجد رجالان في نجوى في الله. رجل عرف نفسه فعرف ربه، ورجل عرفه وصدقه فعرف الله، قاما في الله مثني وفرادي ثم اجتهدا فقام محمد في أولهما وانتشر في ثانيهما فقام الحق في كليهما وتبادلا في الله ما كان من مكاتهما، فكانا كلاهما الأول والآخر.

هذا هو محمد ودين محمد وفطرة محمد وصبغة محمد.

أشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أنه لا إله إلا الله.

أضواء على الطريق

(ما زال هناك عمل شاق أمام الروحانيين، فليس هدف الاجتماع الروحي هو مجرد إعطاء الراحة للنفوس ولو أن هذا أمر له أهميته. إنه لجزء من مهمتنا أن نعلم عالمكم في فهم أتم، قوانين الحياة في كل مظاهرها، عقلية وخلقية، وفيزيكية وروحية، حتى يقل عدد الأجسام المحطمة والنفوس غير المتقدمة.

نحن نجاهد لنمحو الأنانية والمادة والجهل والظلام، وكل القوى التي تسلب من حياتكم حلاوتها وبريقها وسلامها. غرضنا الوحيد هو الخدمة. فلماذا يعارضنا الناس بينما نحن لا نملك سوى الخير لنمنحه، بينما لا يوجد فينا شر، ولا نحاول الميل إلى أي أمر وضع أو مشين. نحن نجاهد لنوجه النظر للحق الأعلى، وللفهم الأعظم. نحن نكافح لنجعل دنياكم تتحقق من القواعد الروحية التي تقوم عليها الحياة. نحن نكافح لنجعل الإنسان مدركا لمواهبه الكامنة حتى يمكنه أن يكتشف نفسه وما فيه من ألوهية باطنة).

من هدي الروح المرشد (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف: " الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ." أخرجه أحمد والبيهقي.

٢ حديث شريف. "ما لي وللدنيا ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها". أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

٣ إشارة إلى الحديث الشريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.

(١٤)

الإنسان

بين اللطيف والكثيف في دنياه عبد لحقي معناه في لانهائي الحياة

حديث الجمعة

٢٢ ربيع الآخر ١٣٨٢ هـ - ٢١ سبتمبر ١٩٦٢ م

الإنسان ما بين دينين من دنياه، بلطيفه وكثيفه لمعناه، خلقا لله بكثيفه في كثيفها، وبلطيفه في لطيفها، دنيا لأخرى، وعاجلة لآجلة في أيهما تواجد، وبأي الصورتين وجد. فدنياه في كثافته أخراها لطيفه في دار لطافته، وبمرجعه لدنيا كثافته تصبح الآخرة لدنيا لطافته. يتواجد لطيفه من كثيفه، كما يتواجد كثيفه من لطيفه. فالأولى والآخرة وصف فيه وحاله له، ويوم يجمع في إحداهما إلى حاله بها حالا له متابعا أو متابعا في الأخرى، يكون له في ذلك قيامه، وخلته، ورفقته من حال إلى حال، من نقص إلى تكامل أو كمال، بمعاني العبد والرب لأمره، فإذا كان بأصله في لطيفه، كان بحال العبد له في كثيفه، وإذا كان أصله في كثيفه كان بحال العبد في لطيفه. إذا عرفنا ذلك، وقرأنا الكتاب، واستمعنا إلى البيان من حديث رسول الله أدركنا ما أراده الكتاب، وما هدف إليه الرسول. أليس آدم يوم سجدت له الملائكة في وجودها اللطيف كان موجودا في الأرض خليفة في وجوده الكثيف! أليس الإنسان على الأرض في وجوده الكثيف، وهو يطلب الأب الكبير الواسع في وجوده اللطيف، يلحقه ربه وأصله بلطيفه، فيلحق منه الأبصار، فيكشف عنه غطاؤه، فيبصر من لا تلحقه الأبصار وهو يلحق الأبصار وهو اللطيف الخبير! فيسجد بكثيفه لمعبوده ولطيفه، أقرب إليه من جبل الوريد، على كل نفس قائم حبيبا خليلا. ألم يضرب لنا بعيسى المثل لذلك؟ به كان آدم المسجود له في وجوده اللطيف من ملائكته من الكلمات في موجودها الكثيف.

إن وصف الرب ووصف العبد لا يتوقف على تواجد لطيفه أو تواجد كثيفه. فإذا كان آدم خليفة الله في الأرض تسجد له الملائكة وهي كيان نوراني لطيف، كان في معاني الرب أو المعلم أو السيد أو الراعي أو الأب لها، وكانت بسجودها في معاني العبد له. وإذا كان آدم بكثيفه يطلب من تخلق هو

من لطيفه ومن لطيف قديمه، أوجده على صورته في سبق وجود بكثيفه ولطيفه عبداً له، بذلك كان قديم معناه من الإنسان هو معاني الرب له، مع بقاء وصف الرب له على من كان منه وسجد له، وعلى من سجد لمن كان منه وسجد له، من لطيف وكثيف الكائنات منه.

إذن نستطيع أن نقول ونحن في طمأنينة اليقين إن الإنسان رب الإنسان، وإن الإنسان عبد الإنسان بصرف النظر عن كثيفه ولطيفه في القيام. إذا أدركنا هذا المعنى عرفنا قول رسول الله: من كنت مولاه فعلي مولاه، إنسان في كثيفه اختار لنفسه إنساناً في كثيفه لإنسانية في كثيفها، وقول الكتاب: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم، أب إنساني في كثيفه يُعرف من وراء حجاب من خلّة من أمهات في كثيفها لأبناء في كثيفهم، وأدركنا هدي الإحاطة: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله. يا أيها الذين آمنوا بالله لطيفاً خبيراً يتخلل الأشياء ويظهر بها ويظهرها، باطنها وظاهرها له، اتقوا هذا الواسع العليم الذي لا يحاط به والذي لا يدرك منه إلا وجهه له، ولا يشهد إلا بوجهه يصطفيه، ولا ظهور له بوجهه السرمدى الخاص فلا وجه له يمكن أن يدرك لوجهه إلا وجهها لوجه لمن عليه قام، أما في عمومها فكل شيء مدرك فهو له وجهه. وليس هناك ما هو أبرز وأقوى وأكثر تعبيراً عن ظهوره من ظهوره بالإنسان. اتقوا الله، اتقوا هذه العظمة، قدروا الله حق قدره وآمنوا بوجه بينكم في وجود كثيف رسولا من أنفسكم متواجداً معكم على صورتكم، يعبر بقيامه في صورتكم وهو الحق من ربكم، يعبر عنكم بمعاني الحق من الله، ما تابعتموه وآمنتم به إيماناً بأنفسكم وجهها لله لوجه لله وحقا لكم، فتكونون على معناه قدرة لكم، أظهرناه في أحوالكم وقسونا عليه في أحواله من أجلكم حتى يكون أسوة لكم في كبير أموركم باطنه من الحق وظاهره من الخلق، عنواننا على أن باطن الخلق هو الحق وظاهر الحق هم الخلق، فلا يتخذ بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله. الحق مع الخلق قائم على كل نفس، ومن ورائها محيط، وأقرب إليها من حبل الوريد، ومعها أينما كانت، هو باطنها، وهي لباطنها ظاهره، فلم تغيّبوا الله وتبعدونه عن أوانيكم، وتبعدونه عن معانيكم؟ تبعّدونه عن أوانيكم وتمنعون الماعون، تُصلّون وأنتم عن معنى الصلاة ساهون، وما كانت الصلاة إلا صلةً برب المصلي، يصلي الرب على عبده من داخل بيته، كما يصلي العبد لربه متجهاً لوجه قبلته ربا لأهل بيته، حوله يطوف الأبناء، هذا يصلُّ ربه بافتقاره وادكاره، وهذا يصل عبده برضائه واصطفائه.

{إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً}¹، {هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور}². {وصل عليهم فإن صلاتك سكن لهم}³. وعلى مثال مما كان في كثيفه في كثيف البشرية على مواصلة ودوام يتجدد ويتكاثر في تجدده بجديده. وعلى مثال مما هو بقديمه في لطيف البشرية يتصاعد إلى عوالم لطافتها طبقاً فوق طبق شهيداً على الشهداء،

في كثيفها يتخلقون ويتواجدون، وإليه في لطيفه يرجعون وله يتابعون، أمة وسطا بين قديم سبقه لا بدء له، وجديد يأتي لا انقضاء ولا انتهاء له، بقائم ثابت لا غيبة له.

إن لفظ الله اسم لعلم دل على المعروف المعلوم هو الإنسان في دلالته على الإنسان كائن من عبد ورب. فالإنسان له وصف العبد كما له وصف الرب، لا هو بالرب ولا هو بالعبد، العبد فيه صفاته وأسمائه وتجلياته وتواجداته، والرب فيه جماعه، وبيته، وعالمه، وواحديته، وأحدثته، ومحصلته، ومعناه. من فرق بين العبد وربّه ومن فرق العبد عن ربه أخطأ السبيل، وأشرك العقيدة، وما قام في لا إله إلا الله، وما وحد الله، وإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، وكيفما يشاء، ووقتما يشاء، غلبت فيه رحمته عدله، وأوقف عدله عذابه حتى يقضي، وسبقت مغفرته قضاءه، وردت رحمته عقابه، فما ضاع فيه ضائع ولا فقد فيه مفقود. من طلب الله وجده، ومن غفل عنه أمهله، ومن وجد الله عشقه، ومن عشق الله وحده، ومن وحده قتله بنفسه، ومن قتله الله بنفسه كانت على الله ديته وهو الذي ينصف من نفسه ويعدل في أمره، ومن كانت على الله ديته كانت نفس الله ديته، ما زال الناس بمعاني الخلق لهم يتقربون إلى الله باطنا لهم بما فرضه عليهم، وبما فرضوه على أنفسهم، حتى يُحيي الله به جوارحهم، وحتى به يحييهم فيكونهم وقد كانوا، ويتواجدهم وقد تواجدوه، لا فرق بينهم وبينه، ولا عازل يحول بينهم وبينه وجوها له، وصفات فيه، وجوارح لذاته ومعانيه.

هذا هو الإنسان بين دنييه من دنيا كفافته، ودنيا لطافته، يتواجد بلطيفه من كثيفه عبدا لرب، ويتواجد بكثيفه من اللطيف عبدا لرب ما رضي لنفسه في الله معاني العبد له. تأملوا الرسول وهو العبد له إذ يقول: إن الله يخلق من الصلاة عليّ ملكا يقول اللهم صلي على عبدك فلان، كما صلي على نبيك إلى أن تقوم الساعة، وتأملوه وهو يقول: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)^٤، إذ يجعل من الكل أربابا ومن الكل عبيدا، فيكشف للإنسان عن نفسه جامعا لوصف العبد والرب في عمله ومسئوليته...

إن أنفاس الإنسان بذكر الله خالقة، وإن نوايا الإنسان بالعزيمة مع الله خالقة، ولحجب الغيب خارقة، ولذوات الكائنات من الخلق طارقة، وإلى قلوب الخلق نافذة. أفن جعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها! إن الله بالإنسان للإنسان ينور الأفئدة، ويشعل سرج الصدور، وينفخ في أسوار الذوات فيحيي القلوب، ويزكي النفوس، ويحرر العقول، ويمكن الأرواح، ويخضع الأشباح، ويطور الأجساد، ويظهر لما فيها لمن فيها من آيات، فيجعل من ذوات الخلائق عروشا للحقائق، ويجعل من العمل والاستقامة طرائق للنجاة والسلامة، ويجعل من الناس باصطفائه

أودم للناس وكلمات لله، وأرواحا لقدس، وآيات لقدرته. ما ينسخ من آية أو ينسها يأتي بخير منها أو مثلها، لا تنقطع عن التواجد آياته، ولا يتعطل في السموات والأرض عن التابع كلماته عباد مكرمون، ذكر محدث، الكل له في السموات أو في الأرض عبد، لا يفارقه الوصف، ولا يلقي فيه عبد باسم وجهه وذاته إلا عبدا.. رفعنا بعضكم فوق بعض درجات.. في دنياكم لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. التقوى تميز بينكم وتحكم صفوفكم طبقا فوق طبق ترفعون، وطبقا تحت طبق تبعثون. وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا، تدانيكم طبقا بعد طبق، وتعالى منكم طبقا فوق طبق عباد مكرمون، فلا تغيّبوا أخراكم عن دنياكم، ولا تنظروا في أخراكم إلا دنيا مثل دنياكم (الظاهر مرآة الباطن)°، واعلموا أن الله معكم في هذه الدنيا، ومعكم في الدني الأخرى من الآخرة، لا تكسب لكم معيته في دنيا من عاجلة أو آخرة من آجلة إلا بعملكم وفناء أنفسكم عنكم إلى اسمه. إن اسم الله غنيمة المؤمن، إن وجه الله نهاية الموحّد، إن تقوى الله بداية المسلم، إن الإسلام لوجه الله بداية الحياة للنفس، وبداية الصحو للعقل، وبداية الحرية والسعادة للروح. لا إسلام إلا بإسلام إنسان لإنسان، ولا إيمان إلا في إيمان إنسان بإنسان، ولا معرفة إلا في معرفة إنسان عن إنسان، في حياة الكثافة من كثيف الإنسان، أو في حياة اللطافة من لطيف الإنسان. {إن لك في النهار سبحا طويلا}⁶. {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون}⁷. إن الإنسان بذلك يخرج من معاني الكثافة واللطافة خلقا إلى معاني الإرادة والمشئّة والمعنى حقا، فإذا ما تحرر من لطيف كثافته ومن كثيف لطافته إلى مجردات معناه، قامت فيه إرادة هي إرادة الله، وكان في مشيئته مشيئة الله، وفي معناه معاني الله، فكان بكثيفه ولطيفه عبد معناه، ووجه مولاه، شاهدا ومشهودا، في معنى الحياة ومعنى الوجود، وهذا ما أريد بالدخول في حصن لا إله إلا الله، وشهادة أنه لا إله إلا الله، يوم يتوحد قائلها مع حاملها إليه، رسول الله وعبد الله، فيشهد وحدانيته مع رسول الله، يوم يشهد أنه محمدا رسول الله، ويعلم أنه على ما شهد مع رسول الله حقا مرسلا من الواسع العليم. هكذا يكون المعراج، وهكذا عرج عبد الله ورسوله إلينا يوم توحّد في معراجه مع عبد الله ورسول الله إليه، ويوم حمّله رسول الله إليه إلى من أرسله منه فوجده حقا من الله، من الله المعروف له بعقيدته، الموصوف في وعيه بتنزيهه الواسع العليم، فعرف أنه وقد أخرجه الله رسولا له أنه ما عرف فيه إلا رفيقا أعلى ورسولا له، وأنه ما جاءه من الله إلا رسولا له، وما حمّله إلا إلى رسول له، فعرف أن المرسل إليه عبد لله يوم عرف نفسه، وعرف أن الرسول إليه والرب له عبد لله يوم توحّد معه، وعرف أن مرسله والرب الأعلى له عبد لله، يوم لقيه وفقد شخصيته في حضرته فعلمه كلاما يخاطبه به، فعرف أن العبودية لله تجمع في معناها سائر الحقائق من العبد والرب والأعلى، وتشرف في مرتقاها بمزيد في معناها بما تقدم عن معناها لمعانيها من الأعلى إلى الأدنى في مطلق الحياة، وأنها حق يداني بالحق معاني

الحق ويتجلاها، عرفها مرسلًا ورسولًا ومرسلًا إليه، فقال للناس: المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل، كما قال: المؤمن مرآة أخيه، واعلموا أن المؤمن مرآة المؤمن، أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه.. فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فلا أقل من أن تؤمنه رأيًا لك، وإن قبلت أنه يرى وكشف عنك غطاءك فاعبده مرئيًا منك بك، وإلا فانظره فيما حولك أينما تولى فوجهه. وإن انعكست إليه بصيرتك فابحث عنه في نفسك.. وفي أنفسكم أفلا تبصرون، فما كان باطنك لظاهرك إلا وجهه، ما كذب الفؤاد ما رأى، وما كذب الفؤاد عند كل من رأى ما رأى، وكثير فيه من رأى وعلى بصيرة تحدث وهدى، فأحي ضميرك، وأحي فؤادك لترى، واقدح زناد فكرك، وأشعل سراج قلبك، وأثر مشكاة صدرك، وقم بربك، حسبك الله ونعم الوكيل، اجعل منه عليك وكيلا عنك فيما تفعل وفيما تقوم، اعتقده في الصغير والكبير لك من أمرك، يكن لك في الصغير والكبير لك من أمرك على ما اعتقدت.

إذا عرفنا الدين، وجعلنا مما سمعنا عماد الدين، فكان الدين، ووعي الدين، وفقه الدين، وطريق الدين غايتنا فقد أسلمنا، واستقبلنا الإيمان واليقين، ولم نياس من كشف القناع عنا، لنرى من هو معنا الذي يتوحدنا ويجمعنا، والذي نشهده ويشهدنا، فعلم أنه لا إله إلا الله، ونقوم في محمد حق الله ورسول الله عبادا لله ونكون من أمته، فنشهدنا محمدا عبد الله، فنشهد أن محمدا رسول الله عند من لم يشهده محمدا رسول الله، لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم إنا قلنا لا إله إلا الله، وقلنا إن محمدا رسول الله، اللهم فحقق لنا القول وأشهدنا أنه لا إله إلا الله، وأشهدنا أن محمدا رسول الله. اللهم إنا تبنا إليك فاقبل توبتنا، ورجعنا إليك فاقبل رجعتنا، وأصلح لنا دنيانا واجعل منها لنا مزرعة لأخرانا، وأصلحنا لرحمتك ومغفرتك حكاما ومحكومين، أئمة ومتابعين.

أضواء على الطريق

سئل رجل من أئمة القوم: (هل رأيت رسول الله)؟ فقال (لو غاب عني رسول الله طرفة عين ما عدت نفسي من المسلمين)^١ يعني بذلك أنه شهد ما صار إليه في رسول الله قياما له ووجها لله.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الأحزاب - ٥٦
- ٢ سورة الأحزاب - ٤٣
- ٣ سورة التوبة - ١٠٣

- ٤ من الحديث الشريف: "ألا فكلم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلم راع وكلكم مسؤول عن رعيته". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ٥ إشارة إلى مقولة من خطبة للإمام عليّ - كرم الله وجهه -: "...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه..." . بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.
- ٦ سورة المزمل - ٧
- ٧ سورة التوبة - ١٠٥
- ٨ عبارة صوفية ذكر البعض أنها لسيدنا أبي الحسن الشاذلي، وقال بعض آخر إنها لسيدنا المرسي أبي العباس.

(١٥)

السيد العذري إنسان اللانهاية.. الحق الرسول محمد بن عبد الله العبد الإنسان مسيح الرب الإنسان

حديث الجمعة

٢٩ ربيع الآخر ١٣٨٢ هـ - ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢ م

أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس، وأستعين برب العالمين، مالك يوم الدين، وأقوم باسم الله الرحمن الرحيم.

بسم الله الرحمن الرحيم، ندرك أن الدين، والعلم، والمعرفة، والسياسة، في حاضر الحياة، وآجل الحياة، في ظاهر الحياة وباطن الحياة، إنما هي مسميات لشيء واحد، ولأمر واحد، ولمعنى واحد، ولقيام واحد. حجر الزاوية لذلك كله، لا إله إلا الله، مركز الدائرة لمعناه، ومحيط الدائرة لمطلقه ولانهائي مبناه. من الإنسان يبدأ وإلى الإنسان ينتهي. وفي الإنسان يتواجد، وإلى معنى الإنسان يصير، وبمعناه الإنسان يقوم الحق، وتنطلق الحقيقة لا بدء لها ولا نهاية لها، ولا كنه لها، ولا حد لها. فشهادة أنه لا إله إلا الله، حجر الزاوية لهذه المعاني، ودائرة القيام لها في الوجود من المباني، ومركز التواجد لدوائر الوجود في مطلقها، محورها شهادة أنه محمد رسول الله، بشهادة أن الإنسان المحمد رسول الله في رسالة الحق الأزلي للوجود المطلق.

محمد رسول الله، محور دائرة الحقيقة، ومحور دائرة الحق، ومحور دائرة اللانهاية. إنه الأحد بعوالم تواجده في أحدية عوالم وجوده باسم ربه ذكرًا له. إنه الواحد المستقيم بهياكله على قوانين عوالمه، الذي يتكون في طرفيه من قطبيه لمباني ظهوره حدود أحديته بالسلب والإيجاب عبدا وربا، ولمعاني وجوده أبدا وأزلا، أبده ظاهر أزله وأزله باطن أبده، والذي يتثل في نقطة مركزه الآدم لذات معناه الإنسان محور دائرة لانهاية الذكر.

إنه الإنسان، محور الحياة، ومحور الوجود، على إدراك مثالي معناه، لعين معناه لجنسه، تدور الحقيقة وتدور المعرفة. وذلك بمتطور مثله من محدثه في أحدث، وتقدم مثله في قديم لأقدم، وظهور الأقدم له في الأحداث منه. فليس هذا المحمد هو الجهاز الذي عنون في ظاهر الحياة معناه للناس بين الناس وكفى، ولكنه محمد بمعناه في عوالمه بكافة معاملته على ما عرّفه ويعرّفه إنسان ربوبيته، وعلى ما عرّفه ربه، وعلى ما عرف هو ربه. إن محمداً بوجوده عرّف ربه موجوداً، علماً على وجوده، ودام بعلميته بدوام معلومه، معنى الحق في ظهوره وشهوده أولى بالمؤمنين من أنفسهم. وربه عرف عنه، بيتاً وأهلاً له، مرفوعاً إليه وموضوعاً منه، يعطي ويمنع رحمة وقسماً، يجزي ويعفو مغفرة وعدلاً، يرحم ويشفع وهباً وفضلاً، يمتد ويتواجد خلقاً وكسباً، وينسحب فيميت ويمحو، فيعدم قضاء وفصلاً. إنه في الناس رسول رب الناس في قيام الناس وجوها لرب الناس من وراءها الرب به محيط وبه هو بها قائم، وبعينه على كل نفس يقوم أقرب إليها من حبل الوريد، به هو معها في سفور، حيثما كانت، وكيفما كانت، ومتى كانت، وأينما كانت، ومع من كانت، في انفراد كانت، أو في جمع كانت.

إذا ابتعد الدين عن العلم فلا دين ولا علم، وإذا ابتعدت المعرفة عن السياسة فلا معرفة ولا سياسة، وإذا ابتعدت الحياة عن الذات فلا حياة ولا ذات. بالذات تكتيف الحياة، وتظهر الحياة، وتتواجد الحياة، وتنمو الحياة، وتنتشر الحياة. وبالحياة تحيا الذات، وتعلم الذات، وتقوم الذات، وتكتيف الذات، وتنتشر الذات، وتتلون الذات، وتنمو الذات، وتطفر الذات.

إن الإنسان بذاته، بنفسه في عوالمه مظهر الحياة، في حاضر الحياة، ولغيوب الحياة من باطن الحياة. إن الظاهر والباطن إنما هو الإنسان في علميته على الظاهر والباطن من الحياة. ليس الإنسان في حقيقة أمره شيئاً أو أمراً مستقلاً عن الحياة أو عن ظاهر الله وباطن الله. إنه إذا تحقق بظاهره فإنما هو يتحقق بالحق في باطنه، وإذا حقق باطنه ظاهره إنما ظهر الحق بحقه في جلبابه من خلقه. وهذا الذي هو أمر الإنسان، إنما هو أمر معبوده ومنشوده للرفيق الأعلى من جنسه لأوبته من ربه مربوباً يراعاه ويسهر عليه. فالأعلى لا يفتقر إليه ولكنه هو المفتقر إلى ربه وأعلاه الغنى بربه يوم يغنيه، القانع بربه يوم يعرفه، الذاكر لربه يوم يشرفه، المذكور عنده ربه، والمذكور به ربه، يوم يذكر بربه عند من ينشده. يخلق به ويسهر به ويرب به ما خلق منه به. إن الله عبادة إذا ذكروا ذكر الله، فعباد الله باطن ظاهره، كما هم ظاهر باطنه، عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض أو يدبون في السموات هوناً، إنما هم ظاهر غيبيهم بمعنى الرحمن عبادة له. لقد أخفى الله الولي في الخلق، ومن آذى أناه ولياً فليأذن من أنا الله بمحرب. إن ولي الله هو الإنسان الخفي في الخلق بين الخلق. (رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره) ١، إنما هو ظاهر الرب، باطنه العبد، لبس الرب جلباب عبده، وظهر به بين عباده وخلقته،

في هيكل عبد منهم بينهم، وفي صورة عبد من عباده بها يذكر. {أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها}². إن هذا العبد لن تجده عادة إلا في الشعث الغبر، لن تجده إلا فيمن أخفى الله على الناس حقه منه ومعناه به. أما من أظهر بالحق فرسلا من أنفسهم عباد مكرمون.. أما من أبطن وأخفى فهو حقي أنفسهم بأوادم تواجده حتى يعلم الناس بهم يوما آباء لهم أنهم الحق من ربهم، وأن الذي فيهم من الحياة إنما هو الحياة للحي القيوم بحياتهم، وبقيامه على حياته بهم، وأنهم في معاني الحياة لا بدء لهم ولا انتهاء لهم، وأنهم في معاني الحياة لا خلقية لهم بل الحقية هي معناهم، وما الخلقية إلا من صنعهم، {ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا}³، {وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}⁴، {والله خلقكم وما تعملون}⁵. {إن ابني من أهلي}⁶. إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح}⁷.

إن الإنسان في قابله إنما هو عمله في معناه من وصف الخالق له في حاضره، وإن الإنسان في حاضره وهو من عمل ماضيه إنما هو صانع ما يصنع بمعناه من أمانة الحق به. إن الإنسان حق خالق وخلق محقق، خلق مع الخلائق، بظاهر نفسه، وبقائم كيانه، وبظاهر شئنه من فعل سبقه، يكون بيتا وأهلا باستقامة فعله، وحق مع الحقائق، وحقيقة الحقائق، وحق الحقائق، وأحدية الحقائق، وواحدة الحق في باطنه. فالرجل في الله من صلح في قديم تواجده وبعث بقديم حقه في محدث خلقه، ومن صلح في الله، كان ظاهره مع الناس، وباطنه مع الله. فإذا صلح الناس، واجتمع صالح الناس، بظاهرهم مع ظاهرهم، وبباطنهم مع باطنهم، فتلاقت بواطنهم على وحدانية الله وأحديته، فقاموا فيه حقا واحدا لا تعدد له، تألفت قلوبهم وتألفت معانيهم، وتراصت ذواتهم، فقامت بهم جدران البيت، وارتفعت إلى عنان السماء، وحصرت بين جدرانها من آوت إلى الله من يتامى الوجود المادي إلى الوجود الحقي المعنوي، من محاهم الشهود في مشهودهم، كما محاهم المشهود بعين موجوده لموجودهم، فأصبحوا عين مشهودهم بما شهدوا، وبمن شهدوا، ولما شهدوا، أصبحوا عين من طلب لمن طلبوا. هذه هي معاني العبودية لمعبود، ومعاني المشاهدة لمشهود في شهادة أنه لا إله إلا الله لمشاهد. شهدها العذري عبدا للانهائي حقه وعلّمها وأشهدا لمن عرفه حقا فشهد رسول الله، يوم عرف منشوده ومقصوده من الحياة في فناء وجوده عن موجوده من المادة إلى موجود رسول الله حقا من حقائق الله، فتواجد به يوم كان أحب إليه من ماله وولده ونفسه التي بين جنبيه. {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}⁸ نعم، ويسلموا تسليما إذ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم فهو علوي أبوتهم في مطلق الله.

ما أبرز الله معنى الرسول، ومعنى العبد، ومعنى الإنسان بمحمد الحق إلا رحمة للعالمين. يا أيها النفس المطمئنة ادخلي في عبادي وادخلي جنتي، فلم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن، فهو بيتي وقبلتي وباب ساحة رحمتي. فإذا اجتمع في آدم الأنبياء كلمات لي وأبناءً له فقد اجتمع في محمد الشهداء كلمات لي وحقائق له.

في دائرة هذه المعاني، وفي دائرة هذا المحور يدور الناس في فلك الدين، وفيه تدور أحكام ومبادئ الفقه، وحوله تدور قضايا ومسالك المعرفة، وبه تمتلئ أحواض وسرج العلم، وإليه تسير وحوله تدور أهداف ومنافع السياسة. إن الله في أرضه وفي سمواته آيات ترى لا ينقطع لها نتاج، يبرزها ليستيقظ الناس. فهل يستيقظ الناس يوماً؟ وهل يدرك الناس عظمة ما فيهم وتفاهة ما يشغلهم؟ إن قوارع الله تحيط بنا في كل يوم، وها نحن نقوم بجوارنا قارعة من قوارع الله، تدك بيتنا للظلم نسب بهتانا لرسوله، يعبثون بأسماء رسول الله، وبأسماء أهل بيت الله، وأهل بيت رسول الله، ويعبثون بمقامات هذا الدين، وبأوصاف وذوات أهله، وبأوصاف ومعاني دوام رجاله، ويمهل الله ويمهل الله حتى إذا أخذ، أخذ أخذ عزيز مقتدر، حتى إذا بطش بأهل القرى، إن بطشه لأليم شديد. دولة الباطل ساعة وإن طالت، ودولة الحق إلى قيام الساعة وإن أبطأت. سعيد من عرف الحق وكان من أهله فاتبع أمره، وشقي من تجاهل الحق، الحق ظاهراً، الحق معروفاً والحق أبلج في قيامه على كل نفس وفي ظهوره معية كل صادق، وأشقى منه من صد عن سبيل الحق، وعطل قيام الصلاة، وقيام الصلة بالله، بين عباد الله، وبين حقائقهم في أنفسهم من أنفسهم، بتعطيل انتشار علم نافع هو الدين، ومنع انتشار معرفة مستقيمة هي اليقين وهي السياسة العلوية لرب العالمين، في حسن خلق يقوم بالناس هو الرياسة والخدمة واليكاسة. أما من طغى بكبرياء نفسه وبغى بمتابعة شهواته، فإن الله يكره الطغيان ولا يرتضي البغي والبهتان، وإن أمره لغالب يوماً مهما أهل ومهما طال الزمن.

إن الله قائم على الناس، قيامهم على أنفسهم بعقولهم وتديبرهم وحكمتهم. إن الله هو أمر الناس فيما هم عليه من أمرهم، كما أنه أمر كل فرد منهم، بأمر كل فرد فيهم في أمر نفسه. وما خلقكم ولا بعثكم في أمره إلا كنفس واحدة منكم في أمرها، الأرض جميعاً قبضته، يوم يقوم عليها ظاهر أمره وهو عليها قائم، ويوم يعلو ولا يجحد عليها ذكره وهو عليها عالي. وسوف يعرف لمن لا يعرف، يوم يشرق عليها نور ربها من إنسان قيامها بقيوم الإنسان على إنسانه في ملكوته الأرضي أمة الله، على مثال من كثير من مثل ممن استخلص ممن عليها إلى ملكوته العلوي في ملك المطلق اللانهائي. يومئذ تمسكها مدركة يد قدرته، وتفرقها في اليقين يد رحمته، من فيض لاهوته، على ثياب ناسوته، روحاً لكل شيء، من روح الإنسان، من الروح الأكبر، في أي صورة ما شاء ركبته.

وآية لهم أننا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون. وما الفلك المشحون إلا نفوس وذوات عباده كواكب الوجود في دائرة شمس الحقيقة تشرق عليهم باطنا لظاهر - على ما تشهدون من أمر أرضكم - عبدا له، إحدى سيارات شمسكم عبادا له، تمسكها جميعا شمس حقيقة بشمس الدلالة عليه.

هذا هو الفلك المشحون بكم، أبناء لآباء، خلق لهم من مثله من الفلك ما يركبون، ولكم يشهدون كما تشهدون، وسيجعل منكم آباء لأبناء في أفلاك تحشرون ولأبنائكم على هذا الفلك يحشرون يوما تشهدون، وبمعنى الآباء يوما تبعثون فدوركم من الأرض وعليها تستكملون. كلمات طيبة أو خبيثة عليها نتواجدون فيجث خبيثكم ويبقى ثابتا طبيكم فالأرض ترثون، والحق في أنفسكم عليها تشهدون، ونفوسكم تستكملون، ومنها فلكا مشحونا تنطلقون، وفردوس أنفسكم تقيمون، وحضرة للحق تقومون، وعبادا للرحمن تذكرون وتعرفون، وذكرنا محدثا في لباس من خلق أنفسكم نتواجدون، حقا وخلقنا تقومون، وفي أحدية قيامكم للبعوث فيكم عين الحق بكم تعلمون وتشهدون، فلا نهائي حكم تشهدون وتعرفون، ووجه الله في عوالمكم تشهدون، واسم الله فيهم تذكرون، وباسم الله بهم تظهرون، ولذكر الله في أنفسهم تدعون، وأمر أنفسكم تعرفون، وما يحيط بكم من الأكبر تصلون، فعبادا لمطلق الله تدعون، وما أمر أنفسكم وأمر الأكبر إلا أمر واحد وحق واحد في أمر لانهائي الواسع العليم لا حد له، ولا بدء له، ولا انتهاء له، ولا اسم له، ولا مسمى له، ولا بعض له، ولا وصف له كما سوف تعلمون. وهذا ما عناه ابن مريم يوم أشار إلى الأب السماوي أمرا لله واسما له إنسانا على مثاله وعلاما للغيوب، وكما أشار إلى الأب البشري قياما لأمر لله يوم يدعو الناس في قيامه معه بأخوته. أما الأب الروحي أمرا لله وإنسان كلمته، وجماع كلماته، فهو الحق الرسول، وما كان هذا الأمر المرسل له والأمر المرسل منه وذلك الأمر المنتظر مرسلا إليه في الله إلا أمرا واحدا لا تعدد له، وشأننا واحدا لا انفصال لأبعاضه، وبيتا للحق واحدا، وإنسانا في الله واحدا، رفع هذا البيت أو وضع من وإلى عالم الرشاد، في واسع الله وعلية من مطلقه.

ما قدر الناس الله حق قدره، فما يوضع بينكم من البيوت في واقع الأمر إلا بيوت الأبناء، وما يرفع من داركم أو من عالمكم من البيوت إلا بيوت الأبناء يلحقون بالآباء، فعند الآباء بيوتا كثيرة للأبناء ومن بيوت الآباء والأبناء نتواجد في دوام مدن للمعرفة في حرم الوجود المطلق لساحة الحقيقة اللانهائية، وهذا ما عناه رسول المعرفة وإنسان الفطرة ومحور الحقيقة، ومركز دائرة لا إله إلا الله، وأطراف محورها، وجحر الزاوية للأزل والأبد في الزمن المطلق، يوم قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها، وأنت ذو قرنيها يا علي، كما قال لفاطمة يا أم أبيك، وأشار لمعناها في معناه فاطمة ابنتي روعي. فهو بذلك إنما

أراد أن يقول: إنه أحذية وجود بطرفيه، وأحذية بيت لمن يدخله، وأحذية إنسان لمن يتابعه. وزادنا بياناً بما عرف بقوله: إن الزمان قد استدار على هيئته كيوم خلق الله السموات والأرض، داراً لإنسان واحد خلق كل شيء فيها من أجله. فلسان حال الرسول يعلن: ها أنا بظهوري وقد أظهرني على الدين كله، وقد أظهرني على الوعي كله، وقد أظهرني على الزمان وخلقته، وعلى الوجود وتواجده، وعلى الكلمات وتحقيقها، وقد أدبني فأحسن تأديبي، وقد أنشأني في النهار لمعناه، ثم أنشأني في الليل لمعاني، ثم أشهدني على نشأتي وعلمي كيف أعيدها وأكررها كوثر لها مدثراً بخلقيتي، وجعل لي وطأة وعزة هي وطأته وعزته، وجعل لي تواضعا وحلما هو خلقه، وجعل لي همّةً وفعلاً هي قدرته، وجعل لي صبرا وحكمة هي رحمته فأنا عبده حقا وخلقاً، أنا يتيم إيوائه تحقيقاً وصدقا، وأنا مسكينه أدبا ويسرا، وأنا وجهه إسعادا وقربا، وأنا حقه ديناً وعلماً، وأنا قدمه ويده قياماً وسعياً وفعلاً، كل هذا لكم ما كنتم له، فكنتم لي عبداً له، وداعياً إليه، ودليلاً لكم عليه، وفي أنفسكم إليه أوصلكم، وعليه أجمعكم، وبه أتواجدكم، ولكم أتواجده، وبإرادته منكم أتواجدكم منكم لكم موجوداً منكم ورسولاً من حقي أنفسكم. أنا من كل مؤمن أتواجد، إذا كان المؤمن مني متواجد، أنا جدُّ كل تقّي، أنا أب كل وليّ، أنا ابن كل عارف، أنا عين كل معروف، أنا منكم لتمام كلماتكم الطيبة الأبناء، وأنا لكم في طريقكم الممهدة رحمة الآباء، وأنا لكم معنى أنفسكم ما تابعتوني وسرتم في الطريق معي إلى معبودي ومعروفي في موجودي لعلمي وشهودي، وهو ما يجب أن يكون لكم معبودكم ومعروفكم في موجودكم في معرفتكم عن أنفسكم، كما كانت معرفتي به في معرفتي عن نفسي، لا فرق في هذا بيني وبينكم. تعالوا إلي أعلمكم، وأتعلم جديداً منكم، تعالوا إلي أتواجدكم، وأتواجد لكم، وأتواجد منكم، وأوجد في وجودكم بكوثري، واعلموا أنه لا إله لي مشهوداً إلا أنتم، ولا إله لي موجوداً إلا منكم، ولا إله لي ولكم إلا ما لنا منه مما أنا ومما أنتم. فإن تسمى شهودنا، وإن قدرنا معبودنا، فلا أنا ولا أنتم، إنما هو لا إله إلا الله، نشهده في شهود فنائنا، ونشهد عباداً له بمعانينا في كل مشهود لشهودنا، وفي كل مشهود لموجودنا، نشهده ونعلمه، ونقومه ونعبده ونُعبد أنفسنا له، نحن به متواجدون على ما سبق أردنا، وبه نتواجد على ما ترضى أنفسنا لنا منه، (كن كيف شئت فإني كيفما تكون أكون)^٩، {وما تشاؤون إلا أن يشاء الله}^{١٠}، {أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}^{١١}.

هذا هو الدين لمن أراد أن يستقيم، وهذا هو العلم لمن يطلب المعرفة، وهذه هي المعرفة لمن يطلب السكينة، وهذه هي السكينة لمن يطلب السياسة والكياسة والرئاسة، وهذا هو الصلاح لمن يطلب الإصلاح والصلاحية لنفسه ولقومه. إن الذي يسوس الفرد ويسوس الكون ويسوس الوجود هو من أوجد الفرد وتواجد فيه، وأوجد الوجود وتواجد فيه. إن السياسي الكبير إنما هو الله، فمن أراد أن تستقيم وتثمر سياسته لفرده وجمعه وقومه فليربط قلبه وعقله بالله، ووجوده وسعيه بالله، وأمره بأمر

الله، وفعله بفعل الله في أمر رسول الله، وطريقه مع أمر ربه مرتبطا وبأمر ربه قائما وفي طريق ربه ومولاه دائما مستقيما لا عوج له، ربا للناس ومالكا لهم وآلها عليهم.

أسأل الله لي ولكم الهداية، وأسأل الله لي ولكم المعرفة، وأسأل الله لي ولكم الدين، وأسأل الله لي ولكم لأنفسنا ولقومنا مستقيم السياسة، وأسأل الله لي ولكم الأدب واليكاسة، ولعقولنا على أنفسنا الحرية والرئاسة، ولأرواحنا فينا الحقيقة والمعرفة والوحدانية. لا إله إلا الله للإنسان يقومها ويشهدها، يوم يقومه محمد رسول الله يقومها ويشهدها.

اللهم يا من سست أمرنا واصطفيت منا في ظهور الآباء علقات، وجمعتنا في أرضنا في بطون الأمهات ذرات.. اللهم يا من شكلتنا وصورتنا وأحسنست صورنا، ومن الآباء بدأتنا وأوجدتنا، ومن الأمهات جددتنا وأظهرتنا، ومن الأرض فيهم خلقتنا، ومعهم منها أكبرتنا، منها لنا ولهم أنشأتنا وعليها جمعتنا وحشرتنا، وإليها أشباحا أعدتنا، ومنها في دوام تخرجنا، وأرواحا تصعدنا، ومن السماء تعيدنا.. اللهم يا من سست أمرنا أطفالا، ويا من وجهتنا صبيانا وفتية، ويا من أحكمت أمرنا رجالا، ويا من سهرت علينا شيوخا ضعافا، ويا من أعززتنا في ضعف مكرمين، ورددتنا في جبروت مستخزين، ويا من برحمتك من مواصلة الشقاء حميتنا من يقطتنا فأثمتنا حتى ننمو ونحيا في نومنا، ثم أيقظتنا وبين ليل ونهار تنيمنا وتوقظنا، تدخلنا في سكينة ليلك، وتنعشنا في نشاط نهارك ويومك، تبعثنا في يومنا، وتميتنا في ليلنا، تميتنا في أنفسنا وتحيينا بك في نومنا، وتميتنا بك في أنفسنا وتميتنا فيمن حولنا، يا من في كل لحظة يحيينا ويبعثنا مع أنفاسنا، وبنا ينتشر بالحياة في محيط وجودنا، يا من في كل لحظة ونفس يتواجدنا ويفقدنا، كن لنا، كن لنا وقنا شرور أنفسنا وشرور الأشرار من خلقك من حولنا. كن لنا وخلصنا كلمة الحق إليك. كن لنا وأعل كلمة الحق بنا، جنودا وعبادا لك، في خدمة عبادك وخلقك تحت ألوية عبادك وخلقك.

اللهم ارزقنا المعرفة والحلم، والصبر والطاعة والعلم. اللهم قنا الطغيان والجبروت، والجحود والعصيان والجهل، منا عنا ولنا. اللهم خذ بنواصينا إلى الخير حكاما ومحكومين، ظالمين وعادلين، أئمة ومؤتمين، مجاهدين ومتابعين، يقظين وغافلين، برحمتك يا أرحم الراحمين، يا واسع الرحمة، يا واسع المغفرة، أدخلنا في واسع رحمتك، وفي واسع مغفرتك.

أضواء على الطريق

(أيضا تيسر وجود وسطاء فقوة الروح تسري خلالهم، وينشأ مخفر أمامي جديد. هذه هي الحاجة العظمى لنا، حتى توجد ممرات أكثر لتوصيل معرفتنا، وتعليمنا، وحبنا، وغوثنا، وإرشادنا لعالمكم. كل جهاز جديد هو مسمار جديد في نعش المادية، كل جهاز جديد هو نصر للروح العظيم والحق

الروحي. وإني لأسر عندما أجد جهازاً يمكن الاتصال بي من خلاله لكي أعطي ما يأتي إليّ من ممالك المعرفة، والضوء والحكمة).

(برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ حديث شريف: " رَبِّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمَرَيْنِ، مُصَفَّحٌ عَنْ أَبْوَابِ النَّاسِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ.": أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه.
- ٢ سورة الرعد - ٤١
- ٣ سورة الكهف - ٤٩
- ٤ سورة البقرة - ٥٧ , سورة الأعراف - ١٦٠
- ٥ سورة الصافات - ٩٦
- ٦ سورة هود - ٤٥
- ٧ سورة هود - ٤٦
- ٨ سورة النساء - ٦٥
- ٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٠ سورة الإنسان - ٣٠
- ١١ سورة طه - ٥٠

(١٦)

الإنسان

مِمَّ وَلَمْ تَوَاجِدْ وَمَاذَا وَلَمْ أُوجِدْ
حَالَهُ وَأَصْلَهُ وَمَالَهُ

حديث الجمعة

٦ جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ - ٥ أكتوبر ١٩٦٢ م

رحمته.. رحمانه.. عرشه.. كرسيه.. صبغته.. فطرته.. شهادته.. غيبه..

{هل تعلم له سمياً؟!} {قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون}٢.

وسع كرسيه السموات والأرض.

كرسيه في عرشه، كحلقة ملقاة في فلاة.

وسعت رحمته كل شيء، واستولى رحمانه على كل شيء، استوى رحمانه على العرش.

كل شيء يسبح بحمده، فطرة الفاطر الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، الذي أتقن كل شيء صنعه.

أتم في مولد بدء، وبدأ في مولد تمام منزها عن البدء وعن التمام. ظهر بالإنسان، صبغته، ومن أحسن منه صبغة.

يريهم آياته في السموات والأرض، وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنهم منه وأنهم فيه، وأنه الحق، كلا يمد هؤلاء وهؤلاء، يداول الأيام بين الناس، يتغلب من هم زينة الدنيا بدنياههم يعبدونها، ثم ينهزمون بظنهم القدرة عليها وكفرهم بها من الحق، وينتصر من هم زينة الآخرة بأخراهم يعبدونها ثم ينهزمون بظنهم القدرة على أنهم بعملهم يأخذونها ويخلقونها فيكفرون بمعناها لهم بالحق، وما أبدع خلقه، وما خلق الخالق إنسانه، وما تجلى بنفسه بما صنع ليزين به الدنيا والدنيا ما خلقت إلا له، أو ليزين به الآخرة وما وجد بالآخرة ما تواجد إلا له، بل صنعه لنفسه، وصنع كل شيء من أجله، طلب إليه

هاديا ألا يتعب للحصول على ما صنع له، فإنه آتية يوم يستحقه بلا كد وبلا عد وبلا حد، وطلب إليه ألا يلعب فيما خلق هو من أجله لنفس من هو ربه، هياه دثار ظهوره ليصنع على عينه، وألا يأخذ هذا الأمر هزوا ولهوا، كلما نودي للصلاة والصلة ممن أسفر بها من يوم الجمعة، وهو ظهور الإنسان بمعناه ودعوته ليومه في دهره يجمع على غيبه له باسم الله، يستمع لدعوته لاهيا لاهيا هازئا التعساء، وينتهبها ويلتهمها لأنفسهم السعداء، قل ما هو أقرب إليكم من حبل الوريد خير لكم من اللهو ومن التجارة.

أهكذا كلما رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما! تدعوهم وأنت بالحق قائم، تدعوهم وأنت وجه الغيب الظاهر، تدعوهم وأنت الحق لهم من ربهم، فيضعون أصابعهم في آذانهم حذر الموت، والله محيط بالكافرين، وإذا أحاط الله بشيء محاه، يحيط بثرهم، فيقبلون الأكف على ما أنفقوا فيها من مال وجهد وما أصبح من أمرها وقد غار مأوها وتوقفت أكلها.

إن الله هو ما وراء الصادقين، هو ما وراء المؤمنين، هو ما وراء العابدين بإحاطته، هم وجه إحاطته يفعل بهم ويفعل لهم، ليكونوا وجوها له به مشرقة لوجوه لها به ناضرة عبادا له هم عباد رحمته على عباد له هم عباد فضله، محتجبا عن عباد له هم عباد أنفسهم. فالكل لله عباد، ولكن للرحمة من بين أهل رحمه عباد، هم وجوه طلعت، هم كلمات، هم هداته، هم آياته، هم قبلته، هم نصبه، هم وجوه لمن ألقى السمع وهو شهيد.

لا جديد في الحق، ولا جديد في الخلق، ولا جديد تحت الشمس، ولا جديد فوق الشمس، وقد جعلت الشمس دليلا على إنسان وجوده، لا جديد في صمدية الإنسان، ولا دخیل على أحديته في قيام عوالم خلقه، ولا جديد في الإنسان في مرفوع عوالم حقه. لا جديد حول البيت الموضوع، ولا جديد في البيت المرفوع، ما دخل الإنسان البيت المرفوع إلا بعد طواف حول البيت الموضوع. بهذا الطواف أفاض الله عليه مفتقرا، وأنزل السكينة على قلبه حائرا، وألحقه اللطيف الخبير بحضرة رحمته، وقربه بأهل بيته يتيما، فأمسكته يد ربوبيته وأبوته يتيما آواه، ورفعته يد قدرته مسكينا أغناه، وأمسكته يد رحمته فأدخلته مرفوع بيت ربوبيته ومولاه.

إن ما جاء ويحيى به الدين، هو ما جاء ويحيى به العلم. وما جاء ويحيى به العلم هو ما يسبق أو يلحق ما جاء به الدين ليحيى الجو والعقول لما سوف يأتي به الدين، أو ليعين ما غمض أو ما أجمله أو أشار إليه الدين. يسبق الدين العلم بتبليغه، ويسبق العلم الدين ببيانه للحقائق، وكشفه وإيضاحه لأمر الكائنات والدقائق. هما أخوان، وصنوان، ورفيقان، يتسابقان على تعريف الإنسان بالفضل والفضيلة لا يتخاصمان ولا يتنافران على تعريف الناس بربهم هم فيه وهو فيهم. هو اللطيف الخبير بهم وفيهم ومن

ورائهم، يلحق الأبصار فتبصر، ويلحق الأسماع فتسمع، ويلحق العقول فتشرق، ويلحق القلوب فتحيا، ويلحق الذوات فتبقى، ويلحق البقاء فيتطور، رب الفلق للنفس الواحدة، ورب الرق لأبعاد النفس الواحدة، يقطع أرض الذات التي تقوم بالبقاء من هيكل الإنسان عوالم، ويتواجد بأبعاضه بها حقائق، يرتقها في دوائر وأفلاك، وكواكب وسدم، من وجوه في وجوده، في ثنائية من شهود لمشاهد بتعدد لتكاثر في واحدة من شهود لأحدية من عقيدة ووجود، في وحدانية من انتظام. لا جديد في الوجود، ولا جديد على الشهود. لا جديد في الحق ولا في الحقيقة، أحد لأحدية دائما، وأبد لأبدية دائما، وواحد لواحدية دائما قديما وسرمدا، لا إله إلا هو، ولا موجود غيره، الناس فيه بين موتى ونيام، بين سجد وقيام، بين خصام وسلام، يعرفونه في معرفة أنفسهم، ويجهلون في جهل أنفسهم، ويحيونه في حياة قلوبهم، ويفقدونه في موت ضمائرهم، لا إله إلا هو، إليه المصير. فلا أنا إلا له، من ورائهم محيط، هم له وجوه، لا يشهد لها إلا يوم يشهد بها، وجوها له، مشهودة منها، ومشهودة لها، من وراء الكل بإحاطته، في شهود الكل لوحدايته الشاهد والمشهود، وبانتظام الكل بأحدثه لا غيره ولكن هو، ولا إله في غيب ولكن شهوده، هو الشاهد والمشهود، وهو الموجد والموجود في عين مطلق وجوده لا بدء ولا نهاية له. هو الطاقة قبل تجسدها وهو الأشياء قبل تحللها.. هو ما وراء الأشياء من طاقة تحكمها.. وهو ما وراء الطاقة من أشياء تصدرها.. وهو ما بالأشياء من طاقة تجسدها.. وهو ما بالطاقة من الأشياء في طريق تواجدها.. هو باطن الأشياء وهو باطن الطاقة.. هو الأشياء وهو الطاقة.. هو الوجود وهو مصدر الوجود. الإنسان ذكره ومعناه، وباطنه لظاهره، وظاهره لباطنه.

هذا جاء به الإسلام، صبغة وفطرة، وتطورا ونشأة، وإخراجا من عدم أو ما هو في معناه، وامتدادا بنور، وقياما بحياة.

المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، من سالم الله في الناس فسلم الناس من بطشه ومخاصمته، وسلم من الناس بفطرته لم يدخلها فعلهم، من رأى أنه بالوجود حيا موجودا فغنى وقنع بالحياة مسيح وجوده شاهدا ومشهودا، لا غيره بوجود منعزل ولكن عينه في تواجد متصل فدخل حصن لا إله إلا الله، وأمن من مكر الله وزحزح عن النار، وأدخل الجنة، وفاز بالله، وفاز بالحياة، فاز بالعقيدة، فاز بالسلامة. وفاز بالسلامة ففاز بالقيامة. لا ينكرها وهي قائمة، ولا يستعجلها وهي قادمة، ولا يجهلها وآياتها عارمة. مات قبل أن يموت، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب، وبعث قبل أن يبعث. يؤمن بساعته يقيمها ويشهدا قائمة لا ينتهي لها قيام، رحيمة لا يتعطل منها فيض بسلام، إنما هي الأعمال ترد إلى مصدرها فيشهد أنه لا إله إلا الله، فإذا عرفه الحياة، وإذا اتصفه معناه، إذا

أحسن حق قدره، وتأدب في حق تقديره فعرف الحق في الإنسان، وعرف الحق في رسول الإنسان، وعرف الله برسول الحق فيه فطلبه به فشاهده، فقام به فقامه، فعرف نفسه، وعرف ربه، عرف مسحه، وعرف وجوب ربه بوجوده في معروف إحاطته بمعلومه، من معدوم ذاته في موجود معبوده، فشهد أنه لا إله إلا الله، وعرفه بها عبده ورسوله فعرف محمد الله ورسوله، فشهد أنه محمد رسول الله.

يا أيها الذين آمنوا.. يا أيها الذين عرفوا المعروف.. يا أيها الذين اتصفوا الموصوف.. يا أيها الذين وجدوا الموجود.. يا أيها الذين شهدوا المشهود.. يا أيها الذين عرفوا أنهم في الموجود موتى وعدم، فطلبوا موجودا لهم فيه بالوجود به، فوجدوا فتواجدوا له عبادا، فعشقه عبده مرسلا، فأسلموا لرسوله.. يا أيها الذين آمنوا بالله وأسلموا لرسوله اتقوا لقاء الله وآمنوا برسوله، فأمنوهم فيه فأعطاهم رسوله كفلين من رحمته، أعطاهم رسوله، معناه لمعانيهم، فشهدوا بمعانيهم معناه لهم في معاني الرب عليهم، كما شهدوا بمعاني العبد فيهم معاني الحق لهم، فأخذوا كفلين من رحمته، أخذوا وصف العبد مرحوما، وأخذوا وصف الرب راحما، وعرفوا أنهم جميعا رب راع وعبد مسئول عن رعيته، نخشوا الله في أنفسهم وفي ضمائرهم عبادا له وأربابا على من ربوا ممن كفلوا، ممن منهم تواجد أو بهم وجد وممن عليهم قاموا. هذا هو الإسلام، هذا هو الدين، هذه هي الفطرة، هذه هي صبغة الله. فإذا يطلب الناس وماذا يدرك الناس؟ يتكلمون عن حتمية التاريخ ولا يدركون من خلق وصنع التاريخ، ولا يعرفون معنى للتاريخ، أو باطنا للتاريخ، وينفرون من اسم الله في فعله قديما وفعله قائما، صبغة الله وفطرته في الإنسان قام بالله ويقوم بالله ويقوم به الله في قيامته.

إن الله كما بدأ أول خلق معيده على ما بدأه بدءا بعد بدء. إن الله في قديم الخلق وجديده. إن الله قائم بقديم الخلق، كما هو قائم بجديد الخلق. إن الله خالق بالخلق، وسبق أن جعل وهو جاعل من المخلوق معنى الخالق، والله خلقكم وما تعملون. فهل وحد الناس الله فأمسكت يد بطشه بإحاطته عن هلاكهم إلى الإمساك بهم مرحومين، متوفين بموتهم عنهم إذ يشهدون فيهم وحدانيته؟ إنهم ينفرون من وحدة الله، وينفرون من وحدة الوجود، وينفرون من وحدة أنفسهم، وينفرون من وحدة جديدهم بقديمهم في حتمية التاريخ كما يقولون، ومن وحدة قادمهم مع قائمهم، يرون الناس في دوام بما يكسبون، ويعرفون الناس في دوام معارفهم فيما يكشفون من ظاهر أمرهم، ويغمضون عن أمر أنفسهم، ولا يتابعون إمام بشريتهم، {فكشفنا عنك غطاءك}³ {ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر}⁴ الخطاب له وهم المخاطبون {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}⁵. انظروا في بيداء داخلكم فعمروها، ولا يشغلكم في خدعة عن أمركم خضراء ظاهركم، فإنكم لن تفقدوها، إن لكم ما تكسبون من تعمير

داخلكم فلا تكونوا عبادا للعالمية لها، ولكن اجعلوا من الدنيا أمة لكم، وحققا لعملكم، عمروا داخلكم بالله وهو له مهياً ما كنتم في الحياة، وما تكشفت لكم أنفسكم، وما قامت فيكم ضمائركم، وما حكمت في أمر أنفسكم عقولكم، وما خضعت واستجابت لأمر العقل نفوسكم، وما حرصت على الحياة ذواتكم، وما قامت بالحياة لكم معانيكم.

كل هذا جاءكم به الإسلام دين فطرة، كما جاءكم به دين كتاب، كما جاءكم به دين علم، كما قام فيكم دين رسول وبيت وعتره، عبادا للرحمن لا ينقطع لهم على الأرض نتاج وقيام، ولا يتوقف لهم فيها سعي بإسلام. ختموا النبوة والأنبياء وبعثت فيهم الأمم بالحساب والجزاء هم عليهم شهداء، يمشون على الأرض وهم الأرباب للأرض أمة ولدتهم لا مستعلين ولا مستكبرين لا عن ذل ولا عن ضعف، ولكن عن حكمة، وعن رحمة، وعن تواضع، وعن سلام في وعي، وعن رحمة في تدبير، وعن حكمة في هدي، واستقامة في قصد. طلب إليكم أن تبحثوا عنهم بينكم من أنفسكم، وأن تسعوا لهم ما عرفتم لهم كعبة تقصد، وبيتا يطرق، وقبلة تعشق. بهم تشهدون أنه لا إله إلا الله، يوم أنكم بهم ولهم وفيهم تشهدون أنه لا فرق بينكم وبينهم، فتقومون لله فرادى، وقد كنتم في شهودكم مثني، فعرفتم في حاضرهم أحدية قيامكم، فأدرتكم أحدية الله لكم، وأحدية الله لأبنائكم، وأحدية الله لمجتمعاتكم، وأحدية الله في وجودكم، بوجوده عين وجوده وجوها له، وأعلاما عليه فتدخلون في حصن لا إله إلا الله، وتدركون وتشهدون رحمة الله بكم، يوم تعرفون أنكم بمحمد رسول الله، يوم تكونوا من الصديقين يوم تصدقون الله وتصدقون مع الله وهو يقول لكم: واعلموا أن فيكم رسول الله، فتقولون كما قال أناس من قبلكم: أيها المبعوث فينا جئت في ضمائرنا بالأمر المطاع، فتعلمون رسول الله بينكم وفي أنفسكم فتترنمون به بدرا مشرقا على ظلام أرض قلوبكم، وشمسا ذاهبة بظلام ليلكم، وروحا متدفقة بالحياة في أرض هياكلكم في نصب هياكلكم من ذواتكم فياضة بالحياة على قلوبكم، فتعلمون صدق قوله: هو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين، وتؤمنون أنكم من ربكم مشهودين. وإذا عرفتم أنكم منه مشهودين سألتهم أن يلحق أبصاركم بلطيفه فتكونوا له من المشاهدين، شهودا لنفسه بنفسه، فتدخلون في لا إله إلا الله، وتقومون محمدا رسول الله في محمد الحق من ربكم.

هكذا هو الإسلام، وهكذا جاء الإسلام، وهكذا يتجدد الإسلام كلما جددته لنفسه في نفسه مسلم، فأخاه من طلب الإسلام ليكون مسلما، فأدرك في رسول الله قدوة لا تغيب، وأسوة لا تنقطع، ووجها لا يحتجب، فعلم أن رسول الله يتلو كتابه على مكث ليبين لهم، وأن عترته وكتابه لا يمتنعان عليهم أبدا. كنا بالفطرة في تواجد أزلا، وفي جديد سرمداء، فيعرف أن الله قد ارتضى الإسلام للناس في فطرتهم قديما، وجددته في فطرتهم بمحمد وإبراهيم والأنبياء جديدا، وأنه مرتضيه لهم بتجديده فيهم

أبدأ، يبعث لهم فيهم ومن بينهم عبادا شهداء من أنفسهم يجددونه على رأس كل أمة، وعلى رأس كل جيل من الناس، وعلى رأس كل عصر من الزمان، في لمحات من العصور، وفي ليالي وأيام من كل آن. إنا نزلنا الذكر وإنا له لحافظون. صدق الله العظيم القادر. نزل الذكر في الإنسان بالإنسان ولم يرفعه، وحفظه ولم يقطعه، ما كان الله ليعذب الناس وفيهم رسول الله، وما كان الله ليعذب الناس وفيهم من حكموا على أنفسهم بالخطيئة فاستغفروه، ما كان الله معذبهم وهم يستغفرون.. نعم رضي لهم الإسلام ديناً، وأرسل عبده ورسوله في فطرة الخلق، على دوام فيهم جدد، وأبرزه على كمال فيه بمحمد وببيت محمد، وبآل محمد، وبأصحاب محمد، وبأمة محمد من الشهداء وأممهم، تجديدا لا ينقطع، وقياماً متصلاً لا يندثر، ووجوداً لا يغيب، وحقاً لا يقهر. جعل مما بعد محمد بعثاً لما هو من قبل محمد، فكان برسالته فيصلاً للزمان والإنسان، وكان أول الساعة وأول الحشر وأول القيامة، أمورا قامت به وواصلت من بعده لا إله إلا الله محمد رسول الله...

زويت له الأرض فكانت له مسجدا وطهورا. ما ظهر في قوم إلا بلغتهم ليبين لهم لا شرف لعربي على أعجمي عنده إلا بالتقوى. كافة للناس في قدوته. كافة للناس في أسوته. كافة للناس في رحمته. لا ينقطع له في الناس تواجد. ولا يتوقف له في الله نمو بوجود أنه الإنسان وعبد الإنسان ورب الإنسان.

اللهم برحمتك فقد رنا على شهود أنه لا إله إلا الله، وعلى الدخول في لا إله إلا الله، وعلى العمل بلا إله إلا الله، وعلى الاستقامة على لا إله إلا الله. اللهم برحمتك فأنشر فينا نور هديك برسول الله، وأقنا في رحمتك رسول الله، وجوها له وعبادا لك. اللهم قوم فيك سبيلنا، وابعث بحقك قيامنا، وأزهق باطلنا، وأغطش ليلنا، وأخرج ضحانا، وأشرق بمعناك على ما أردت معنا، واجعلنا بمحمد وجوها لك من ورائنا بإحاطتك، ومن أمامنا بشهادتك، حتى نشهدك أنه لا إله إلا الله لا شريك لك، وحتى نقومك محمدا عبداً ورسولك، وحتى ندرك ونسعد برحمتك عبادا وجوها لك، لا تشاركك في عظمتك والعظمة لك، ولا تشاركك في قدرتك والقدرة لك، فإنه لا يشارك عبد من عبادك عبدك وصفيك أول العابدين بمعاني العبد لك، فما عرفنا عن وحدانيتك إلا عن وحدانية عبدك، بمعاني العباد لك علما على وحدانيتك معه، وعلى وحدانيتك به، يا من هو لا إله إلا الله، ويا من هو في ظاهر حقه رسول الله، ويا من هو في باطن رسوله عبد الله، ويا من هو في ظاهره وباطنه لا إله إلا الله، وفي ظاهره وباطنه رسل الله وعباد الله، في ظاهر عبد الله، وباطن عبد الله، وأولية عباد الله.

بهذا أقنأنا، وبه قومنا وسلبنا، وبه أدخلنا في السلم معك، وبه أنزل سكيتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وفيه قومنا حكاما ومحكومين، عالمين وجاهلين، مجاهدين ومتعطلين، سارين وواقفين.. وخذ بيدنا جميعا، واحفظنا في يدك، وأحط بنا بيد رحمتك.. وتخللنا بلطف يدك، ووجهنا بحكمتك ورحمتك، يا أرحم الراحمين، وألحقنا بأقوم سبيل وأتبعنا لأظهر دليل.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

أضواء على الطريق

(لقد كان حبكم ورسالتني هما فقط السبب في رجوعي إلى عالمكم المملوء بالأنانية والقسوة. وعلى هذا أعود لأعمل بينكم مرة أخرى لأعطيكم ما أقدر عليه من مساعدة لأستمر في المهمة الخطيرة، ألا وهي تحرير الإنسان حتى يخلص من أسرهِ، ويتمتع بما أرادهِ الروح العظيم للذين حلت بهم بركته الربانية من حياة كاملة روحيا وعقليا وفيزيقيا. إنكم محظوظون إذ عرفتم أن الإنسان خالد، وأنه روح لانهاية تغرب على الأرض سويغات قليلة في طريقها إلى الأبدية. إن الناس يقبلون أبصارهم إلى أعلى يتطلعون إلى فجر العالم الجديد الذي سيعطيهم أملا جديدا، وفهما جديدا).

من هدي السيد الروح المرشد (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١	سورة مريم - ٦٥
٢	سورة الأنعام - ٩١
٣	سورة ق - ٢٢
٤	سورة الملك - ٤
٥	سورة الذاريات - ٢١

(١٧)

إنسان

لا إله إلا الله

عبد معناه ورب مبناه

حديث الجمعة

١٣ جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٢ أكتوبر ١٩٦٢ م

بسم الله، وبرحمة الله، نشهده لا إله إلا الله، ونؤمنه لا إله إلا الله، ونقومه لا إله إلا الله، ونرجوه لا إله إلا الله، ونبقاه لا إله إلا الله. عليها غموت، وبها نحياء، وفيها نبعث، وبها نعمل، وإليها نصير. على لا إله إلا الله قام الدين، وبها قام الإسلام، ومنها تواجدت الفطرة، وعليها دار الوجود. منها أرسل الرسل، وبها قام الرسول، ولها استجاب المؤمنون.

لا إله إلا الله، هي الدين، وعلم الدين، وعلم الدين.

لا إله إلا الله، هي الإنسان، ورب الإنسان، وخلق الإنسان، وإله الإنسان.

لا إله إلا الله، هي الأزل، وهي القيام، وهي الأبد.

لا إله إلا الله، يقولها اللسان، ويدركها العقل، ويحيها القلب، وتستقيم بها الذات، وتوحد بها الجوارح.

لا إله إلا الله، روح الإنسان، وعقل الإنسان، ونفس الإنسان، وذات الإنسان، وزمان الإنسان، ومكان الإنسان، ودورة الإنسان بين شهادة الإنسان وغيب الإنسان.

على لا إله إلا الله، دارت رسالة الإسلام مع محمد، وبلا إله إلا الله، بُعث محمد، وفي لا إله إلا الله، قامت عبودية محمد، ومن لا إله إلا الله، بلغنا قرآن محمد، وسنة محمد، وأثر محمد، وتشريع محمد، وأدب محمد، وقدوة محمد، وأسوة محمد.

بلا إله إلا الله، قامها محمد، لا يغيب محمد، ولا يدرك محمد، ولا يلاحق محمد، ولا يختفي أثر محمد، ولا ينقطع تلاحق بمحمد.

لو أن أمة محمد تواجدت بتواجده، ما انخفض لها صوت، وما ذلت لها يد. وإن كان لمحمد أمته ما غابت وما انقطعت، ولكنها بعد ما ظهرت وأن وجدت وما عمت في مجالها من الأرض بقيامها كتابا وعلمها، وإن عمت برحمتها عن العذاب حجابا، وتجددت بعندها أفرادا. فما قامت أمة محمد ممن ظهر ويظهر أمة محمد أوزيرع له أمة محمد من الناس بلا إله إلا الله يلوكلها لسان ولا يقوم بها جنان. ولكن لا إله إلا الله ما فارقت أمة محمد، وما أمة محمد في لا إله إلا الله إلا الأرض مزوية، وما أخرجت الأرض مطوية، وما أنبتت البشرية ما تواجدت، وتلاحقت، وبقيت، فلا إله إلا الله ما فترت، وما ضعفت، وما تعجلت، ولكن أمة محمد من الناس كتابا وقياما ما عمت على ما وعدت، وما عزت على ما بدأت، وما استقامت على ما اهدت، وما قامت فيما عرفت. ولكن أمة محمد في لا إله إلا الله تواجدت، ومن لا إله إلا الله ولدت ووجدت، وعلى لا إله إلا الله شبت ونمت، وبلا إله إلا الله بعثت وما نحدث، وما توقفت في فرد وبيت وعصبة فردها لا إله إلا الله، وبيتها لا إله إلا الله، وجمعها لا إله إلا الله، وأمتها لا إله إلا الله، وبشريتها لا إله إلا الله، ووجودها لا إله إلا الله.

فكيف تغرب لا إله إلا الله، وكيف تشرق لا إله إلا الله، في وجود هو لا إله إلا الله؟

وكيف تموت رسالة؟ وكيف تمجد جذوة رسول؟ وكيف ينقضي أمر أمة قامت بلا إله إلا الله، وهدفت إلى لا إله إلا الله؟

ها هي لا إله إلا الله في هذا العصر وفي هذا الزمان، وإن كانت في كل عصر وفي كل زمان، تُظهر أمرها، وتقطع عن الأرض خبثها، وتزرع في الأرض حرثها، وتحصد من الأرض لحساب السماء ما لها، وتبعث من السماء لحساب الأرض ماءها، وما أمرها، وما قدرتها، وما حقها، وما غرسها، وما طلعتها، وما قربها. ها هي تخرج من باطن الأرض لظاهر الأرض طيبها كما تبعث من عنان السماء لسماء الأرض طيبها.

ها هي بلا إله إلا الله تتصل الأرض بالسماء، وتتصل السماء بالأرض، فتكمل في لا إله إلا الله دورة لا إله إلا الله في غيبها وشهادتها، لظاهر وباطن الحياة بلا إله إلا الله.

ها هو الإسلام، بلا إله إلا الله، يسترد أرضه، ويسترد بيئته، ويشعل جذوته، ويتدفق بمائه من أحواض رحمته، أنهارا تشمل أرض لا إله إلا الله.

ها هي لا إله إلا الله، تقوم ظاهرة بفعلها، فتكشف عن أسرار الله، بين غيب الإنسان بحقيقته وشهادته بجلباب ظهوره، ظاهرها من قبله العذاب وباطنها من قبله الرحمة. ها هو الإنسان يشئت ويجمع بين مادته وروحه في علانية بلا إله إلا الله.

ها هي تجعل من أحداث الزمان مشهودة في الاتصال الروحي في القصص والنحر حياة. ها هي تجعل في الموت عن المادة بالروح حياة، ها هي تداول الأيام والأوقات والأزمان بين الناس، على شهود للناس، وعلى إدراك للناس، وعلى غفلة من الناس، وكَم من آية في السموات والأرض، وفي أنفسهم يشهدونها، ويمرون عليها، فلا يأخذون لأنفسهم منها عظة، أو علم أو وعي، ولكن عنها يعرضون، وإليها لا يلتفتون، ومنها لا يعلمون! وما أشبه الليلة بالبارحة، لا جديد في الصمد، ولا جديد تحت الشمس جعلت عليه دليلاً.

ولكن دورة الأيام، ودورة الخليقة، ودورة الخلق، ودورة التطور، إنما هي الجديد على كل طور، تغيب عنه أطواره، ولا يتذكر لأحواله، ولا يتعظ بماضيه لحاضره، ولا يقدر لحاضره حاضر آبائه، ولا يتلاقى في حاضره ما سوف يكون لحاضر أبنائه. إن حاضرك اليوم على مثال من حاضر الآباء والأجداد يوم كانوا حيث أنت، وعلى مثاله يكون حاضر الأبناء والأحفاد، يوم يتواجدون في حاضركم حيث أنت، وإن حاضرك اليوم مع حاضر الآباء والأجداد في حاضرك يكشف لك، إن أدركته، مستقبل الأبناء والأحفاد في حاضركم، مرتبطاً بحاضرك. أنت في لا إله إلا الله بحاضرك مستقبل الآباء والأجداد يوم كانوا حيث أنت، وأنت في لا إله إلا الله بحاضرك ماضي الأبناء والأحفاد يوم يكونوا حيث أنت.

ها هي قضايا الدين ترفع الغلالة عن القيامة والبعث والأنا والهو للإنسان في لا إله إلا الله باتصال قديم الروح مع قادم الروح في إنسان لا إله إلا الله.

ما هو الدين؟ وما هو علم الدين؟ وما هو علم الدين؟ إن الدين إنما هو الإنسان، وعلم الدين إنما هو علم الإنسان عن نفسه، وعلم الدين إنما هو الإنسان في علميته على معلومه عنه.

لقد كان محمد لنفسه، ولييته، ولقومه، ولأمته، ولبشريته، ولزمانه، ولأرضه، ولسمواته، كان لذلك كله الدين كله، أظهره إنسان ربوبيته على الدين كله، وجعل منه إنسان عبوديته للجنس كله لنفسه رضيه عبداً، ولكافة الناس قدوة يتوحدون معه فيدخلون في لا إله إلا الله.

رضيه من رضيه ممن عرف، وممن به شرف...

رضيه من رضيه لنفسه إنسانا وعبدًا لإنسان ربه، رضيه للعلم والمعرفة وللا إله إلا الله نصبا وحقا وكتبا رمزت إليه قبلته. رضيه من رضيه لنفسه وللناس قبلة صلاتهم وعروة اتصالاتهم، وبيت حجيجهم وطوافهم، من دخله عرفه بيتا لله معنى قلبه فيه لقيه في لا إله إلا الله أهله، أسماؤه وصفاته. من دخله عرف في قيامه قيام الحق ووجهه وذاته، فقامت قيامته، وأدرك في انتشاره بنوره انتشار نور الحق بالحياة، وفي هديه هدي الحق من الله، وفي نفثاته روح الله، وفي فعله قدرة مولاه، وفي قيامه ووحدانيته أحدية الله بلا إله إلا الله.

جعله خالدا لأن مرسله رفيق أعلى خالد بلا إله إلا الله، ولأن رسالته قامت بالقول الخالد بلا إله إلا الله خالدة له ولمن آمن به، ولأن قومه صلحوا أو لم يصلحوا جمعوا، وأنشئوا، وخلقوا، وتطوروا، وحيوا، وبعثوا في لا إله إلا الله، وبلا إله إلا الله.

فكان محمد هو الدين، فيما قام، ويوم قام، ويوم يبعث، ويوم يقوم، ويوم يمتد، ويوم يتكاثر، ويوم ينتشر، ويوم يعرف، ويوم يتعدد، ويوم يتحد ويتوحد، ويوم يدرك الناس أنه لا إله إلا الله فيه يقومون، وفيه يدخلون، وبابه يطرُقون، وحوله يطوفون، وفي ساحته يتجولون، فيه في أنفسهم يتواجدون، ويسيرون من البيت المرفوع في رؤوسهم هامة كريمة مرفوعة، وجوها لما في قلوبهم من الحق بيوتا لله موضوعة، إلى البيت الموضوع في معنى قلوبهم برحمة الله، علما على الله، يسرون من المسجد الحرام على غير الله بين جوانحهم، إلى المسجد الأقصى في بيوت عقولهم من رؤوسهم تشرق بها أنفسهم بنور الحياة، وبشعلة نار الحياة من جذوتها متقدة بذواتهم، تضيء بها عقولهم بنصرة الحياة، وبنور الحياة، وتنصب بها هياكلهم علما عليه، بفراغها من كل ما سوى الله، دثارا لجذوة نوره ملتفة في حجاب بهياكلهم رحمة من الله.

فمن رحمته احتجاب الإنسان عن الإنسان، وعما دون الإنسان، وعن الوجود مملوكا للإنسان، بمعنى الإنسان بلا إله إلا الله، لا تطيق الأرض وطأته، ولا تحد السماء سعته، ولا يقهره الإطلاق. إنه يقوم بالإطلاق في الإطلاق طليقا برحمته له عبدا، وبه بنفسه محيطا، ومنه على الوجود سيذا، وللناس معلما وربا وأبا، وفي الناس رحمة وحقا بلا إله إلا الله، في لا إله إلا الله، من لا إله إلا الله إلى لا إله إلا الله.

هذه هي لا إله إلا الله، على ما حملها محمد، وعلى ما شرف بها الأنبياء من قبله، عنها متحدثين، وعلى ما شرف بها الشهداء من بعده بها على الناس قائمين، وعلى ما قامها محمد في الأولين منبثا نبوءة ختمها بذاته، وعلى ما قامها محمد في الآخرين من بعده شاهدا شهادة يختمها يوما بذاته، ليقوم قياما يبدأه ويواصله ويختمه. وهكذا يكون كما كان في دورة للزمان قدوة وأسوة لمن قبله ليستكمل حاله به، ولن

بعده ليقوم حاله فيه في العالمين. فهل نشهدنا لا إله إلا الله؟ وهل نشهدنا لا إله إلا الله؟ وهل نشهد محمدًا لا إله إلا الله، فنعرفه رسول الله، ونشرفه في قيامنا عبد الله، ونقومه في الناس كلمات الله، ووجوها له، وشهداء على الناس بشهادته علينا، قوامين على الناس بقيامه علينا، وقيامه بنا رحمة الله بنا للناس في خدمة الناس عبادا لله، فنكونه أمة محمد، ويكوننا أمة محمد، فتكن منا أمة تدعو إلى الخير وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، تشهد وتعرف وجه الحق منه بحمد رسول الله، تؤمنه وتقومه لا إله إلا الله، الملك له والحمد له، لا شريك له، وهو على كل شيء قدير وبه عليم وعليه شهيد، ظاهره إنسانه وعبد، وباطنه إنسانه وروحه وحقه ورب، ومطلقه إنسانه وإلهه وغيبه، في لانهائي قيامه، ولانهائي موصوفه ووصفه، ولا نهائي مسماه وأسمائه وجماع اسمه، وأزلي معناه معروفا بالمعروف مما يعرف ومجهولا بالمجهول مما لا يدرك؟

اللهم وقد أقتنا بلا إله إلا الله على ما بلغنا، وعلى ما صدقنا، وعلى ما هدينا فرددنا، اللهم بلا إله إلا الله فحققنا، واكشف حجاب الغفلة عنا، وبحمد رسول الله أدخلنا لا إله إلا الله رحمة منك ويسرا لطريقك، اللهم إنا بحمد آمنا، على ما عرفنا وعلى ما قدرنا، لتعاليمه اتبعنا ما استطعنا، ولخطوه بهديه تابعنا، اللهم به فألحقنا، اللهم به فدركنا، اللهم به فعلنا، اللهم به فارحمنا، اللهم به فسامح رحمتك أوردنا وأشهدنا.

اللهم إنا علمنا، ما علمتنا، وتحذّرنا من أنفسنا على ما حذرتنا ونهيتنا، وما نحن نردها إليك على طبيعتها، برّاء منها، شاكرين لها، بها أوجدتنا وبها علمتنا، اللهم برحمتك فطهرها، ومن أغلال الشرك فحررها، ومن ظلام الضيق فأخرجها، وحجاب الغفلة عنها فارفعه، وبحمد وقد تابعتك في اتباعه، وقد رددت اسمه في صلّاتها، وقد رددت ذكره في صلّاتها، وقد وصلته وصلّتك، اللهم به فأوصلها، وعنه لا تقطعها، وعن سوائها فتجاوزها واغفر لها، وبرحمتك فعاملها، وبفضلك فاقبلها، وبمنتك فارحمها. اللهم إنا قد عرفنا أن رحمتك أكبر من إساءتنا، ومغفرتك أوسع من معاصينا، وأن حقك أقوى من باطلنا، اللهم عاملنا بما أنت له أهل مما عرفنا وقدرنا، ومما عنه عجزنا وجهلنا فمأدركنا، وعافنا مما نحن له أهل مما أبصرنا وكشفنا، ومما جهلنا وغاب عنا. اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا، وخذ بنواصينا إلى الخير، وقوم سبيلنا حكاما ومحكومين، واغفر لنا حكاما ومحكومين، وتولنا حكاما ومحكومين، واقبلنا برحمتك حكاما ومحكومين، اللهم إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع رحمتك، اللهم حركنا حكاما ومحكومين بطوايا الخير ونوايا الخير، وأبعد عنا طوايا الشر ونوايا الشر، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك.

أضواء على الطريق

من هدي السيد برش الروح المرشد عن علاقة الإنسان بالروح الأعظم:

(نحن نعلن أن الإنسان ليس في حاجة إلى مخلص أو إلى وسيط بين الروح العظيم وبينه، وأنه يحمل فوق كتفيه مسؤولية أحواله، وأنه بخلقه اليومي يصنع أو يفسد حياته الروحية، وأنه إلهي اليوم مثل الأزل الذي يمكنه فيه أن يظهر تلك الألوهية بدرجة أعلى. إن الصفة الإلهية له لن تتغير أبداً إذ يبقى جوهرها كما هو إلى الأبد، ويمكن للإنسان إذا ما تطور أن يظهر أكثر وأكثر من ألوهيته الكامنة.

نحن نرفض وجود أي تعويذة لها القدرة على أن تحوّر نتيجة أعماله الخاصة، ونقول إن الروح الأعظم يهيمن على الكون بقانون لا يتغير ولا يتبدل، وأن كل إنسان منكم يحكم على نفسه من الحياة التي عاشها على الأرض. إنا لنذكر الذين عملوا من أجل هذه المبادئ وعانوا الاضطهاد يوماً ما بأن ثمرات أعمالهم تقطف الآن، وأنه يمكنهم في قيامهم رؤية علامات النصر في كل أنحاء عالمكم، وهي تدل على أن النظام القديم يموت، وأن الحياة الجديدة للروح بدأت في الظهور.

إن السحب التي طالما حجبت شمس الحق الروحي تتشقق. الضوء يصل للقلوب ويضيء خلال حياة الآلاف التي لا تحصى الذين استعدوا ليكونوا رسل الحق الذي حررهم. لقد جئنا لنخلص الناس في عالمكم، وذلك بتعليمهم كيف يخلصون أنفسهم بأن يتصلوا من الماضي الميت، ويحرروا أنفسهم من رباط المادة، والعقل المتحجر، والروح الحبيسة. جئنا لنعلن أنه يجب عليهم ألا يوافقوا على القديم لمجرد أنه قديم، وعليهم أن يبحثوا باجتهاد عن الحق، ويرفضوا أي شيء مخالف لبداهاتهم ومنطقهم.

إنا نعمل للتحرير الكامل المعاني، ونعلن حرباً خالدة على كل القوى التي تعترض طريقنا من الأهواء والأنانية، وكل شيء يعترض تحقيق ذلك يجب أن يكتسح).

(١٨)

التعديد والتوحيد أو التوحيد والتعديد الشفع والوتر أو الوتر والشفع هو العلم والعقيدة أو العقيدة والعلم

حديث الجمعة

٢٠ جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ - ١٩ أكتوبر ١٩٦٢ م

إلى مصدر كل شيء..

إلى كل شيء..

إلى المعروف الذي لا يُعلم، إلى المعلوم الذي لا يُعرف..

إلى المسمى الذي لا اسم له ولا يتسمى..

إلى الموصوف الذي لا يتصف..

إلى واجب الوجود المتواجد في وجوده..

إلى الموجود المتفاني بفناء وجوده في موجوده..

إلى المنزه.. إلى المنزه عن التنزيه..

إلى القيام المدرك.. إلى الحياة.. إلى مصدر الحياة.. إلى الحي القيوم..

إليه نتجه، معبدن أنفسنا له، سرايل ليله ونهاره، لظهوره بتجليه، ولتواجده بتدانيه، رحمة منه، في الافتقار إليه، نوحده لا نشرك به، ونستعينه لا ننكر عليه، ونعتز بفضلته لا نستكبر به، لا إله إلا هو، ولا حق سواه..

جاء الحق منه، في مجيء رسالته برسله، لا بدء لها، ولا انقطاع لهم، ولا بدء لهم، ولا انتهاء لها.

عباده، عباد رحمته، وجوه طلعت، رسله منه وإليه، إلى الناس قائماً على كل نفس من الناس أمورا له، منه وإليه لا شريك له، نشهد أنه الواحد لا تعدد له ولا كفاً معه، وأنه الأحد لا تعدد فيه، ولا سلطان إلا له، وأن الإنسان بمعناه معاني فيه ومعاني له، طلعت ربا مرسلًا، وعبد رسلًا، وسيدا منه مرسلًا إليه. أينما نولي فوجهه، وفي أي شأن نقوم فأمره، وفي أي لون نعمل فحكيمته، من الأرض ينشئنا وإليها يعيدنا، ها نحن عليها، بنا تزين وتغني، ومنا تخلع زينتها وعنا تخلع غناها، حول نفسها تدور، وحول شمسها تطوف، وحولها وليدها منها عليها يعكف.

حول الأكبر تدور، وحولها الأصغر يدور، وما دارت حول غير لها، وما كان غيرا لها ما دار حولها.

إذا اجتمع من يدور حولها، أو ما يدور حولها، على من دارت هي حوله، أو ما دارت هي حوله، فقد أدت رسالتها، وتخلت عن سيادتها على صغيرها أو وليدها، وردته إلى السيادة عليها، من كانت هي منه وليدة، فاجتمع الفرع على أصل أصله ثالث واحد، وما اجتمع على أصل أصله إلا بالتححرر من أصله بمولد منه ليكونه، خلق فسوى، اجتمع الشمس والقمر.

إن الذي يُشهد من أمر الفلك، هو ما يشهد من أمر الناس، والناس على أرضهم تنشق عنهم أبناء لها، وأما لهم، يحملون صفاتها في أنفسهم فيدورون حول أنفسهم، كما تدور أمهم الأرض حول نفسها، فيظاهرون شمس معرفتهم أو يواجهونها تبعًا لها وهم في دوام بدوام حركتهم، حول أنفسهم في حركتها يواجهون شمس معانيهم بأبعاضهم، ويظاهرونها بأبعاضهم، فيجمعون لذواتهم معاني الليل والنهار بما يعلمون من أمرهم وما يجهلون من أمرهم، وهم في علمهم لا يستكملونه، وهم في جهلهم لا يدومونه، يأتيهم الجهل بعد العلم فيعرفونه، ويأتيهم العلم بعد الجهل فيستقبلونه، ويأتيهم العلم بعد العلم فيعرجونهم أو يأتيهم الجهل بعد الجهل فيضاعفونه ويعمهمونهم. فبين العلم والجهل يتواجدون، وبين العلم والجهل ينعمون ويشقون. هؤلاء هم أبناء الأرض، القمر مثالهم لبنوتهم لها وانشقاقهم عنها مواقيت للناس في أطوارهم بزمانهم، الشمس مرادهم ومولاهم، أو مجهولهم ومبتلاهم على ما الأرض معها في أمر نفسها. إذا عرفنا هذا ظاهرا لنا في ظاهر أمرنا، عرفنا بين الشمس والقمر، أراضين وسمواتها، وأوادم ودوراتها، فكأمة وسطا، أبناء لأرض، كانت بين الشمس والقمر كوكبا وسطا، تعرف الأكبر وتعرف الأصغر، وتعرف نفسها، فإذا كنا معناها وجدنا نزعى الأصغر آباءً وأمهاً، ونوالي الأكبر أولادا وبنات، وتتكاثر بأنفسنا متزاوجين في أنفسنا في بنات وبنين امتدادا لنا.

بهذا كان إنسان الأرض أصلح أنواع الإنسان لاستقبال كمال معناه من إنسانية الأزل، وكان أرضا صالحة لبدء إنسانية الأبد، فما صلح في بيئات الإنسان لاستقبال المثل الأعلى للإنسان في أزله في أحسن تقويم، إلا إنسان الأرض مستخلفا مشهودا بمعنى الأزلي لمعناه لسائر العوالم. وما صلح من

الأراضين لنشأة الإنسان نشأة يصل بها إلى أحسن تقويم إلا إنسان الأرض. فطوبى لأهل الأرض من صلح منهم لمعنى الإنسان، ولیدا فوالدا، فعین مولوده قائما، فقادما فقديما، وجديدا فمتجددا، فجدا فكوثرا، القدم والجدة له والجدة والقدم له، والأزل والنشأة له والنشأة والأبد له. كل هذا لإنسان الأرض ما حرص إنسان الأرض على معنى الإنسان له فطلب أباه وربّه، وقام على مخاصمة نفسه فجدها وعددها، وحرص على أن يترك لولده ما ينوبه إلى كماله، مثالا للكمال له، ذرية طيبة بعضها من بعض، حتى يعمر أرضا يحييها ويملكها هي أرض قلبه، وسماوات ينشئها ويتسعها هي وحدانية ذاته يوم يحييها جزءا جزءا فردوس نفسه، يتخلق به المكان يوم تصبح ذاته محلا لوجود الإنسان الروح الدائم ذاتا له ونواة لوجود وليد. بها يتواجد بيت القبلة وقلب الوجود فيعرف الاتجاه للأعلى منه وللأسفل عنه، والاتجاه للأمام والخلف في مواجهته ومظاهرته، ولليمين واليسار بمتابعته ومعاندته، في ثالث من الأطوال يتلاقى عنده حجرا للزوايا لتقاطع المتباينات من الطرق، وتلاقى المتناقضات من الاتجاهات، وهذا ما عناه عيسى بقوله كل منكم يحمل صليبه.

به يخلق الآن والعصر كلها ظهر بالحياة في مجالات العدم. فيتحدد القبل بما قبل بدئه بمولد، ويتحدد البعد ما بعد انتهائه بقيام في مظهر غيبه بموت، ويتحدد الحاضر بعقيدة حاضره فيمن فيه يحضر، ويتحدد الغيب بعقيدة تواجده في بعد عن الحاضر. به يتلون نوعه من ظاهر الجنس ومن باطن الجنس بوصف الكفر أو الإيمان لظاهره في القرب منه والبعد عنه، وبوصف النور والنار أو الظلام والتراب لباطنه في الارتباط به والتطور بمعارجه وأطواره بسرايله من الطبائع في الطبيعة.

إن الإنسان في مرجعه إلى الحق، في مرجعه إلى الحقيقة، في مرجعه إلى الله، إنما يرجع إلى أصوله، من صلح منهم يوم يصلح مرضيا مكافأ مسرورا، منقلباً إلى معانيهم على تمام لها في الإنسان، وإلا فيبقى مجفوا، مجازا، محسورا في طريق الفناء والحرمان. كلها نضج جلد له بدل جلدا غيره.

فالإنسان، إما أن تنهيا له أسباب المضي في التكوين والتجدد والوجود ليكمل بمعناه باسم الإنسان، أو اسم ابن الإنسان، أو الروح القدس للإنسان، إذ ينقلب إلى أهله مسرورا، برجوع الولد إلى والده، والموجود إلى موجدّه، {فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون}¹، {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم}²، إن الإنسان إلى أصله، وإن الإنسان في نفسه لنفسه بنفسه يعمل ويستقيم، ليتواجد ويصل، يتواجد بلا إله إلا الله، ويصل إلى لا إله إلا الله، فيعلم أنه من لا إله إلا الله نشأ. إن لا إله إلا الله لنشأته، وجود وقيام، وإن لا إله إلا الله لنفسه، وجود وقيام، وإن لا إله إلا الله لقادمه، وجود وقيام، وما لا إله إلا الله في قيامها منشأ، ولا لا إله إلا الله في قيامها منشأ، ولا لا إله إلا الله في قيامها هدفا وغاية إلا لا إله إلا الله.

وهذا ما أراده أخونا، ومولانا، وسيدنا، وراعيانا، ابن الإنسان، وابن آدم، وابن الأرض، وابن السماء، وابن الشمس، وابن الطبيعة ووليدها، وسيد الطبيعة وجديدها، من عرفناه عيسى بن مريم، ومن عرفناه كلمة الله وروحا منه، يوم قال الآب والابن والروح القدس إنسان واحد، أي أن آدم وحواء وأولادهم بيت واحد، أي أن الآب بقديم الأب، والأب لجديد الآب، والابن بمعنى الذات، والروح القدس بمعنى جماع الصفات حق واحد، وإله واحد، ووجود واحد.

يقول المسلمون ادعاءً إن الإسلام لا يعرف التثليث، ولا يعرف الثنية، ولكنه يعرف التوحيد. إن الإسلام عرف التعديد ما أنكره في القول بالخلق مستقلا عن الخالق، كما عرف التوحيد ما فارقه بظهور الخالق بالخلق، فعرف الثنية ما مجدها، وعرف التثليث وما فوّه فأنكر المعارج في المعروج إليه وفي العارج به، وعرف التوحيد إذ قام به، وبدأ به، وجعل التوحيد شعاره وأساسه وبابه، وقيامه، وكتابه، وعلمه، ولكن جعل الثنية بعد التوحيد طريقا فيه {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله}³، وجعل التثليث بعد الثنية علما فيه (كل ما جال ببالك فهو على خلاف ذلك)⁴. {ليس كمثله شيء}⁵، فميز المجهول عن المعلوم، والغيب عن الشهادة، وجعل الشهادة في ثنية من الرسول ورب الغيب باطنهما، هما معه ثالث واحد، وقيام واحد، وأمر واحد، وحق واحد، فجعل التعديد بعد التثليث تعريفا عنه بوحدة مفرداته لا حصر لها، في التوحيد والوحدانية وجوها له. فإذا جاء أدعياء الدين الذين ما أسلموا لأمر الله فيهم وبينهم، ولا منهم الناس سلموا، يحرفون الكلم عن مواضعه، ويزعمون القول بتوحيد ابتدعه يشوشون به على العقائد بأوهامهم، والتوحيد في الإسلام قيام بدء بالله ورجاء نهاية إليه، نبدأه على سبيل البشرى بإيمان قيامه في النفس، وننتهي إليه على سبيل الغاية بقيام اليقين بمعناه لها، فإذا تحدثنا إليه معنا مفتقرين، وعرفنا عنه لنا مجاهدين، وطلبناه فينا بوحدانيته معنا سارين، فإننا نبدأ في التعديد مثنيين بعين وجود عبد وقيام رب في الذات وفي اليقين، فإذا عرفنا للرب عبدا تتابع، ووجها للرب لوجهه في الناس نشاهد، وعرفنا ما بينهما على ما علمنا من وحدانية الله بها بدأنا، فلم نفرق بين العبد ورب الأمر الذي عرفنا في أنفسنا، عرفنا الرب أينما نولي فوجهه، ثم عرفنا معنى العبد فينا وبيننا، وفي أنفسنا، وفي كل شيء، كيف هو مع ربه، من هو كل شيء فعلنا وحدانية الله بعد اعتقاد بها فقبلنا قول الحق: واعلموا أن فيكم رسول الله، اعتقادا، فطلبناها لنا به علما ورشادا وقياما، إذا قمنا في هذه الثنية بعين عبد ورب لأنفسنا، وعبد ورب لمن نتابع وبه نفتدي ونهتدي، وأثره نتعقب. إذا قمنا ذلك قام فينا هذا التثليث، بكائن متابع لمعاننا متابعين، وعبد حقي متبوع لمعنى الرسول خلفه سارين، هو حق لرب معه متحد على ما نحن فيه متحدين. فإذا عرفنا هذا التثليث من الغيب إلينا والرسول بيننا وقمنا بين يدي رحمته من الرسول ورب، عرفنا بربه في دوام ظهور صفاته الأزلية على ما شهدنا كان لنا، وعلى ما نشهد بمزيد وجديد دائما لنا يكون، فعرفناه ذا

المعارج بعروجنا، فعرفنا التعديد، لا عد ولا حصر له، وأدركنا ماذا أراد رب محمد، بما قال لمحمد: آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم، إذ دركه الوجدانية بدءا في قرب بقاب قوسين أو أدنى، ثم دركه الإثنية في شهود نزلة أخرى، ما زاغ البصر وما طغى. دركه الوجدانية في: ما كذب الفؤاد ما رأى، ثم دركه المعارج بدءا من نفسه في معراج هياها لتقبل نزلة وأخرى، ودركه التعديد بالعبودية والتنزيه باللانهاية في قوله له: هل تعلم له سميا.. قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون. فكيف نكر على الإسلام علمه بالتثنية والتثليث والتعدد وهي تفريع عن أساسه من الوجدانية، وهي علوم في الحقيقة عنها يدرك معنى الإكبار لله والتقدير لمظاهره من كائنات بها يذكر؟ فالتثنية منتهية إلى التوحيد وبادئة منه، والتثليث منتهي إلى التوحيد وبادئ منه، والتعدد منتهي إلى التوحيد في إدراك مفردات وصفات وأسماء الواحد وبادئ منه في عظمة تقديره، هو الرحمن فاسأل به خبيرا.

إن السائل قائم بالله، والمسئول قائم بالله، والمسئول عنه قائم بالله، فالسائل والمسئول إثنية، والمسئول عنه يطلب حي عند السائل ويعلم قائم عند المسئول، تثليث يجعل منهم قياما في المسئول عنه، هم ثالث واحد، وقيام واحد، وحق واحد، والله خلقكم وما تعملون، عملكم هو مبناكم، من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، إن ابني من أهلي إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح.

إن العمل وصانعه، وصانع الصانع ثالث واحد وحق واحد، أنت ومن صنعك وما صنعت أمر واحد، وشأن واحد، وقيام واحد، وكتاب واحد، وحق واحد.

أنت وأبناؤك قيام، وأبناؤك إلى آدم قيام، وآوادم آدم في قيام قيام ثالث واحد. إن آدم في قيامه ومن تناسل منه إليك في قيامهم، وأنت وما تناسل منك في قيامك ثالث واحد، وقيام واحد، فيك صفات آدم وما زلت فيه وما زال يقوم بك، فأنت وآدم وما بينكما ثالث واحد، وقيام واحد، وآدم واحد، وحق واحد، وإله واحد، آدم ومن وجد على مثاله، ومن أوجدهما منه، ثالث واحد، وقيام واحد، وحق واحد، ووجود واحد.

إذا لم نعرف التعديد بالتثنية والتثليث في وحدانية الله، فكيف ندرك وحدانية الله؟ وكيف نقبل وحدانية الله؟ وكيف نفعل لأنفسنا وحدانية الله فنوحده؟ كيف نقوم بوجدانية الله اعتقادا؟ وكيف نقوم بوجدانية الله يقينا وحسا وقياما؟

إن آدم بلا بدء، وآدم بمعلوم بدء، وآدم بمنظر ومرجو بدء، إنما هم ثالث واحد، وآدم واحد، وحق واحد، خير الأمور فيه أوسطها، فآدم الذي تعارف إلى الرفيق الأعلى من آدم والذي سهر وانتظر الرفيق الآتي بمعنى آدم منه كآدم له حتى يلتحق بالرفيق الأعلى لهما ويستخلف في القيام الأدنى على ما

استخلف، إنما هو أعرف آدم بمعنى آدم وقد أظهره اللانهائي على الدين كله، علم آدم الأسماء كلها ولن يحرم آدم ما من معارف هذا الآدم في قديم الأودم عليه أو في قابل الأودم من بعده إمام النبيين، ونهاية أطوارهم، وختام مطافهم، وسيد الشاهدين، وشهيدا عليهم. وإن لم يكن ذلك كذلك فماذا يرجو أبناء آدم من رب آدم مربوبا، ومن أبوتهم بآدم أبا وربا؟ إذا لم يكن ذلك كذلك فكيف نسمى بشرا؟ وكيف نتنظر بشري؟ وكيف نشرئ لمرجو كمال من العزيز على المثال، والذي جعل في آدم لأبنائه حالا ومثالا؟

إن كلمة الله بآدم تؤمنها لأنفسنا فردا فردا، وتؤمنها لجماعتنا جمعا جمعا، ونعتقد لها لأمم أرضنا أمة أمة، وندرکها لبشرية أرضنا بشرية بشرية. على هذا يقوم رجائنا، وفيه تقوم آمالنا، وعلى القيام فيه وكسبه لأنفسنا يقوم ديننا، وطريقنا، ومعارفنا، وعلمنا، ومجاهداتنا.

إذا لم يكن ذلك فلا خير في دين، ولا خير في مودة، ولا خير في حب، ولا خير في تجمع، ولا خير في مجاهدة، ولا خير في مسير، ولا أمل في سكونة.

إن دورة آدم هي كتابنا.. هي دستورنا.. هي علمنا.. هي معرفتنا.. هي حقيقتنا.. هي حقنا.. هي ديننا وطريقنا.. هي عملنا ووسيلتنا.. وهي أملنا وغايتنا.. أبناء كذا أو آباء صرنا.. أو روح القدس لهما حصلنا.

إذا نظرنا إلى آدم بمعلومه لنا، من العلم عنه من أبنائه رسلا إلينا وإخوانا لنا، عرفنا أن آدم على مثال من سبقه بمعناه لا جديد في الله علما عليه دار حول نفسه ليتواجد على تكامل، وحول سبقه إلى كمال دورات بين الليل والنهار، جمعتها في الزمان فترات، عنونها منه له فيه أبناء هم الكلمات، وأرواح هم الآيات هيكلنا وبيتنا للإنسان، كان أأ أأ نوح، وإبراهيم، وعمران، وموسى له آيات مثلت فصولا أربعا في الزمان، وجهات أربعا في المكان، وأركاننا أربعا لذات البنين في دورته حوله وحول شمس معناه، جمعها محمد لبيت قبلته، وطواف وصلته، وعاكفي صلاته من معانيه ولداته إماما وخاتما للنبيين، وأصلا وشهيدا على الشهداء والشاهدين، عبدا لله وأول العابدين، وربما للناس وقدوة للمؤمنين، وإماما وربما للعالمين في بيوتهم مرفوعة أو موضوعة لفردوس أنفسهم في لانهائي الوجود للصالحين، كمالا لآدم أصله، وبعثا له منه بكال معناه، وقياما له بين يدي رحمته، بمعناها روحا أميننا لهما موصولا بهما، رسول الله اللطيف الخبير عالم الغيب والشهادة رفيع الدرجات جماع الكلمات والآيات، قدسي الذات والصفات. فكان آدم في جديده بأيامه ماثلا بوجه مشرق على رأس كل قرن، ولباليه متواجدا في كل وقت وحين، في دورة حول نفسه وحول شمس لا تفر ولا تهدأ ولا تلين، فكانت نسبة اليوم بالنهار والليل للفصل، والفصل للعام، والعام للقرن في العصر والدهر، أمر نسبي يدركه الإنسان في

نفسه ما دارت نفسه بالحياة، فعرف الليل والنهار في نفسه، وعرف الأيام والشهور في خطوه، وعرف الأعوام والقرون في يقظته ونومه، وأدرك أنه يقطع الزمان ويبقاه، لا يقطعه الزمان ولا يفناه، ولو قطعه الزمان لرد إلى حجاب العدم، منه انبثق فعنون الأزل، وبنفسه تواجد فعنون الأبد، وإنه وقد قطع الزمان فإنه يواصل السير في طريق الحياة ارتفاعاً فوق الزمان وفوق المكان.

إن البعث والقيامة والساعة والنشأة الأولى والآخرة، والحياة الدنيا والثانية، إن العاجلة والآجلة، إن الأزلية والأبدية والدورة السرمدية الدائمة، إنما هي قضايا الإنسان وأحواله، وأطواره، ومنازله في وعيه عن نفسه، وفي إدراكه عن معناه في وجوده وحسه موجوداً في الموجود المطلق، واجب الوجود عنده، والمعروف له في وجوده ومعارفه ضرورة وعلة. أدرك وجوده من الموجود المعلوم إليه من ربه وأصله من الوجود المطلق عبداً له وسيداً به، معبوداً منه ومعبوداً به. وهو يوم يعلم عن ربه لا يعلم عنه إلا يوم يصبح أصلاً معلوماً لفرعه عالماً به فيقرأه علماً به وعلماً عنه في مقروء نفسه، فيشهد في فرعه ما يشهده ربه فيه فرعاً له، فيعلم عن ربه في معرفته عن نفسه أصلاً لفرعه، ثم يشهد في فرعه قيام وبعث أصله أصلاً له وفرعاً منه فيعرف قادمه وقادم الحق له وقديم الحق عليه وقائم الحق به.

على هذا قام الإسلام، وعليه قامت آيات القرآن وحكمته، وفي هذا دار حديث الرسول وفعله وسنته، فمن أراد الدين فالدين في العلم، ومن أراد العلم فالعلم في الدين، لا فرق بينهما، ولا انفصام لهما، ولا عزل لأحدهما عن الآخر، فلا دين بلا علم، ولا علم بلا دين.

لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، هي الدين وهي العلم وهي الحياة وهي الوجود، ما ظهرت الحياة في شيء مثل ظهورها في الإنسان، أشهد أن محمداً عبده ورسوله وإنسانه للعالمين.

اللهم اهدنا بهديه، وأنز بصائرنا ببصيرته، وأحي قيامنا بقيامه، وأشهدنا به أنه لا إله إلا أنت ولا معبود سواك.

اللهم يا من عرفت نفسك بنفسك، وعلمتنا وعرفتنا وأبلغتنا لنعرف نفسك في أنفسنا منك بك فيك، اللهم تواجدنا منك لتتواجد بك وجوها لك إليك المصير، اللهم برحمتك فأدخلنا في حصن لا إله إلا الله، وأشهدنا أنفسنا بك من نفسك فيك، عباداً لك، وكتبنا منك، وكلمات إليك، ورسلاً لخلقك فيك.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا وتولنا، واجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك، اللهم أصلح أمرنا، حكماً ومحكومين، غافلين ويقظين، عاملين ومتواكلين، اللهم خذ بيدنا أجمعين، واجمع عليك قلباً قلوبنا، ووحد فيك كلمتنا، وأعل بنا كلمتك، وارحمنا برحمتك، واجعلنا من المسلمين، بجاه سيد الأولين

والآخرين، عبدك وابن عبدك ورسولك وخادم أمتك وجماع خلقك من أظهرته محمدا بن عبد الله. اللهم اجعله لنا وسيلتنا إليك، واجعل قيامه فينا غايتنا، وارحمنا به يا أرحم الراحمين، وصلنا به موصولين بك في وصلتنا به أول العابدين، لا إله إلا أنت ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

- الله وملائكته يصلون
- النبي وعترته يصلون
- المؤمنون يصلون

مصادر التوثيق والتحقيق

- | | |
|---|--------------------|
| ١ | سورة يس - ٦٧ |
| ٢ | سورة الأعراف - ١٧٢ |
| ٣ | سورة الحديد - ٢٨ |
| ٤ | مقولة صوفية |
| ٥ | سورة الشورى - ١١ |

(١٩)

السلام

نبوءة الروح

وقد زلزلت الأرض والنفوس بالخصام
في أزمة كوبا

حديث الجمعة

٢٧ جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ - ٢٦ أكتوبر ١٩٦٢ م

أشر أريد بمن في الأرض، أم أراد بهم ربهم رشداً؟!

أرادوا بأنفسهم السوء، ولكن رشداً ما أراد ربهم بهم، ورحمة ما قدر ربهم لهم.

ها هي البشرية بين يوم وليلة يقوم منها من يفعل بها بزعم الخير والمصلحة والصلاح، ما يزعج النفوس، وما تنزل معه القلوب من خطر الحرب، لا بل من خطر المحو والإبادة.

ظن أهلها أنهم قادرون عليها، بلغت زخرفها وازينت بمن جعلوا زينة لها لوجه الحياة الدنيا منها، وما لهم في وجه الآخرة من خلاق، فما تخلقوا بأخلاق الله، ولا حرصوا على أمانة الله لهم وأمانة الله بهم، وخلافة الله طوق بها أعناقهم، وعليها استأمنهم، وعليها ما استقاموا وقد آمنهم، ووجههم وباستقامتهم توجه بهم فرحم من رحم، وقضى أمره فيمن قضى.

الإنسان في الحقيقة، معناها لذاتها وصفاتها مشرقاً بالحق، من حقائقها من ورائه محيط، وعليه قائم. وجه عليه غبره، ترهقه قترة، ووجه عليه نضرة الحياة، ونضرة الحق، ينظر للأكبر المحيط الظاهر في كل وجه، ينظر للراعي، للمتجلي، للمشرق، للرب في القلب وللقلب يظهر باللطيف الخبير، يلحق الأبصار فتبصر إحاطته ووجهه في كل شيء، ولا تلحقه الأبصار التي لها لم يلحق، وبه لا تبصر، فهو الشاهد والمشهود عند الشاهد والمشهود، فهو الأكبر والأصغر يوم يعرف الأصغر أنه عين الأكبر، ويوم يقوم الأكبر في عين الأصغر في لا إله إلا الله، فتقوم قيامة لا إله إلا الله فيمن أقامها، فيمن

أقامها لنفسه في نفسه على نفسه، بإرادته في وعيه وحسه. قام لا إله إلا الله، فقامت لا إله إلا الله، وشهدت لا إله إلا الله، وشهد بلا إله إلا الله، وذَكَرَ وذَكَرَ لا إله إلا الله.

هذا هو الإنسان في سلمه، به يدخل في سلامه، يوم يدخل في السلم مع كله وربّه، فیدخل في السلام لنفسه مع نفسه، فيخرج من معاني العدم وخطره، إلى معاني الحياة وبقائها له، ودوامه بها في لا إله إلا الله.

ها هم أهل الأرض يركبون رؤوسهم، بين عشية وضحاها، فيستكبرون ويتنافرون، ويهددون الحياة بالإزالة والحو كآتهم منشئوها، كآتهم خالقوها، كآتهم مبدعوها، كآتهم مالكوها. وإن ظهروا بذلك فمن كلهم ومبدعهم، الذي يأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون.

أرادوها حرباً وأرادها ربها سلاماً، فأبي الإرادتين وأبي المشيئتين تكون له الغلبة؟ أمشيئة الضعفاء من المظاهر؟ إرادة الجهلاء من المناظر؟ أم مشيئة رب الأرض والسماء؟ إنها مشيئة الله، وقد شاءها سلاماً فأنزل السلام على الأرض يحمله عباد السلام من عوالم الروح فلن تكون هناك حرب، مهما انتفخت أوداجهم، وتشدقوا بكبريائهم، منذريها أو محرضيها. فلن تكون هناك حرب ولكنه السلام، ستتغلب دعوة السلام، وروح السلام، واسم السلام، فهو السلام، ومنه السلام، لا إله غيره، ولا معبود سواه، ولا قدرة لناكرية، ولا سلطان لجاحديه، ولا حكمة لغافليه، الأمر له، والشأن له، والتدبير له، إرادته نافذة، والسلام إرادته اليوم.

فلتطمئن القلوب الواجفة، ولتهدأ النفوس الخائفة، ولتتحرر العقول المرتقبة المتوقفة، فلن يكون هناك حرب ولكنه السلام، إرادته السماء، وأراده رب السماء والأرض، فكان السلام إرادته، مهما أرجف المرجفون، ومهما زعم المدعون.

فليطمئن بالله المؤمنون، وبسلامه الموقنون، وبقربه العارفون، إنه روح سرمدى الإنسان، إنه رب حقى الإنسان بالإحسان، إنه إله الإنسان الخلقى بالإيمان. إنه غيب الإنسان الفطرى في العوالم والأكوان، إنه شهادة الإنسان الإلهي في العطاء والحرمان.

لا يحيط الإنسان حقاً وخلقاً بعلمه إلا بما شاء، وشاء برحمته أن يحيط الإنسان بنفسه علماً عنه بمعلومه منه، فيحذر نفسه ويحرص عليها، في آن واحد...

يحذر نفسه، يوم يراها تشعر بقطيعتها عن ربها وكلها، جذوة من ناره، وقبسا من نوره، وشيئاً لوحداية أشيائه...

فإذا رجعت، وإذا استيقظت، وإذا من نومها أفاقت، وفي طريق النمو والحياة سارت، وعن ألوهيتها في عزلتها تخلت، وعبوديتها في وصلتها أقامت، عليه عرّت، لأنها لأناه مثلت وعليه بمعناه حرصت ودلت، فعليه في هذه الحال أن يعزها كما أعزته بربها وأن يحرص عليها وجه ربه له بمعنى العبد لها، رسول ربه عنده، عبدا له وعبدا لها بمعنى فيه لمعنى له ومعنى لها لا يشارك اللانهائي وحدانيته في وصفه، ولا يعدده أحديته في قيامه، بل الذكر المجرد والعبد المعنى له، هو ما هو الإنسان كل الوجود لربه، وكل الشهود لمولاه، وكل المنظور، إنما هو ظاهر إلهه من كنزية غيبه. الإنسان هو الغيب فيه. وتنزيهه عن الشريك هو معنى العبد له والرب منه، بمعناه منه لمعنى العبودية له، في معنى مطلق الوجود لمعناه.

إن العبد في الله، معنى في الله، معنى من الله، معنى لله، معنى إلى الله، يقوم لنفسه في معناه بمعنى ربه لا شريك له. الوجود له، والقرب والبعد له، والعظمة له، والتواضع والدنو له، والسعة له، والغيب له، والتقيد والظهور له، والإطلاق له، والوحدانية والأحدية له، والمعاني له، والأسماء والمسميات له، والصفات والموصوفات له. وهو معنى العبد والرب فيه له، إنسانا يظهر ما كان الإنسان منه، فكان له في معناه لنفسه، بفردته وجمعه. كل ما عرف إنما هو لربه، سواء في معناه مصنوعا أو صادرا من صنعه. جماع نفسه يشهد أنه لا إله إلا الله، يوم يعرف الله، وما عرف الله، إلا يوم شاهده وعرفه في معناه، عبده له وسيدا على الأكوان به في فردوس ذاته وصفاته ومغانيه لمعانيه، لا ينبغي عن معناه، ولا عن نفسه ومبناه حولا إلى غير معناه عبدا لله...

عبد الله، الواسع العليم، اللطيف الحكيم، العزيز الخبير، المعنى المجرد لله، في الله، بمعاني العبد لله والذكر له.

خُلِقْنَا لَنَكُونَ عِبَادًا لَهُ، أفي العبودية لله هوان أو ذل؟! إن الحرية والعظمة والعزة، في معاني العبودية لله، يرتضيها العبد لله، يوم يرتضي الله ربا له ومصدرا لها في كل ما ربّ العبد لنفسه في السموات والأرض دارا له أينما ولى فوجهه منظور هو بمعناه إليه ناظر. أينما ولى فمُشوق طلعت. أينما ولى فجمال شهادته وحق وجوده.

ما أقربه لا يغيب، ما أكرمته لا يفارق، ما أراعاه لا يغفل، ما أحرصه لا ينام. هو الساهر على عبادته ينامون، هو المحيي لعباده يموتون، هو العامل في عبادته يهدأون، هو المنفعل بعباده يسكنون، هو الراعي لعباده يتوكلون.

سبحان الله أغير الله تعبدون، والله يتوحدكم وما تشعرون! يربُّكم بأرواحكم من روحه، ويسيركم بأشباحكم من ذاته لذاته، هو في الأرض إله لذواتكم بذواتكم، وهو في السماء إله لمعانكم بمعانكم.

فأنتم من الله إلى الله تتواجدون، ومن الله إلى الله ترحلون، ومن الله إلى الله تأتون، وتعالى الله عما تصفون. فأبي بعث تنتظرون! وأنتم في أول الحشر قتم وتقومون، والساعة بدأت برسولكم وبه لها في أنفسكم تبدأون، يوم به تبعثون، ونوره به فيكم تقومون، هو من ذكرها على ما من ظاهر قيامكم تشهدون، وإلى ربه منهاها لكم تنتظرون، وهو القائم على كل نفس على ما تعلمون، فأنتم في سيرها، على ما تتطورون، يوم تعلمون.

القيامة قائمة، عنها تغمضون، وإنها لقائمة لو تؤمنون، وإنكم لمقيموها يوم يتكشف لكم أنكم بالله تقومون وتحيون، وجب الغفلة عنكم تسقطون، وذكره في أنفسكم تحفظون، فذكره القديم بالإنسان بجديدكم تجددون، يا حسرة على العباد ما يأتيهم من ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، وهم عنه لاهون، وهم عنه غافلون، وهم له قالون.

سبحان الله، أغير الله تتواجدون! أفي غير الله تقومون، وبغير الله تفعلون! لمَ الله لا تركزون، وعنه في أنفسكم لمَ لا تبحثون؟ عرفتموه ببلاغه أقرب إليكم من جبل الوريد فلمَ للبلاغ لا تصدقون؟ فأبي كعبة إليه تقصدون؟ وأي سماء إليها بالدعاء تتوجهون وفي أنفسكم لا تبصرون ولا تتجهون، وإليها بعد يأس لا ترجعون، وبأبصاركم إلى بصائرهم فيها لا ترتدون؟

فإلى متى في الغفلة تقومون أيها الغافلون؟ إن الله يناديكم من أعماقكم، وإن الله يناديكم من حولكم، وإن الله يناديكم من بعيد أن استيقظوا لله في أنفسكم أيها النائمون، وكونوا من المؤمنين اليقظين أيها المسلمون، ولا تخدعوا أنفسكم بألفاظ تلوكون، وحركات تأتون، ومشقة من سير في رحلة باسم الحج ترحلون. فما شرع لكم شيء من ذلك إلا لتأملوا فيه، فتستيقظون وتدركون إلى مراد الله به لكم إن كنتم حقا من المسلمين وصدقا من المؤمنين. كبر مقتا أن تقولوا ما لا تفعلون وأن تفعلوا ما لا تعلمون. فيوم تصدقون برباط الإنسان بالإنسان يربط الله على قلوبكم لتكونوا يوما من المؤمنين.

لا إله إلا الله رب العالمين، رب الغافلين واليقظين، رب المقاريين والمباعدن، رب الناس أجمعين، رب السموات والأراضين، يحتجب عن النفس إلى حين، ويظهر لها يوما ودوما باليقين، يظهر لكل من طلبه في أي عالم في كل وقت وحين.

هو السلام، ومنه السلام، وعليه الاعتماد، وبه القيام. إليه نركن، وإليه نؤوب، في أنفسنا، في قيامنا، في عالمنا، في وقتنا، في آتنا، في طورنا، في وحدانيتنا، في معناها من العبد له، في لا إله إلا الله

نقولها وتقولنا، ونقومها وتقومنا، في محمد رسول الله يقومنا ونقومه، ونشهدنا ونشهده، نشهده لا إله إلا الله، ويشهدنا لا إله إلا الله في شهادتنا محمدًا رسول الله وعبدًا لله وحق الحق من حقائق الله، وجهها لله، وروحا لله، وقبسا من نور الله نراه في أنفسنا قياما في تكاثر نفسه لنا قائمة في نفس الله ثالث ووحداية الحياة. لا نفرق بين أحد من رسله، إليه المصير.

اللهم يا من هو معنا، يقومنا ويجمعنا، اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، واحفظ لنا السكينة، واحفظ لأرضنا السلام، اللهم خذ بنواصينا إلى الخير، وول أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا، وقومنا حكاما ومحكومين، وارحمنا حكاما ومحكومين، وخذ بنواصينا إلى الخير حكاما ومحكومين، وغير ما بقلوبنا من الغل والحق حكاما ومحكومين، وارزقنا السلم والسلام معك، وأدخلنا في السلم كافة، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

١. الصلاة صلة بين العبد وربّه:

- المرسل والرسول والمرسل إليه ثالث وحادانية الله.
- المرسل إنسان الله، والرسول إنسان روح الله، والمرسل إليه إنسان عبد الله ثالث قيام الحق في الله بالإنسان للإنسان.
- الله وملائكته والرسول وأهله والمؤمنون بهما ثالث قيام الرحمن في الله بالإنسان للإنسان.
- الملائة الأعلى لله والملائة الأدنى لله وما بينهما من ملاء روح الله ثالث وحادانية إنسانية الله في الله.
- إن الله وملائكته يصلون على النبي وأهله والذين آمنوا في قائم وحادانية الله.
- إن الله وملائكته يصلون على إنسانية الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور.
- إن النبي وأهله يصلون على المؤمنين لتتزل بهم السكينة على قلوبهم.
- إن الذين آمنوا يصلون على النبي وأهله تخلقا بأخلاق القائم على كل نفس، ليصلي بهم عليه فيصلهم به أولى بهم من أنفسهم.

٢. الله نور السماوات والأرض:

- النور الذي أنزلناه معه جعلناه نورا نهدي به من نشاء.

- أَمَّنْ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا.
- وَهُوَ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ.
- إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. مَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ.
- نَأْخُذُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَنَأْتِي بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ.
- تَشْرِقُ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَيُؤْتِي الْكِتَابَ وَيُؤْتِي النَّبِيَّ وَالشَّهَدَاءَ.
- كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ. قُلْ أَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ.
- إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ.

(من هدي الفقراء)

(٢٠)

قامت الصلاة

حي على الصلاح حي على الفلاح النداء الدائم من البيت السرمدي القائم

حديث الجمعة

٥ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ - ٢ نوفمبر ١٩٦٢ م

حي على الصلاح، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله.

نادى بها بلال في قيصه، يوجهها إلى نفسه، في دار ابن الأرقم، وما زال ينادي بها بلال في قيصه، يوجهها إلى نفسه، في دار ابن الأرقم كلما بدأ إنسان بنفسه ليصلحها.

قام بها رجل لنفسه وأول رجال علمها فكان علمها، وعلم بها فأعلمها لزوجها وبيته، وقد بدأ بنفسه وأهله، ثم دعا إليها عشيرته الأقربين، ثم نادى بها في العالمين، فعلمها من علم، وتنكب عن طريقها من تنكب، فسلم من سلم، وهوى من هوى، علم أو لم يعلم.

وما زال بلال يرددّها في قيصه لنفسه، وما زالت دار ابن الأرقم قائمة تتجدد كلما بدأ رجل بنفسه فكان بها أول رجال، فدعا زوجته وأهله، ثم عشيرته الأقربين، ثم صاح بها ونادى بها في العالمين. وما زال أول العابدين بها يتجدد أول عابدين في كل أمة بلغة قومه ليبين لهم، يقوم ويتقلب في الساجدين رسولاً للناس كافة، ورحمة للعالمين منذراً، ولكل قوم هاد.

إن الذي بدأ الخلق، بادئ بدءاً آخر ببدء الصلّة به، والإيمان بالمعية له بما ينزل من الحق على هياكله من الناس فيجعل لهم منه نورا، وقيمهم به روحاً في قيام المعية منه حقاً يقوم بهيكله منهم نصباً له بفراغ الهيكل من كل ما سواه، إزهاقاً للباطل، وجيئةً للحق، حيث يتلاقى عالم الرحمن وعالم الشيطان في ذات الإنسان على أرض الحياة ونشأتها عروشا وكراسي للمعروف لعباده عليهم يستوي، قائماً على كل نفس بما كسبت، بدءاً لحقائقهم فيه عنونهم بدءاً خلائقهم به.

لا يستوي أصحاب النار قرناء، وأصحاب الجنة خلصاء، ولا يستوي أهل الجنة أتقياء، وأهل النار تعساء، ولا يستوي عباد الشيطان، وعباد الرحمن، ولا يستوي الشيطان والرحمن، ولا يستوي الظلام والنور، ولا يستوي العدم والحياة. وما قامت هذه المظاهر إلا صوراً للإنسان في أي صورة ما شاء ركبها، وهو من خصه بالتعبير عنه أو بظهوره علماً عليه قائماً به بمعيتة له من ورائه بإحاطته...

فكان الإنسان في حقيقته الروح الجامع لمفرداته ومعنى الحياة لجماع ذاته. وبذلك كانت الحياة الأرضية وما صدر عنها من مرتفعاتها، بطبقاتها من الحيات العلية في سماواتها وحدة تقدر بدورها، وتأبدت ذاتها، وعنوت بذاتها غيب أزلي نوعها...

وكان كتاب قدسها في معرفة حياتها عن بدئها وتطورها، ودورة البدايات لمفرداتها إلى نهايات من غايات هي عين بدايات لجديد دورات في دوائر الحياة لها، على اختلاف في مستويات التطور لمفرداتها، به تتعارف على مرضي فضل واعتراف وإيمان بتفاضل فيه تنتظم وبه تتجمع وفي مواضعها بأنفسها واختيارها تتماسك، فيظهر بها معها معيتها من الأزل فتحي وتبقى وبالحياة تتسرد، وبمعنى الأبد تقوم وتعمل.

وعلى مثال من مفرداتها في وحدتها على ما تعلم تدرك قيام وحدة أكبر من مفردات على مثال من جماع أحدية وحدتها. وحدتها أحدها المتضائل أمام الكبير لها الجامع، ووحدتها هي حجابها وبابها إلى الأكبر لهما تراه في تطورها بمعناه لها فيها بما تمتد وتوسع به من عملها وجديدها لها. فلا يستوي الحوض وواردوه، ولا مانح الحياة ومستقبلها...

وإن كان الإنسان، بجميع حضراته، وبجميع ألوانه، وبجميع طبائعه، وبجميع معانيه، وبجميع معارجه، وبجميع طبقاته، وبغيبه وبشهاداته، في حضراته من النور، أو حضراته من النار، أو حضراته من الظلام، أو حضراته من التراب، أو حضراته من المعاني، هو الإنسان، فسواء في أعلى عليين كان، أو في أسفل سافلين كان، وفي أقوم طريق كان، أو في أحط انحراف بطريق كان، في أحسن تقويم كان، أو في أبسط تقويم كان، إنما هو الإنسان في روح الحياة الأعظم اللانهاي هي له وهو لها.

إن الإنسان، في الله أو في روح الحياة إنما هو بإرادة مطلقة لا تحد، يقوم بتجليات أزلية للحق دائمة قائمة، أبدية لا تحصر ولا تعد في الأعظم اللانهاي لمعناه، وهو في الإنسان بالإنسان بكلماته، تمت أو لم تتم، وبآياته أبرزت أو لم تبرز، قائم بمعيتة، يقيمه بها أينما كان وحيثما كان، يظهر للإنسان عين الإنسان ومعنى الإنسان، يوم يتجمع الإنسان بأبعاضه من مفرداته في ألوانه ومعانيه وصفاته في وحدته من جمع على فردة في فردة بفردته، على محبة في اجتماع، تتأثر مفرداته، وتتوصى أفئدته في قيام،

فيتجمع قديمه من الآباء على جديده من لداته من الأبناء في حضرة قيامه من ذاته، أمة مؤمنة، تدعو إلى الخير، لها الغلبة والأمر تأمر بالمعروف، ولها اليقظة والدراية، والخبرة والحماية، تنهى عن المنكر، ولها العلم، والمعرفة، الصلاة عندها صلة، بين ظاهر الإنسان بخلقه، وباطن الإنسان بحقه، تؤمن بالله، ظاهرا وباطنا، في إيمانها بنفسها، ظاهرا وباطنا، يقينا بوحدايته في وحدانيته به، وقياما بحصن ألوهيته، وظهورا بحقه، لا تنكر عليه قائما، ولا تغيبه حاضرا، ولا تحيط به وجودا، ولا تنكره مشهودا، ولا تحتويه معلوما، ولا تجهله علما، تتواجدته ويتواجدتها، تشهدده ويشهددها، تعرفه ويعرفها، أمة وسطا، بين قديم الإنسان وأزلي جنسه لا بدء له، وبين جديده الإنسان وأبدي جنسه لا انقضاء له، قياما بمعنى الإنسان، يوم يقوم الإنسان بمعنى ربه عبدا ووجها له، فرغ فانتصب، وأمر فقام، وآمن فسجد، وتأدب فركع، وطلب، وحرار فسعى وقصد، فلم فطاف واستقبل وواصل، واستقرت نفسه، وقامت سكينة فدخل فوصل، فصار سكينة الله في نفسه وبيته، فنشر الله منه السكينة على خلقه، وأمر فصلى عليهم فكانت صلاته سكا لهم، فاستقبلوه وجها للصالح، وطافوه بيتا للفلاح، وامتطوه سفينا للنجاح. ذلك من شهد أنه لا إله إلا الله، فأشهد الله أنه محمد رسول الله ولنفسه مثلا لخلقه اصطفاه، تعريفا عن الأقدس من ذاته، ولسعادته اجتباه ليأنس بالرفيق الأعلى لذاته، واثناسا بذاته لعباده، أهدها رحمة مهداة.

إن الربوبية، لا تُعرف ولا تتعارف، إلا لعبوديتها، ولا تتلاقى ولا تتعارف إلا بعبادها، وعبادها في ألوانهم وطبائعهم، يعنونونها في أسمائها وصفاتها لعوالمهم بمعالمهم رسلا من أنفسهم. إن القائم على كل نفس، ما عرف إلا بما قام به على هذه النفس لهذه النفس وما قام عليها بما كسبت، وما كانت بذاتها إلا ما اكتسبت.

إن الناس من الإنسان، في طبائعهم من النور، ملكهم عشق مولاهم، أو في طبائعهم من النار، ملكهم من سادهم وتولاهم، أو في طبائعهم من الطين، ملكهم من بالروح طواهم وبالنور غذاهم، ولمعانيه ارتضاهم، فالإنسان مجتمعهم كتاب الله، وبطباعه سور كتابه، وبمفرداته صحائفها وكلماتها وحروفها. وهو في علميته على معلومه بمفرداته وجماعاته إنما يعنون أسماء الله، ويعنون صفات الله، ويعنون حقائق الله.

إن الناس في الله، ينتظمون، وينظمون، ويتواجدون، وينسقون، في ظل قوانين الحياة، وهي خلق الله، وصفات الله، فمن تخلق بأخلاق الله، وحاكى لنفسه صفات الله، قام باسم الله فيما حاكاه، واتصف بما تمناه. إن للإنسان في الله حضرات بقدر أسماء الله وبقدر صفات الله، وإن الله في قائم الحياة هو قانون الحياة، وهو محقق لكل إنسان فيه ما تمناه، فهو عند ظن عبده به، إن ظن خيرا

حقيق له الخير، وإن ظن شرا أقامه فيما أراد من شر به يقوم أو عليه يُقام، وفق طويته في معاملة الناس معاملة مع الله، وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة، نارا وقودها الناس والحجارة، أصحابها وساداتها ملائكة من الجنة والناس على رأسهم إنسان الرحمن المستوي على عرش كبريائه وعظمته برسالته للناس، أعطاه السيد المالك للملك ملكا يسوده وعالما يقوده رفيع الدرجات فيه. فهل نطلب في الله حضرة الرشاد؟ أم هل نبقى في الله في تعلق بحضرة العناد؟

إن الإنسان لربه لكنود، خلقه من نطفة فإذا هو خصيم مبين. يا أيها الإنسان، يا أيها الناس أقيموا الصلاة وادخلوا في السلم كافة. إلى متى مخاصمة الله؟ إلى متى معاندة الله؟ فإن الله وقد خلقكم في كبد من أمركم، وفي حجاب من أنفسكم بحكمته، إنما أراد أن يخلق أنانيتكم في وهم عزلة عن أنانيته، وهو الذي لا يشارك بوجوده، حتى إذا ما أدركتم هذه الأنانية في عزلة عن معاني أنه وهذا خصامكم وهو لكم فيه معيتكم، تخليتكم له عن أنانيتكم من الباطل والوهم ليقومكم بأنانيته من الحق واليقين وينفخ فيكم من روحه، فتقومون وجوها له، وقد كنتم أشباحا عنكم. هذا هو الإنسان في الله، ذكرنا محدثا له، يوم يحرص على أمانة الله بحرصه على معية الله له، فلا يخرج من هذه الدنيا، إلا وقد كسبها فقامته فقامها، ونحر نفسه، وقتل باطله، وأنكر على موهوم أنه، وقال بل هو.. لا شريك له، هو.. لا إله إلا الله، فدخل في حصنها، وأمن من نفسه تمكر به بوهما من حكمة الله وقضاء الله وتدير الله، حتى يتعارف العدم في معناه، إلى الوجود في معنى مولاه، فيتواجهه معنى فيه عنه، وقد كان من قبل لا كائن ولا شيء، فأصبح به كل شيء، لا يكذب الفؤاد ما يرى، ولا تطغى العين فيما ترى.

إن محمد الله دوما ومحمود الناس برحمته يوما، رفيع الدرجات، ذو العرش يوم تشرق الأرض بنوره ربا لها، وتلد الأمة سيذا عليها، فتنشق الأرض عنه وتشرق الأرض بنوره مستويا على عرش ملكوته، أقرب الناس منازل منه يوم يظهر بما يقوم به من أمر الله، يوم يقوم بالحق، رفيع الدرجات، رافع الرتب، نفسا قدرت، خافضة رافعة، يبسط بها الله البطشة الكبرى، الأرض به جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه، إنسان الله، ومحمده، ومحموده، وعبد الله، ومشاهده ومشهوده، يُقدَّر به الله حق قدره عبدا له، وينزل به الناس منازلهم فيه، عبادا لربه ووجوها له، أمة لهم، تؤمن بالله، وتأمّر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، أمة في فرد وفرد في أمة، ذلك هو رسول الله يوم يدعى الناس بإمامهم. وهو الذي لم نعرف. ذلك هو عبد الله لنا الذي لم نشرف، ذلك هو إنسان الله الذي لم نقم، ذلك روح الله الذي لم نتعرض له، ذلك نور الله الذي لم نسجد له، ولم نتقدم لسريانه بناء، هذا هو حوض الله الذي لم نرد وكان فرطنا. هذا هو الرحمة المهداة التي رفضناها. كان هذا كله لنا منا، وكان لنا منه فأخذنا طريقنا نقيضه في كل حال. باعدناه فما باعدنا، وجافيناه فما جفنا، وجهلناه ولم يتجاهلنا،

وأسانا إليه فلم ينقطع عن الإحسان إلينا باخعا نفسه على آثارنا في دوام من أزلّه إلى أبدّه، حتى يحمّد عندنا، وحتى نرضى، وقد رضينا قائما في النيام منا، معنا وإن جهلناه أو تجاهلناه، داخلا علينا بالسلام، نازلا بالسكينة، موقظا بالحكمة، آخذا بنواصينا إلى الخير، ها هو يدانينا، في مدانة نفسه بنا، يسهر علينا لا ينام، ويحيط بنا لا يغفل، ويتواجدنا لا يستكبر، ها هو ملأ السماء، كما هو ملأ الأرض، ها هو يملأ السماء، عقلا وحكمة وتديرا لملأ الأرض، جسدا وقدماء وجوارح له، يلتئم بهما لمعناه، ويوقظ نائم القيام بعثا لمبناه، يميته عنه مقطوعا، ويحييه به موصولا، ويتحدث منه واصلا معلما. ها هو الإنسان يقوم ويشهد قيامته، ها هي السماء سماؤه وداره، وها هي الأرض أرضه وملكه ومزرعته وعطاؤه ومزاره. ها هو يجمع بين أرضه وسماؤه دارا واحدة له وملكا واحدا له يقوم عليه بالحق في معناه من ربه عبدا له وإنسانا فيه، يعرفه لا شريك له، ويقومه أحدا، لا وجود لغيره وجها له، ويعلمه ويعلمه واحدا لا يشارك رحمة منه لنفسه به. ها هي رسالة الروح، تخاطب هياكل الروح بلسانه روحا هاديا، وتؤذن في عوالمها بالحج بصوته مناديا تناديهم للقيام أن هلموا إلى أنفسكم، وتدعوهم للحياة في القيام به قائمين فيه، وتقوم لهم به أحواض الحياة لهم، وتنزل من سمائها بماء الحياة، فتفتح بقدره الله الأرض بعيونها ومائها ويلتقي عليها ماء الأرض بماء السماء فيتصاعد نبات الأرض لأجواء الفضاء بأمر قد قدر، يخرج من ضعفه إلى قدرة ربه، إلى قدرة الله، إلى معنى يد الله القابضة الباسطة إلى أمر الله، إلى رسول الله، أتى أمر الله فلا تستعجلوه. وها نحن نشهد فجر يومه.

هذا ما جاء به محمد، وما قام به دين محمد، وما حفظ به دين محمد، وما تجدد به دين محمد، وما يتجدد به دين محمد في كل وقت وحين.

لا إله إلا الله، لا عبد له إلا عبد معناه، ولا شهود له إلا في شهود وجه معناه. الرسول ومرسله وربهما عباد له. الأعلى فيه والأدنى منه عباد له. لا تعدد لهم معه. عبادته وجوهه لمعارفه. المشاهد والمشهود منه عبادته لرسله بهم تعارف الرسول إلى مرسله، وما تعارف المرسل إلا لرسوله في تعارف العبد إلى ربه، وما تعارف العبد فيه إلا إلى رفيق أعلى له في قانون الوجود المقدس، أو في الوجود الأقدس، برحمة المعروف، وفي حكمة الموصوف، وبقدرة الموجود.

ما تعارف الإنسان إلى معاني الرب عليه، إلا إلى المعنى القائم عليه من جنسه. إن كل نفس لما عليها حافظ، لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، ولا يحيط الإنسان بعلمه إلا بما كسب من عمل، {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}¹. إن الإنسان مظهر صنعه بقدرة صانعه فيه. والعبد والرب لمعناه أحدية في صانعه أحدا معه ومعروفا منه.

هذا هو قانون الحياة، وهذا هو باب العلم عن الله، فهل علم الناس؟ وهل تعلم الناس؟ وهل تواصى الناس متعلمين بالالتفاف حول المعلمين فانتظم جمعهم، واستقام هديهم، وما خاب سعيهم، وتحققت لهم في الحياة أهدافهم؟

إن حجر الزاوية.. إن مركز الدائرة.. إن دائرة الإحاطة، إنما هي فيمن جاهدوا في الله حق جهاده، فكانت منهم أمة تدعو إلى الخير وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر، يوم يعرفون محمد الله ومحمودهم، ويوم يعرفون عبد الله بينهم، وبيت الله لصلاتهم، وجه قلبتهم، وباب ساحتهم، ووحي حضرتهم، ومعية إيمانهم، ووسيلة مصاحبتهم، ومركز ارتكازهم، وطريق سيرهم، ومصباح طريقهم، على مثاله، وعلى حاله، وعلى معناه، يقيمون وصلتهم مع الله واتصالهم به، عبدا للرحمن بينهم، يدا للإحسان ممتدة إليهم، دليل طريقهم، ومصباح سعيهم، يتخلقون بأخلاقه تخلقاً بأخلاق الرحمن، ويتعارفون إليه تعارفاً إلى وجه الديان، ويقومونه قياما من فضل القيوم، ويحاكونه في الصغير والكبير من أمره قياما في أمرهم بقاءم ربهم.

إن حلقة المعلم في الله هي حوض الحياة، وساحة المعرفة، ومصباح الظلام، وصلاة الدين، وقبلة اليقين، وبيت الطواف، وزمزم الارتواء، ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشداً، ومن يهدي الله السبيل وذلك يوم يجمعه على الخير والدليل.

محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، لا ينقطع لهم وجود، ولا يتوقف لهم تواجد، ولا يمنعهم الله على الناس، لا شرف لعربي على أعجمي في أمته إلا بتقوى الله، إنما أنت منذر ولكل قوم هاد. إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد. كتاب أنزلناه عليك لتتلوهُ في الناس على مكث. إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان. يرسله الله في أمم البشرية يقوم ويتقلب في الساجدين، وما أرسلناك إلا كافة للناس تبعث فيهم بلغة أقوامهم، وما أرسلنا من رسول إلا بلغة قومه ليبين لهم.

إن محمدا رسول الله، وعبد الله، وروح الله، ونور الله، يقوم ويتواجد في مشارق الأرض وأممها، ومغارب الأرض وأممها، في أهل الاستقامة والإدراك والمعرفة، رسلا من أنفسهم بنور رسول الله، الذي أعلننا الله أنه فينا، {واعلموا أن فيكم رسول الله} ^٢ والذي أعلننا الله أنه آخذ من كل أمة بشهيد يقوم منبرا لدعوة الفطرة يقوم فيه الرسول بنوره، ثم يأتي بالرسول زويت له الأرض وتبلغ أمته ما زوي له منها شهداء على هؤلاء الذين كانوا منه وإليه، فكان محمد بذلك نهاية المطاف، ونهاية المعرفة، ونهاية الأرب، ونهاية كل شيء للإنسانية والبشرية، في قائم البشرية، وفي قادم البشرية، كما كان كذلك بقديم معانيه في قديم البشرية. أخذ له الميثاق من قديمها أنبياء يظهرهم قبل ظهوره، وأخذ له

الميثاق من مستقبلها شهداء يقومون بعد سفوره، ويقوم في الناس أمة وأما أمة بعد أمة، تدعو إلى الخير وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر بعديد دائم وقديم قائم. ذلك هو محمد الإنسان، ذلك هو محمد العبد، ذلك هو محمد الرسول، ذلك هو محمد النور، ذلك هو محمد الروح، ذلك هو محمد المعنى، ذلك هو محمد المبني، عبد الله، ووجه الله، والحق من الله للناس يوم يفكر الناس في أمر أنفسهم في الله، فيتابعونه على ما علم، ويعلمونهم على ما علم، فيعلمون الناس عن أنفسهم، ويعلمون الناس عن الله في معيتهم. أشهد أنه لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اللهم إن محمدا على ما أبرزت وعلمت، وعلى ما لم نعلم.. جعلته منك لنا رحمة، وأبرزته لنا قدوة وأسوة. اللهم به فارحمنا على ما وعدت، اللهم به فأوصلنا على ما هديت، اللهم به فقمنا على ما أكرمت وبشرت وخلقنا، اللهم إنا علمنا معه أنه لا إله إلا أنت، ولا وجود لنا، وعلمنا به أنه رسولك بعثت به إلينا من حقي أنفسنا بك، وجعلت فيه قدوة لنا، ووعدتنا ما علمته، وأمسكت بنا على ما هديته ضالا فهديت، ویتيما فأوتيت، وفقيرا فأغنيت. اللهم على ما نحن، على ما تعلم، كلنا الضال، وكلنا المفتقر، وكلنا اليتيم. اللهم مره يأوينا على ما آوتيت، وأجزل عطاءه، وقسمنا عنده حتى يغنا على ما أغنيت، ويفيض علينا من نوره الذي عليه أنزلت، يسري فينا به، فيقومنا لا نقومه، ويتوحدنا لا نتوحد، فيه نتواجد، وفينا بعظمته منك لا يتواجد، وهو فيك المتواجد، وأنت به لنا المشاهد المتواجد. اللهم إنا به آمنا إيمانا بك، وله عرفنا معرفة لك، اللهم إنا لا نتجاوزه إليك، فهو لنا حَقك، وهدانا، وغنانا، وسعادتنا، ومأوانا. اللهم إنا معه تأدبنا تأدبا معك، وله خشعنا خشوعا لك، وإليه رجعنا رجوعا إليك، اللهم به فأكرمنا، وبه فارحمنا، وبه فأوصلنا، وبه فأحينا، وبه فأبقنا، لا إله إلا أنت. اللهم به تولنا برحمتك، حكاما ومحكومين، طغاة ومهتدين، ضالين وعارفين، مجاهدين وغافلين، يا من أحطت بنا برحمتك، وجعلته رحمة منك، به ارحمنا، وبه اغفر لنا، وبه تب علينا، وبه تولنا، وأنزل سكينتك منه على قلوبنا. لا إله إلا أنت ولا معبود سواك.

(سيروا دائما إلى الأمام عالمين بأن معكم حقا منحة من الحق الروحي لا يقدر بثمن، سوف تطرد كل الغيوم وتساعدكم على اختراق الظلمات بضوء الفهم. ولكن تذكروا دائما المسؤولية التي تأتي مع المعرفة لأنه إذا ما عرفتم مرة فليست أنفسكم عندما كنتم جاهلين. إن الذي يرفض قوة الروح وهو يعرف يرتكب ذنبا أعظم من الشخص الذي يعارض الحق الروحي بجهالة).

من هدي الروح المرشد السيد (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

(٢١)

العبودية

في معناها مجردا عن المكان وعن الزمان أنا ووجهها لمعنى الإنسان

حديث الجمعة

١٢ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ - ٩ نوفمبر ١٩٦٢ م

الحمد لله.. الحمد لله الذي منّ علينا، وهياً لنا مولداً في بيئة الفطرة، وأرض النشأة، ونواة الحياة، فأوجدنا من أرض آدم في حضرته، وهياً لنا فرصة التواجد في بيئته ببنوته، ليبدأ منا ما فاتنا من معنى الإنسان به، وليوجد لنا فينا معنى الإنسان بسعينا إليه.

نحمده ونسأله أن يتم لنا نورنا، وأن يتم علينا نعمته، ويحقق لنا بنا لنفسه بإرادتنا إرادته، بأن يوحد بين مراده ومرادنا، وإرادته وإرادتنا، حتى تكون إرادتنا إرادته، وحتى نرى في إرادته بنا إرادتنا به، فترانا معنى فيه وعبادا له، حقاً موجودا لا يشارك، وقياما معروفا لا يجحد، وسلطانا قائما لا يخذل ولا يقهر ولا يغيب...

تعالى على الوصف، وتنزه عن الشريك، واتسع عن الإحاطة. تقارب إلى أبعاضه بأبعاضه قربا ماحيا للبعضية معه، مدرّكا للوحدانية له، ربا مشهودا في رفيق أعلى، وإلها معبودا في وجود لا يحاط به... لا تحصى الآؤه، ولا يجهل عطاؤه، ولا يجز جزاؤه. المعاملة معه في الحياة به، والشهود له في أعماق النفس بوحدايته، وفي كل ما يحيط بنا وجه إحاطته. نرانا بالعبودية معنى فيه، لوجود منفرد له، لا وجود لنا ولكن وجوده، لا قدرة لنا ولكن قدرته، لا سلطان لنا ولكن سلطانه، لا جاه لنا ولكن عنوانه.

إن عرفنا عبادا له، عرفنا ذكرا له، وعرفناه لا يعرف بجهلنا لأنفسنا فيه، فوصفناه بما ندرك من وصف أنفسنا تقريرا لفهومنا، أما هو فلا يتصف. وقدرناه بعظمة العجز عن إدراكه في تقدير معاني الحق منه بنا فيه لا نحيط به، ولا نفصل عنه، ولا نجتمع على نهائية له، ولا على صورة مماثلة فيه أو

وجه في قيام متحد بلانهايه، بل عباد مكرمون، يرفعون فيه طبقات فوق طبقات، يعنونونه في معارجه، مدانيا بوحدانيتها، مباعدا بأحدثته، قائما بإحاطته، كريما بقربه، قريبا برحمته...

الذل معه معزة، والافتقار إليه غنى، وتفريده بالوجود حياة. العبد فيه معنى، ووصف الرب منه مغنى. من عبد نفسه له عرف السعادة في معاني العبودية له والسيادة والربوبية على ثمار الفعل منه. ومن رب نفسه على عبادته لقي جزاءه في معاده مسودا مقهورا من عباد شهادته عليه جزاء بما كسب.

هذه البشرية، هذه الفطرة، هذه الآدمية، تستوي على عرش أرضها بخلافته مخلقا لها على أرضه من ذواتها، دارا لها، وملكا له. الملك فيها من ملك نفسه، والسعيد فيها من عرف ربه، والشقي من ظنه إياه، وفرض بوهمه على الناس معناه، دون إخراج منه، أو كلمة منه إليه، مثلاً فثله، وخرجها فأخرجه. الإنسان فيه على أرض هذه الفطرة من ذاته سيد نفسه بوعيه وحسه، إن شاء عشق الحرية والسيادة، وسود على نفسه، عين معناه، عبدا له، فظلم نفسه، بل شاء فعبدا لمولاه، عبدا له بمعناه، ولم ير في كل ما يرى إلا إياه، ولم يحجده بوحدانيتها لمعناه، غير مشارك له بما يشهده لما بنى، من بنائه، ومن مبناه، ومما ينشأ به منه في مظهره ومجلاه، صنعه وصنع به، تجلده وتجلي به.

من عبد نفسه لمولاه وجد وجه ربه، بأزله إليه أباه والآباء، ووجه ربه بأبده إليه أبناءه والأبناء، رضيه وأرضاه، فرضيه الآباء، كما رضيه الأبناء، وجوها لله وكلمات له وروح قدس منه، فكان في ذلك من الله له ولهم منتهى العطاء لا يجز فيه الجزاء، وكان فيه جمال وعظمة العطاء، وفضل ورحمة البلاء في الابتلاء...

فإن رآه باصطفاء الله له، وإمساكه به، وقيامه عليه، عبداً له قد ظهر به بمعناه، لآبائه وأبنائه، على ما تولاه، قبل أن يظهر بهم لمعناه، كان في هذا عطاء له مصحوبا بالاختبار والابتلاء.. نعم هو ذاك لهم، ولكنهم أصل فطرته، وأصل نشأته آباء، أو ثمرة فطرته وعين قيامته أبناء. والله بإحاطته لا اتجاه له في زمان أو مكان، فما فارق القيام عليهم يوم قاموا، ويوم يقومون. وما كانوا غيرهم منه في الأبناء يبعثون. فإن أدرك ذلك، وحرص على وصف العبد له معنى فيه، ولم يستكبر بوصف الرب فيه معنى به، على من هو منهم عينهم، وعلى من هم منه عينه، فسأل من أكرمهم بهم وجوداً أن يكون فيهم له شهودا، ومن قامه، أن يتم نعمته عليهم فيقومهم، له مشهودا بعث الآباء من خلاله أبناء له، وتساعد الأبناء من خلاله آباء له يتم الله لهم نورهم، ويجعلهم به على مثاله عبدا له، فينزل عنه لهم أربابا عليه فيتعلم بذلك في الله تواضعه، ويعلم به تنزيهه، ويرى أن عطاءه لكل قريب، وأن جزاءه لطالبه نصيب، وأنه القائم على من أدرك قيامه عليه ومن لم يدرك، قائم دائم لا يغيب، وعرف أن الافتقار إليه معنى العبد له، وأن معنى العبد له معنى الذكر منه، وأن العبودية أمر لا يجز فيه العطاء، ولا ينقطع عن صاحبه

الاختبار والابتلاء، فيدرك مقالة عبد الله المدرك لعبوديته يوم قال.. إنه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم سبعين مرة، فيُسأل، أأغيان أغيار يا رسول الله، ويا عبد الله، ويا وجه الحق لله؟ فيقول لا بل هي أغيان أنوار، ويوم قال (نحن آل بيت خلقنا للبلاء) ١.. ويوم قال (لن تموت يا علي حتى يملا الله قلبك غيظا ويقصم ظهرك نصفين) ٢.. ويوم قال (أنا أقربكم إلى الله وأخوفكم منه) ٣.. ويوم قال (وها أنا رسول الله بينكم ولا أدري ما يفعل بي غدا) ٤..

إن الذي وصف من الإحاطة ربا له ضالا فهدته، ما كان في نظر الآباء ونظر الأبناء ضالا يهدي، بل على فطرة وجد وبفطرة هدي. إن الذي كان جماع الناس، وفرد الناس، وقيام الناس، وحاضر الناس، وغيب الناس، وصفات الناس، وحق الناس، من رب الناس وملك الناس، من مالك الناس وإله الناس، من القائم على كل نفس، ما مثل ضالا حتى يهدي، وما مثل فقيرا حتى يغني. إنه الفطرة والغناء. إن الذي بعث بالحق ما كان إلا الهداية والهدى، سيدا للأرض من سيد السماء، وسيدا للسماء من سيد الوجود، المعطي بيد العطاء، يدا لمن تبارك صاحباً للملكوت السماء والأرض، والمختبر بعين الابتلاء، جعله قدوة وأسوة لأهل العطاء والاصطفاء، عبده به معنى فيه، وذكر له، رسولا منه، ظهر في الناس بذات مولاه وجهها له، وبصفات من اجتباه تعريفاً عنه فتخلق قائماً متخلقا بأخلاق الله، في قديم به حقا بعث، وفي جديد به ذكراً قدراً، وفي قابل بمعناه كلمة تامة يبعث فتنشق الأرض عنه، فتلد الأمة ربها، وتشرق الأرض بنوره ربا لها، كُتاب القدم، وقلم الكُتاب، في جديد من صحف، على مثال من جديد وجد في القدم تكتب، كما سوف تكتب في جديد صحائف، على مثال مما سودت به في قديم.. دوايك. لا جديد في الحق، لا بدء لخلقه، ولا انتهاء لفعله، ولا بدء لتجليه حقاً، ولا احتجاب له متجلياً، ولا انقطاع لظهوره بالإنسان فياضاً، مشرقاً نورا على نور، وحياة على حياة، وظهوراً على ظهور، وظهوراً لظهور، وقياما على قيام، وقياماً بقيام. هكذا في دورة الحياة فيه، لا انقضاء ولا بدء لها، سعادة الأحياء به، وشقاوة الأموات عنه، وبشرى النيام فيه، يحصدون يوم تستقيم فيه فطرتهم، فيتوفاهم بالحياة، ويفقدونهم يوم تعرج فيه نفوسهم بفعلهم في غفلة عن معيته، يصعدون النجدين من أنفسهم ومن معانيهم، ويقومون الثقلين من نورهم وظلامهم، ويبلغون الحضرتين لابتلائهم وقيامهم، حضرة الابتلاء بأنفسهم يقومون، وحضرة النعمة لربهم موكلين ومتوكلين، بأنانية له، إلى اليسار أو إلى اليمين، أو بأنانية لهم عنه غافلين.

ما صدر من الله في وجوده إلا الخير، إلا النعمة، إلا العطاء، فلم يظن الناس به الظنون؟ لم يظنون به ظن السوء، وهو ما كان لهم في كيانهم - أيا ما كانوا وأينما كانوا - إلا معطياً ومنعماً حتى في ابتلائه، وما كان إلا مبتلياً حتى في نعمائه؟ كيف عرفوه، كيف قدروه، وهم في أنفسهم ما شهدوه، ولا في

تجلياته بهم ولهم لاقوه، ولا يعقلهم وحدوه، ولا بقلوبهم عبدوه، فلحضرتهم عبدوهم، في معاني العبد له وجه قيام، فأدركوه ربا في معاني الحياة لهم باسم الحي القيوم؟ لا بل عنهم غيبوه، ولعقلهم قدره، وبأوصاف له عنهم نعتوه وأحاطوه، وأدركوه، وبوهم من عقولهم، وبنزوات من نفوسهم، وبجهل لأنفسهم، وبقطيعة عنه لمعانيهم لأنفسهم أوجبوه. فما دخلوا في حصن لا إله إلا الله واتقوه فاتقوا أنفسهم من الشرك به بوهم الغيرية عنه، لا يغفر أن يشرك به، وما قدره حق قدره، قريبا لا يغيب في معاني الحياة فيهم، فقاموه الحي القيوم، واسعا لا يحاط به، قريبا لا يشرك به، محيطا بهم بظاهره وبغيبه، مقيما لهم بمعاني العبد فيه، بمعنى الأنا له، وجوها له ناظرة به إليه، في نصرته في الوجود، أينما ولوا فوجهه، بوجهه لوجهه ناظر. على هذا قام الإسلام، وبه جاء رسوله، وإليه هدى، وبين الناس به قام، وبه بينهم تكاثر، معنى لا يغيب به، يقوم ويتقلب في الساجدين، جماع كلمات، ومتتالي آيات، وجماع وجوه لوجهه، أمة هي فرد، وفرد هو أمة، على معنى يدوم من أبيه وجده مثله إبراهيم، وعلى معنى يدوم في بنيه يمثله منه ابن الإنسان أو المهدي أو المسيح يتوفاه ربه إلى معناه، وعلى معنى من أصله وبدئه وختمه بآدم من قبله، وآدم من بعده، أولا لأوليات لا عد لها، وآخرها لآخريات لا انقطاع ولا حصر لها، في أولية وآخرية الله، لا أول له ولا آخر له، ولا عد ولا حصر لأوليائه وآخرياته، بالإنسان يعنون أولية الحق لأهله بأولية الخلق لأهله على صورته في غيبه إنسان الحق، وفي شهادته إنسان الخلق تمسكه يد الإطلاق بالغيب، وتصنعه في دوام يد الحق في شهادته، فتقوم اليد الصانعة على ما صنعت، وتمسكه على مثال مما مسكت ومسكت، وأمسكت فعرفت.

(والذي نفسي بيده)^٥، (والذي بعثني بالحق)^٦، هكذا يقول المحمد آدم خلقه حالا في يده الحق، الخالقة في دوام، معنونا إنسانه مشيرا إلى حقه في يد الحق القابضة على أمره وسره...

خاطب قديم معناه في يد مولاه، يُنشأ في جديد مبناه على ما عاين لمعناه، وهذا ما عناه بالرفيق الأعلى في ساحة قبضة مولاه، طلبه ليكون له أناه. طلبه ليعرفه، ولا يعرفه إلا يوم يكونه في نفسه، ولا يكونه إلا يوم يلقاه ويوافق هواه في هواه، ولا يلقاه إلا إذا أنشأته اليد الخالقة فيه على صورة من لقيه في معناه ربا له، وكلا لأناه، فكان وجهها له بمعناه، وأنا لأناه، ومجلى لذاته بمبناه قائما وقادما وقديما عبدا وحقا لمن اصطفاه.

بهذا ظهر الحق بظهور محمد الغيب لمحمد الخلق في محمد الناس، فتلقى من ربه الكلمات، وأبرز ربه منه الآيات الجديدة للقديم، ثم أخذ من كل أمة بشهيد على رؤوس القرون، وها هو من سمائه تمسكه يد الحق في سماء غيبه، يؤوب إلى الأرض، لتنشق عنه الأرض بمبناه مرة أخرى، وتنشق عنه السماء بمعناه مرة أخرى، فيتابعه أهل السماء إلى الأرض ويتابعه أهل الأرض إلى السماء، فيجتمع به عليه

دواب السماء ودواب الأرض من الإنسان، وتهيأ دواب الأرض ودواب السماء من الإنسان، لفيوض رحمة الله منه، فتعرض الأرض ببشريتها وبآدميتها، لروح الله المسماه ينفخها في الأبدان المسماه مرة أخرى، فيمحي مادي الإنسان باسمه ويزهق باطله، ويقوم كريم الإنسان باسمه، ويظهر العنوان بالروح مسمى للأبدان.

ها هو الإسلام يتجدد مرة أخرى، ويظهر مرة أخرى، ويتعنون فيه الإنسان وابن الإنسان مرة أخرى، وكما جاء قبل محمد مع النبيين عنونوه، فردا فردا، تنشق بهم عنه الأرض وتنشق بهم عن معناه السماء، ويقوم في أحديثه كلمة بين الناس ببسم الله الرحمن الرحيم أنبياء له، ورسلا منه، وكلمات إلى الناس بالمعرفة له في المعرفة عنهم، والعنونة عليه بالرب لهم، حتى أتم الغيب لآدم نوره، وأكمل له به فيه أحديثه، وجمع شتات واحدته، وأمسكته يد الحق في غيب، وبدأته في شهادة على صورته، وثابتت الشهادة في التعبير عنه قائما بالقيام به بالأبناء منه، حتى أتمها قديم معناه وربّه بآدم وأديم محمد جديد ذات وعين صفات خلقة منه، بها سواه رجلا على مثال قديمه وبدئه، وقال له قل جاء الحق وزهق الباطل، عنون به رحمته، ومد به للبشرية يده، وبايع على نفسه بحقه نفوس خلقه، فما خلقها إلا لنفسه ولتصنع على عينه، وجعل في ذلك تمام دينه، وتمام سلامه، فخاطب عبده ورسوله، وجماع كلماته، واجتماع آياته، أن يكون قدوة وأسوة لجنسه في قديم جنسه، بالرفيق الأعلى لمعناه عين معناه وحاضر جنسه، بعين ربه حقا ووجها، فكان لحاضره الأب والأخ والولد، ولقادم جنسه بشري العين والروح والذات والأبد، وبذلك كمل الدين، وأظهره الديان على الدين كله، وجعله الدين كله، وأمره أن يظهر بالدين كله، لكل على ما يستحقه، مخيرا فيما أعطى، مفوضا فيما علم، مبلغا فيما أمر، قائما بما استقام، مخيرا فيما فيه خير، فاختر الأيسر، وأمر بالميسر، وأمر قومه (من أمّ فليخفف)^٧.

هذا جاء به مؤسس الإسلام، كتابا وهديا، وقام به الإسلام في قديمه فطرة وخلقاً وبعثاً، بعث به محمد بالحق، وتكاثر بالحق، منبعثا في تكاثر الخلق، يقوم ويتقلب في الساجدين، بما أنزل عليه من نور الله، وبما قام به في الناس من روح الله بلا صاحبة ولا ولد، متخلقا بأخلاق الله، معنى الحق لهم منهم، ومعنى العبد له سيدا عليهم، شهد أنه لا إله إلا الله، كما شهد أمام الناس وللناس ومن الناس، أن محمدا على ما يشهدون عبده ورسوله، على ما طلب إليه أن يشهد لهم، فشهدهم لنفسه على ما طلب إليهم أن يشهدوه لأنفسهم وجوها لربه، فشهد من شهد، ووحد من وحد، وقبّع في نفسه من قبّع، وارتمد على عقبه من ارتد، وسار في الطريق المستقيم من سار. وها نحن اليوم في هذا العصر، نشهد للقديم رجعة، ونشهد لله صولة، ونشهد للرسول جولة، ونشهد للحق منعة وعزة، ونشهد

للباطل خيبة وردة، نشهد للباطل ذلة، ونشهد للحق عزة، فنعز بلا إله إلا الله، ونهتدي بحمد رسول الله. هدانا الله وإياكم سواء السبيل، وأقام لنا فينا منه علينا الدليل. وهو بهذا كفيل وعلينا به وكيل.

اللهم إنا نرجع إليك بنفوسنا، لا نملكها، ولا نسيطر عليها، نردها إليك وأنت صانعها، على ما تعلم، وعلى ما أحكمت بما لا نعلم، اللهم فتولها، وبرحمتك فاهدها، وبِعزتك فأشعلها ولا تطفئها، وخذ بنواصيها إلى الخير، بحيط قبضتك، وبشامل عزتك. اللهم اجعلها معنى العبد فيك، وأقمها معنى العبد لك، وتولها برحمتك وبهدايتك، ولا تحرمناها، وقد علمتناها، وقد جعلتنا إياها، حتى نتلاقى بمعنانا عبدا لك، بمعناك ربا لنا فيها، وبيتا لك في يومنا بها منك، وساعتنا لرحمتك بلقائك. اللهم اجعلها دار حكمة، ودار رحمة، ودار معرفة، ودار سجود لمعانيها، واجعلها مبنى لذاتنا، وعنوانا بك لمعانيها، لا إله إلا أنت ولا معبود سواك، العبد لك من عبدت لنفسك، ومن اصطفت لإبراز أناك بمعناك. اللهم فارحمنا بعبدك ورسولك، واجعلنا به عبادا لك، وعبادا له. اللهم به فاقبلنا. اللهم به فأحينا. اللهم به فتواجدنا. اللهم به فابعثنا. اللهم به فأغن فقرنا، وأحسن مأوانا، وزين دارنا، وقوم مبنانا. اللهم به فأثر بصائرنا وأحي أبصارنا، وأنر بيوتنا من قلوبنا، بيوتا لك، وقبلة لمبانيها ومعانيها، وقوم بما قومت جوارحه جوارحنا، حتى نستقيم فيك بالفعل منسوباً إليك صادرا عنا، وبالقيام مردودا لقيامك وإن كنا، أشهدنا أنه لا إله إلا أنت، وأشهدنا أننا معنى العبد لك، وأنه لا إله إلا الله، وأنا محمد عبده ورسوله.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ استلهاما من الحديث الشريف: "إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيقولون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا.." بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.
- ٢ إشارة إلى الحديث الشريف: عن أنس بن مالك: "دخلت مع النبي (صلى الله عليه وآله) على علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) يعود وهو مريض وعنده أبو بكر وعمر، فتحولا حتى جلس رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال أحدهما لصاحبه: ما أراه إلا هالكا! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنه لن يموت إلا مقتولا، ولن يموت حتى يملأ غيظا." المستدرک على الصحيحين.
- ٣ من معنى الحديث الشريف: "إِنَّ أَتَقَاكُمْ وَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ أَنَا." صحيح البخاري. أيضا "... ما بَالُ أَقْوَامٍ يَتَزَهَوْنَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟! فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَهُمُ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً." أخرجه البخاري ومسلم.
- ٤ إشارة إلى الحديث الشريف: "والله ما أدري - وأنا رسول الله - ما يفعل بي ولا بكم." صحيح البخاري.
- ٥ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.
- ٦ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.
- ٧ حديث شريف: "إذا أم أحدكم الناس فليخفف، فإن فيهم الصَّغِيرَ والكَبِيرَ والضعيفَ والمريضَ، فإذا صلى وحده، فليصل كيف شاء." صحيح الترمذي.

(٢٢)

عبد الربين

ورب الثقلين

المتعلم الأزلي، والمعلم الأبدي

الإنسان الآدم، والآدم الإنسان

في لا نهائي لا إله إلا الله

حديث الجمعة

١٩ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ - ١٦ نوفمبر ١٩٦٢ م

ربنا غفرانك منا، وإليك المصير.

ربنا أصلح لنا بالناء، بمن أصلحت باله، وأنزلت عليه كتابه، كتابا لك، وأعطيته كتابه بيمينه، يُقرئه ويقرأه على مكث، به كان رسولا من أنفسنا منك، ورحمة لنا بك.

اللهم أصلح بالناء بمن جعلت أعمالنا بمتابعته أعمالا له مشهودة منك، مرفوعة إليه رفعا إليك، يحمذك على ما وفقت ويستغفرك على ما أخطأنا، يستغفر عنا ويحمد لنا، وقد جعلته لأزليك من الإنسان رفيقا له وربا لنا، عرفتنا فيه أول العابدين قدوة لنا، وجعلت في مظاهر خلقه بنا وفي سبيل غايته لحقه فيه أسوة لنا، وجعلته بمعناه من ربه مولى لنا أولى بالمؤمنين منا من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم، فجعلت من المؤمنين به أبناء له، وجعلته أبا علويا لهم ليس أبا لأحد من رجالنا، ولكن أبوته لنا منة منك قاصرة على من اصطفيت من عبادك، ومن خلقك عبادا مكرمين، وكلمات منك مهداة إليه. أدبته وهديته فأحسن تأديبه، ونشرت هديه، وأعنته بقدرتك على أمره، وجعلته الشهيد على من تأخذ من الشهداء منا رسلا من أنفسنا، كيفما نكون وليت علينا، فجعلت نهاية المعارف لنا عنا في المعرفة عنه عبدا لك، وجعلت نهاية المرتقى منا إليك فيك في الوصلة به والاتصال بحضرته، وجعلت نهاية النعمة منك لنا وجوها بك ناضرة لوجهك به ناضرة جنة لا تغيب، وحياة لا تنقضي، ونعيما لا يوصف،

وجعلت نهاية الإيمان بك والخلاص من أنفسنا في الإيمان به رسولا منك وحقا لنا. لا إله إلا أنت، ولا عبد عندنا منك إلا هو، العظمة لك والرحمة منك به، جعلت العلم عن عظمتك في ظاهرها في إدراك عظمته عبدا لك يخفض جناح الذل من الرحمة، والعزة منك له وللمؤمنين به. وجعلت رحمتك في التعرض لفيوض رحمتك منه رسولا أظهرته على صورتنا، ونسبته إلى معنى التصور لك في صورتك بالرفيق الأعلى له، هو على صورته قاب قوسين أو أدنى منه، فكان في ذلك به شرفنا بشرا، وكان في ذلك لنا نعمتك قائما على كل نفس، أقرب إلى كل نفس من جبل الوريد، من وراء كل نفس بإحاطتك نشهدنا منك، فنشهدك في مرآة أخوتنا فيك، والاجتماع على التواصي بحقك لذكرك، والتلاقي في لقاء على أمرك، والعمل في غاية هي طاعتك، نراك في الكل فنسجد لعظمة وجودك، وجمال شهودك، وشدة قربك.

يا من هو الكل ولا كل إلا هو، يا من جعل من عبده به كل عباد له لأنه عبده ووجهه وعلم كله، وجعل من عبده ب كله طلعة إحاطته، وكتاب ذاته، ويد قدرته، وعظمة شهوده، وسرمدي فعله، فسجد العبد للكل أزليا ربا له، وسجد الكل بوصف الخلق للعبد أبديا رسولا، وحقا منه، ووجهها له تميز باصطفائه والكل منه...

يا من قبضت عبدك في يدك لتقوم على الناس إرادتك، وفعلك لا يخرج عن مرادك، وليظهر بكل معاني الرحمة منك والإسلام لك، وجعلت الاجتماع عليه والتسليم له معنى الإسلام لك، ومعنى الرشاد منك، وجعلت في الاسترشاد به معنى الاستقامة معك، ختمت به معاني الغيب لك، وبدأت به معاني الغيب له، فكان معاني الشهود لطلعتك، أمرته أن يعلن أنه الحق قد تواجد على الأرض بتواجده يدب بمسيره، ويشهد لأهلها بقيامه من أنفسهم في أنفسهم...

يقوم في أمته، لا ينقطع لها وجود، ومن خلالها لا ينقطع له تواجد، فيها يبعث القديم له، وبه وله يتواجد في وصف الجديد منه، فيقوم جديد الذكر بقديم الذكر مسيحا له تعريفا عن الذاكر والمذكور، والعبد والمعبود، والشاهد والمشهود، أول كل حشر، وأعلام القيام لكل حق، وساعات اللقاء لقديم الجنس في جديد الجنس، بالحق في دورة الحياة للجنس في حضرة رشاده، وتحت ألية قياده على أرض رحمته وبرزخ سلطانه لبحري خلقه من اللؤلؤ والمرجان بالإنس والجان...

انقضى به الإنباء عنك، وقام به العلم منك في العلم عن النفس بالعلم عليك لأعلام خلقك، فكنت به وبهديه على ما كنت وهديت في أزلك، وعلى ما أنت في أبدك الغني عن العالمين حقا، من لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية صدقا. ارتفع بك بعقله منك فوق العقول، وفتحت به باب الارتفاع لخلقك يتعاملون معك فوق الطاعة والمعصية، فوق الفناء والبقاء، فوق الأزل والأبد، فوق الزمن والدهر، فوق

المكان واللامكان ضاق أو اتسع، فوق كل شيء، فوق الوجود وما حوى، فوق الكون وما طوى. به جعلت من إنسانية خلقك إنسانية حقك كراسي ملكك، وعروش إحاطتك بسعتك، وترجمان عظمتك، وأيادي رحمتك.

انتهى النبأ والإنباء بتمام الدين برسالته، وقام الخبر والعيان بدين القيمة واليقين بأمته. القيامة في قيامه بنوره مبعوثا في الساجدين إلى ربه منتهاها في أهل اليقين. جعلت في إرادتك به يوم تسوي محدث ذكرك من الخلق، به قديما له، ذكرنا لك في الخلق معنى الساعة لمعنى الحياة بدنيانا، أمة به بدأتها لا تعدد فيها بين بنائها وبانيها، بين صغيرها وكبيرها، أمة هي الإنسان، أمة هي منك عنك البيان والعنوان لسرمدي ظهورك وقيامك بالإنسان، جعلت على الأرض حضرتها، وعلى الأرض بالأحياء من سائر العوالم ملكوتها، وعلى الأرض بالعاملين بقلوب حية سلطانها، جعلتها الصلاة قامت بقيامه في الساجدين، وجعلتها الفلاح لمن أفلح في متابعته من السارين، وجعلتها العلم بالعلمية على الأكبر لمن أدرك الحق في معارجه واحدا أحدا، قائما في الكبير والصغير وعلى الكبير والصغير، وجعلتها لنا تمام النعمة لأهلها ملاء لك، وجعلتها أمة هي الأكبر لمن يطلب اللقاء بك ممن لم يلقاك في نفسه إذ به جعلت ملاءها ملاء لك، وحضرتها حضرة لك، وبها حددت الأعلى والأدنى، كما عرفت العالمين والسافلين، والذاكرين والأوابين، والسابقين والمتخلفين، إذ جعلت به لعوالم الروح من الإنس والجن من الإنسان، ولعوالم الروح من الإنس والملك من الإنسان في البشرية وعلى أرضها قبلة لك به، جعلت فيها شهودك بخلافتك عليها خليفة عنك بك، كما جعلت من هذه الأرض للغافلين أرض رحمتك، وحضرة إياهم بهم لكسب طاعتك بإدراك معانيك في فطري معانيهم، ينسبون إلى الأكبر في معنائهم من أنفسهم رحمة منك للعالمين، بمعنى الإنسان هم فيه يجمعهم إليه يرجعون، وبه يؤمنون، وله ينشدون، وفي أنفسهم يطلبون إنسان الله، وخليفة الله، وعبد الله، وحق الله، وجعلت من الأعلى من ملاء الإنسان لمن عليها، رب الناس، ملك الناس، إله الناس، رفيقا وملاء أعلى لملاءها بالرشاد، وجعلت بها لمن دونها في الرشاد من فطري الإنسان رب الناس، ملك الناس، إله الناس، أمة وسطا. وجعلت من إنسان رسالتك لعوالمك وعبد معرفتك من عالم رشادك الشهيد على شهدائها، والقيوم على قيوميها، يقوم ويتقلب في الساجدين، وجعلت دينه دين القيمة على خلقك بالرشاد، فجعلت النبوة في دينه علما وأمرًا يكسب ويوهب، من قامه كان نبيا للناس بعلمه قيما عليهم بقدوته. علماء أمته كأنبيا سبقه من الأمم، وشهداء إنسانيته كأوادم سبقه من طبقات الجنس، نبيا للنبين أبناء مجاهدين، وآدم للأوادم آباء متحققين، وشهيدا على الشهداء العاملين رفاقا قوامين ربا وعبدا في العالمين، رحمة للعالمين ورسولا للعابدين، ونورا للمتجلين، وصورا في الوجوه الناضرة، والوجوه المنظورة، عبدا لمن ليس كمثله شيء، ورسولا ممن هو كل شيء..

هذا هو محمد، هذا من عرفناه محمدا ذاتا وصفناها، وعلمنا بيننا ذكرناها، وغيبنا علينا غير معلوم لنا قدرناها، وما كان لنا أن نعلمها إلا في علمنا عن أنفسنا في معناها يوم أننا منه وإليه أرجعناها تخلقنا بأخلاقه، علما عنه، ومتابعة له في تخلقه بأخلاق ربه، وتقديرا لتخلق ربه بأخلاق الرفيق الأعلى ربا لهما، وإلها وربا لنا غيبا علينا هم شهادته لنا بنا.

بهم تبارك الإنسان ظاهرا لنا، وكم تبارك بهم غيبا علينا! تبارك الذي بيده الملك، تبارك الذي أعطى كل تبارك قبلة خلقه وهديه، هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا. تبارك الذي منح الملك فكان يد سلطان حقه وسلطان قيامه، فبسط سلطان لحقه، من الإنسان، في الإنسان، بالإنسان، لمعناه ولتابعه، هو من عرف ربه إنسانا ورفيق سبق، وعرف إلهه إنسانا وصاحب عظمة، تكنز عنه بحجاب الرب له رفيقا أعلى، وعرف الأرض إنسانا ودار رحمة، فدخل جوفها بمعناه حيا وارتبط بالرفيق الأعلى روحا ونورا، وانتظر حتى تنشق عنه علما عليها وسيدا لها، أمة له وربا لها، في بعث محمود فتشرق بنوره، وتتساقط السماء عليه بأنبيائها وشهادتها، وتنشق الأرض عنهم أبناء لها، ويوضع الكتاب بيننا إنسانا بالعلم عن ربه مطلقا، وعن غيبه به حاضرا قيما موجودا، وحقا قائما مشهودا، وعبدا مسلطا برحمته سلطانا ممكنا بعزته ذكرا وعنوانا. يد قدرته تقوم يوم تحيط يده بأرضه فتكون الأرض جميعا قبضته - على ما تشهدون في عصركم هذا - أمرا ظاهرا في سفوره وأمرا ما احتجب في دار من دوره.

إن ظواهر الإسلام تُشهد في أحداث الأرض في يومكم، على ما شهدت في يوم إبرازه بمؤسسه ومجده ومحمد رسول الله وعبدا له. إن الظواهر الروحية في الإسلام، إنما هي في أحداث الحياة، تنتظم في مراد كتابه قائما، وفي نصرة المسلم مفتقرا، تنتظم في إرادة أمة الإسلام تجار، يوم يكون للإسلام أمة تبدأ دائما من رجلين، عارف بنفسه وصديق متابع موحد لربه، فيكون لهما إرادة هي إرادة ربهما. فأمة الإسلام ليست بعدد من الناس ولكنها رجل عرف ربه أقرب إليه من حل الوريد، ورجل عرفه وصدقه ونظر به وجه ربه متوحدا منه. منهما ينتشر نور الفطرة، ويقوم أمر الحكمة، ويزرع علم الكتاب...

ينتظم المجتمع البشري في ظاهره بباطنه انتظام الساعة، وهو على دوام في دورة منتظمة، كلما تجدد فيه بدء في دورة الزمن بقرنه على خفاء من أمره، والرسالة به فيه دوما متجددة، كلما أسفر رسوله بجديد علم، وظهر بوجه الحق في قوم، ونطق بلسان الصدق أمينا فيما يقول، صادقا فيما يقوم، مدركا فيما يرشد، عالما فيما يُعرف، مستقيما فيما يفعل، من أنفسهم وبلسان قومه ليبين لهم.

قام الإسلام بلا إله إلا الله، ونُصر بلا إله إلا الله، وعُلم وانتشر بلا إله إلا الله، عنونها له محمد رسول الله، فكان الحق من الله، وكان حجر الزاوية للزمان، ونقطة المركز للمكان، فكان منسكه قبلة تشير إلى معناه وتعرفه، هي بيته لله ترمز إلى قلبه الكبير دارا من أرض طيبة لا يعصى فيها الله، وإلى أهلها عبادا من روح الله، ولقومه جندا وأنصارا لروح الله، وإلى عترته مسحاء إنسان الله، وإلى قائم الله لا يغيب، وباطن الله لا يحتجب، وظاهر الله لا يجحد، ووجه الله لا ينكر ولا يجهل، ويد الله لا تزور عن العطاء، وذات الله لا تتوقف عن القيام، وقدم الله ونور الله لا يتوقف عن المسير والانتشار.

إن الإنسان لا بدء لتواجده بالله، ولا انقضاء لتجدده بالله، ولا انقطاع لقيامه بالله، ففي دوام بأزل قام، وفي دوام في أبد سوف يقوم، وفي دوام في كل حاضر هو قائم. قامت الديانات جميعا على الإيمان به قديما إنسان الله، وقامت الطرق جميعا على السعي إليه قائما طريق الله وسبيل الله، وقامت البشرى للبشر جميعا، أنهم به يقومون وفيه يتواجدون، وأنه فيهم ضمائرهم يستيقظون، فمن لم يبحث عنه قائما لن يدركه فيه له دائما، ولن ينشده يقوم، أشهده على الدين كله إنسان شهادته، وحق قيامته، وعبد رسالته، فكان في معانيه الدين كله، فأظهره على الدين كله فعرف ما كان، وما يكون، وقام ما كان، وما يكون.

ها هو يظهر في أحداث الأرض، وفي أحداث السماء، في آفاق الأرض وفي آفاق السماء، ظواهره وآياته بالحق بما نشهد في كل يوم من جديد. فلتأمل ما وقع في مطار القاهرة من أيام وقد صادف مجيء الطيارات الإنجليزية اللاجئة بطياريها من الأردن، تواجد السفراء والحكام بالمطار دون تدبير للتواجد أو اللجوء في لقاء مثير، ولو توافقوا لاختلفوا في الميعاد. إن الأحداث تنطق بعظمة محدثها، وتكشف عن يد سلطانه المحيط، لا يفلت منه فرد أو جمع، لا يفلت من تدبيره تدبير، ولا من مكره مكر، فله المكر جميعا، يمكر لتحقيق السلام، ويمكرون لبذر بذور الخصام، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم أو بأفعالهم، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، وهو متمه ولوكره الكافرون. إن الله بالغ أمره. إن موعدهم الصبح، وقد أصبحنا في قرب من فجر، وفي إهاب ليل من إصباح، توشك شمس يومه أن تنبثق بشروق، فنستمتع بضحاها، وتعرف النفوس من أهل الأرض فجورها وتقواها ولا يخاف عقباها.

ها نحن.. بين غافل وما أكثرنا! ويقتظ وما أقلنا! بين مبصر وما أندرنا! وبين أعمى وما أوسعنا وما أكثرنا وما أغنانا! ولكن عود ثقاب إذا اشتعل، ذهب بجحافل الظلام مهما اتسعت. إن النور يغلب الظلام في كل معركة يشتبك فيها النور والظلام، وإن السلام يناصره السلام ينتصر في كل معركة

يشتبك فيها مع أهل الخصام. لقد بتنا قاب قوسين أو أدنى من نصر قريب، من يوم معهود، من يوم مشهود، شُهد في قديم، وانتظر من قديم في قابل، وهو متجدد في قائم في دورة من دورات الزمان، وفي دورة من دورات الإنسان، بين غيبه وشهادته، بين قديم بالحق وجديده بالحق، دورة في لا إله إلا الله، دورة في محمد رسول الله، دورة في آدم الله، يوم اصطفاه من بشرية قديمه وسبقه، دورة في إنسان الله، يوم خلقه بحضرته على أرضه نائباً عنه، في حضرته من سمائه بسبقه وغيب معناه، لا جديد في الحق، ولا جديد فوق الشمس، ولا جديد تحت الشمس، ولا جديد فوق الأرض، ولا جديد تحت ثراها، إنه العلم، إنه المعرفة، إنه الحياة، إنه لا إله إلا الله، إنه محمد رسول الله.

اللهم أعلِ محمدًا، اللهم انصر محمدًا، اللهم انشر محمدًا، اللهم اكشف محمدًا، اللهم ابعث محمدًا، أمرا لك مطاعا من الناس منك، وعبدا طائعا لك، اللهم اجعل من محمد قوامنا، واجتماعنا ووحدتنا، ومسيرنا ومصيرنا ومآلنا وحاضرنا وقادمننا، اللهم أعلِ كلمة الحق به فأعلِ كلمة الحق بنا وعلينا، وانشر كلمة الحق منا وفينا، وادفع عنا برحمتك وبِعزتك من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم. اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك. اللهم اجعل حاضرنا وقادمننا لعبدك ورسولك، بلا إله إلا الله، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين. اللهم وفقنا وسدد خطانا، حكاما ومحكومين، مهتدين وضالين، مؤمنين وشاردين، واجمعنا أحياء بك فيك يا رب العالمين على طاعة لك ورحمة منك، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الغافلين.

أضواء على الطريق

(أعمالنا موجهة نحو تعليم الإنسانية أساسيات الحياة حتى لا تجري وراء الأوهام في طلب القشور وعبادة الظلال. نحن نجاهد لكي نأتي بحقائق الصديق الروحي من أن الإنسان يمكنه أن يؤسس على اليقين لا على الأراجيف، ويمكنه أن يكون ذا دين حقيقي مبني على قوانين الطبيعة، حتى إذا نزلت به المصيبة، وتبدت له الظروف قاسية، ولم يعلم أين يتحول، كان دينه المؤسس على الحقائق الروحية قادرا على الصمود أمام كل اختبار وكل تجربة.

إن بعثنا بعثة روحية تحاول أن تعلم الإنسان عن الروح الأعظم، وعن الحياة في داخل نفسه حتى يمكنه أن يدرك أنه ليس حيوانا بل إلهيا، وأن يعرف أنه يشترك في ألوهيته مع كل حياة أخرى في الكون. بهذه المعرفة سوف تتحرر دنياكم ليأتيها ضوء جديد، وذلك عندما ينتشر الفهم، ويعرف الإنسان مكانه في المشروع الأبدي العظيم.

إنا لا نحتكم لأي علم لاهوتي يعقد، ولا إلى تعاليم أثرية عتيقة، وإنما نحتكم للمنطق البسيط وهو الوسيلة التي يمكنكم بها أن تختبروا كل صدق وكل معرفة وكل حكمة. إنا لا نسألكم تصديق ما نقوله، إذا كان

يهين ذكاءكم، أو يكدر منطقكم بأي حال من الأحوال. احتكامنا موجه نحو الأعلى لا الأدنى منكم حتى يمكن أن يكتشف الإنسان نفسه، وفي اكتشافه لنفسه سوف يكتشف الله.)
من هدي الروح المرشد السيد (برش)

(٢٣)

لا إله إلا الله

قديم وقادم وقيام

بداية ونهاية لقائم أمر وغاية

يقومها الإنسان ليكون بها عن ربه وعبدته العنوان

حديث الجمعة

٢٦ جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ - ٢٣ نوفمبر ١٩٦٢ م

الحمد لله

الحمد لله والشكر لله

له الحمد والشكر على ما أنزل من سكينته على القلوب، وعلى ما أنزل على أرضه من السلام، وعلى ما أنزل من رحمته على النفوس.

لا موجود بحق إلا هو، السلم معه، والسلام منه، لا شريك له.

ها هي نبوءة الروح تصدق، ويتحقق للأرض السلام، ويتخلّى أهلها عن طبيعتهم من التنافر والخصام من رحمته.

ها هي الدورة تتم للسلام بقيام وبدء، وتتم للخصام بزوال وانعدام إلا اللهم. فنسأله تعالى أن يتم نعمته بالسلام، حتى يكون جامعا مديدا تاما شاملا لبقاع الأرض وأممها. ونسأله برحمته أن يطول هذا السلام في دورة ممتدة بمنه وكرمه ورحمته، حتى يستكمل الناس فيه نورهم، ويستقبلوا به منه مسرتهم، وتهدأ نفوسهم من قلقها، فيستطيعون ردها إلى بارئها، مهيأة لرحمته، مستقبلة لفيضه، مستكملة لنورها منه، أعلا ما عليه، ووجوها له، من ورائها بإحاطته، وفي معناها بذكره، وعليها برحمته، ولها بقدرته، مدركة حقيقتها وكمالها في معاني ذكره وعبدته، يلحقه بلطيفه في كثيفها فتسقط عنها أوزار ثقلها لمبانيها، بكشف الغطاء لها عنها بالحرية لمعانيها، فتشهد من وراء كل كثيف بلطيفه، وجها له لوجوه

لها، ووجوها له لوجه بها، فتشهد أنه لا إله إلا الله، بدخولها في حصن لا إله إلا الله، وقيامها بلا إله إلا الله، يبعث بها السلام، ويتواجد بها الإسلام، وتحيا بها الأرض من ذاته له بعد موتها عنها بعثا للحق به، فيقوم بها المسلم في نفسه وبنائه، ويفيض بها المؤمن بقلبه وعنوانه.

هكذا يكون الإسلام في دورته مع كل إنسان في حضرته، الناس جماع حضراته، لواحدية حضراته لصفاته، ولأحدية معناه لأحدية ذاته، بقيامه على كل نفس بما كسبت.

النفوس فيه بين فرق وجمع، بفرق ظاهرها عن باطنها، وبفرق باطنها عن ظاهرها، في فرق حاضرها عن ماضيها وقابلها، وبجمع حاضرها على ماضيها وقابلها، علمت نفس ما قدمت وأخرت.

علمت نفس ما هي وما علمت، لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وشاء من هو منها أقرب لها من جبل الوريد أن تعلم أنها منه، وأنه لها، وأنه أقرب إليها معها من جبل الوريد، فيشهد معناه في معنى من هو أقرب إليه من جبل الوريد، فيراه وجها له، ويقومه عبدا له، في حال اجتماعه وجمعه على أصله وفرعه، على مستقبله وقبله، في حاضره لمعناه قائما على حاضره بمبناه أحدية للزمان، في معنى الزمان له والدهر عنده، وأحدية للمكان في معنى الوجود له والمطلق معه، وأحدية للحق والخلق في معنى العبد والرب له، والسرمدى من ورائه بإحاطته. هكذا يكون الإنسان، يوم يصبح الناس في معنى الإنسان مع من لا قوا من إنسان، ويوم يصبح هيكل الإنسان عن معنى الإنسان عنوان إنسان، يوم يقوم القلب بيت الحق حقا، ويوم يتواجد الذكر المحدث بالذكر القديم فيكون له معنى وقيام، ويصبح للدلالة على قديمه له ختما وبدءا وعنوانا، ذكرا لإنسان عن إنسان في إنسان الكل لله، لا يذكر غيره بالوجود والفعل مذكورا، ولا يقوم غيره بالرحمة وبالحياة مشكورا. الإنسان له أبرز المعاني منه، بقيام معناه. الإنسان له ظاهر غيبه وباطن شهادته، بالإنسان للإنسان يسفر وجها له، وبالإنسان عن الإنسان يغيب كنزية له، والإنسان بغيبه وشهادته قيام حقه، ذكره وعلمه وكتابه وعلمه وحكمته وأمره. يوحد الإنسان بالإنكار على نفسه في عزلة عنه بوجود له، ويتوحد ربه بوحدانيته بمعاني العلم عليه والوجه له، والعلمية لمعناه كلمة تامة له.

لا إله إلا الله، ولا عارف ولا معروف إلا الإنسان. لا إله إلا الله، ولا موجود ولا موجد إلا الإنسان. لا إله إلا الله، ولا عاقل ولا معقول ولا معنون ولا عنوان إلا الإنسان. لا إله إلا الله، ولا قيام لها ولا قيام بها إلا الإنسان.

للإنسان، في الإنسان، لا إله إلا الله تتواجد به فيه له بطبائعها في طبيعته صورا وألوانا، وبحقائقها في حقيقته كتباً وأسراراً، يجمعها العنوان في لا إله إلا الله. لا إله إلا الله، فرقة الإنسان يوم يتفرق

الإنسان بطبائعه، أو بألوانه، أو بمعانيه، أو بمعارجه ومراقبه، أو بنهاياته، أو بلانهاياته وببداياته، وبما قبل بداياته، ثم يتجمع فيها الإنسان بفرقة، فيقومها لا إله إلا الله في أحديته زمانا وأزمانا، وفي أحديته مكانا وإمكانا، وفي أحديته طبيعة، وفي أحديته فطرة، وفي أحديته وجودا وموجدا وموجودا، وفي أحديته شهودا، شاهدا ومشهودا، وفي أحديته قياما بآحاد واحدا موجودا. لا إله إلا الله هي الإنسان، والإنسان هو لا إله إلا الله.

ومهما فرط الإنسان في أمره في لا إله إلا الله، فإن لا إله إلا الله لا تفرط في الإنسان. إن الإنسان ما أخذ سمت الإنسان تكوينا وعنوانا قامت عليه لا إله إلا الله، بما كسب من لا إله إلا الله. وقامت عليه لا إله إلا الله بما اكتسب من الغفلة عن لا إله إلا الله حتى يقوم بلا إله إلا الله معنى وقياما، فيحاسب الإنسان نفسه، وكفى بنفسه عليه حسيبا بلا إله إلا الله. وبلا إله إلا الله يجازي الإنسان نفسه. ما يعمل من مثقال ذرة خيرا يره، وما يعمل من مثقال ذرة شرا يره. وبلا إله إلا الله نصر الله نفسه برحمته على نفسه بعدله في معنى القول بالعذاب. وبلا إله إلا الله ما من شيء إلا ويسبح بحمده. وبلا إله إلا الله ما من ذرة في السموات أو في الأرض إلا ويأتي بها الله.

بلا إله إلا الله غلبت رحمته عدله، وغلبت نعمته جزاءه. وبلا إله إلا الله تغلب نوره على ظلامه، وحقه على باطله، وسلامه على خصامه، وجمعه على فرقه، وأحديته على صورته، وبقاؤه على وهمه، وأبده على تجلياته، وأزله على كنزيتة.

بلا إله إلا الله، يذكرها اللسان، ويقومها الجنان، تخرج من الفم، وتستقر في القلب والوجدان، تصدر عن العقل، وتستقبلها النفس، وتعمل بها الجوارح، فتحميها الذات، فتقوم بها دورة الحياة في عالم الفرد من الغيب إلى الشهادة فيه، ومن الشهادة إلى الغيب له، في فرد الإنسان سالكا طريق الحياة، بادئا بنفسه، قاصدا باب الرحمن في بيته بقلبه، طالبا وجه الإحسان في نفسه لمعنى عبده، وتقوم بها الجماعة إذ يقوم بها الاجتماع، وينادي مؤذن قبلته بالتجمع فتقوم الصلاة، ويتحقق الإصلاح ويحيا الإصلاح، ويتواجد الفلاح، وتكشف الحقيقة للنفوس، فتسلك الطريق، وتبدو للسالك فيقوم الإيمان مع بواجر فجر السلام، فردا أو جمعا، في أحديته، وأحدية جمعه، وأحدية الاجتماع فيه بلا إله إلا الله.

هكذا تقوم لا إله إلا الله. وهكذا تنادي لا إله إلا الله لغة الوجود لسميع، ووجه الشهود لبصير، فيقومها المستجيب لها والملي لندائها، والبصير لها المتابع لشهودها، فيقومها لا إله إلا الله لنفسه، ثم يقومها ندائها ووجهها أنه لا إله إلا الله لجمعه.

هذا هو الإسلام، وفقه الإسلام، ما دار فقه الإسلام حول هدف لتفقيه المسلم فكانت لا إله إلا الله هدفا للمسلم، فدار حولها كعبة له فيمن قامته فقامها مرآة له ليكون على دينه، من كاتته فكانها فحيا قلبه، وينطلق ويقوم بها وجهه فيشرق، وقد وضع وزره، فشهد وشهد لا إله إلا الله.

لا علم في الإسلام، إلا بالعلم عن لا إله إلا الله، ما دار العقل والقلب ودارت غاية النفس حول لا إله إلا الله، وركنت كل معرفة إلى لا إله إلا الله، فكانت للإنسان مركز وجوده، وأصل وجوده، ودائرة وجوده، هو لها ما هي له في وجودها لوجوده، وفي وجوده لوجودها، فسلمت معرفته، واتسع علمه، وانتشر حوله هديه، نورا يمشي به في الناس، يهدي به الله، وينشر به الله رحمته ونوره، فكان ماء الحياة يتساقط من سماء الحياة بمعناه على أرض الرحمة بالحياة لمعناه فيمن صافاه وتابعه لمعناه نفسا وذاتا لمولاه، يمتد بالحياة إلى أرض القلوب ومعاني العقول، في إنسانية الأرض إنسانا لله وعبدا لله.

إن إنسان الأرض بجماعه وبمفرداته على تفاهته من حيث ذاته من ترابها، في حال من العظمة في إنسانية الله، من حيث قيامته في إمكانياته بجماعها إنسانا وفردا. إن إنسان الأرض بألوانه، وبفرقته، وباختلاف درجاته، وبتقادم وتجدد حيواته، وباختلاف طباعه، وبجماع معادنه وأطباعه، وبقيامه في وحدة من قيام على اختلاف أوضاعه، إنما يمثل الإنسان الأكبر في أحديته، كما يمثل الإنسانية الكبرى في حضرتها بمفرداته...

فرده بجمعه إن صح فهو عبد الله، وإنسان الله، وذكر الله، وجماع بشريته، وإحاطة أرضه، وطبي سمواته، كلمة الله وذكره، وآية الله وعلمه، وكتاب الله ونشره، ويد الله وبسطها، وقدم الله وسيرها، وعين الله وسهرها، وأذن الله وسمعها، وعلم الله وإحاطته، يُظهره على الدين كله، يشهده خلق نفسه، يشهده خلق السموات والأرض، يتخذ عضدا، يجعله وجها من ورائه بإحاطته، يجعله يد قدرته، الأرض جميعا قبضته يوم القيام به، إنسان لا إله إلا الله، يوم تقوم لا إله إلا الله على إنسانها في معنى إنسانه، فيقوم الإنسان عنوانا على عنوانه، من ربه في قيامه وعيانه في فرد جمعه بأهلها، وأحد جنسه بأزلي عنوانها ذي المعارج أينما نولي فوجهه.

إن في شهادة أنه لا إله إلا الله كنوز الحياة، وكنوز السعادة، وكنوز العلم، وكنوز المعرفة، وكنوز القرب، وكنوز التواجد في اللانهاية بقيام معنى اللانهاية في قائم لا إله إلا الله، فيمن قامت عليه، فكان عين الحق من الله، كان حقا من الله، كان عين عبد الله، كان أول عباد الله لعباد الله، كان محمدا رسول الله وكان آدمًا لأنبياء الله، وكان روح قدس لأقداس الله، وجماع كلمات الله إنسان الله، كان كلمة تمت في الله. هذا ما كان محمد وما جاء به محمد للبشرية لتكونه في متابعته. فهلا شهدنا لا إله إلا

الله بعقولنا، ووعينا، وعقيدتنا، فاستقمنا على لا إله إلا الله بقلوبنا طريقنا وجمعنا ووحدنا، فدخلنا في لا إله إلا الله، حصننا وعزتنا وبيتنا وكعبتنا، وشرفنا ونعمتنا، فكسبنا لا إله إلا الله، فكسبنا أمانة الله معنا، فكنا عبادا لله، وذكرنا الله، ووجوها لله؟

على هذا قام الإسلام، وبه جاء مؤسسه كآبا، ومجدده فطرة، ومبشره قياما. فهل على أنفسنا في سابق أقدناه، أو في حاضر راعيناه، أو لقابل رجونا؟ إنكم هنا في بيت الروحية تستمعون لمؤذن للصلاة، من لا إله إلا الله، وتدعون إلى حوض لا إله إلا الله، ومائدة لا إله إلا الله، وطريق لا إله إلا الله. فإن استجبتم فإنكم تستظلون بظل لا إله إلا الله، وتسقون من ماء لا إله إلا الله، وتطعمون من مائدة لا إله إلا الله، وتمتدون بنور لا إله إلا الله، وتشعل فيكم مصابيح الحياة من جذوة الحياة بلا إله إلا الله.

إنكم ثمرة الوجود بلا إله إلا الله، فلم لا تكونون ثمرة طيبة، وكلمة طيبة، وأرضا طيبة، وزرعا طيبا، فتكونون أصلا لا إله إلا الله شجرة طيبة وهي أصلكم، أنتم لها فرع، وكم يطيب لأصلكم بلا إله إلا الله أن تكونوا به وأنتم فرعه أصلا له لمن يطلبها من عملها بعملكم، أو يعرفها معروفة بتعريفكم، أو ينشدها بتشويقكم وحديثكم، أو يسمع عنها بالسمع لكم أو السماع عنكم، أو يجهلها أو يجهل بها بخاصتكم أو بجهله عنكم.

لقد جعل الإسلام في لا إله إلا الله، فكانت علمه وعلمه وطريقه ورحمته، وكانت بذلك بدء الإسلام للمسلم دين فطرة، وكانت نهاية المطاف للمؤمن دين يقين، ذلك دين القيمة، ذلك دين من قام الله عليه، فأقامه على الناس، الله عليه شهيد، وهو على الناس شهيد، وهو في الناس شهيد، والناس عنده له وعليه شهداء. لم يجعل الله الإسلام في القراطيس والمحابر، وقد جعل الإسلام في قومه ينظر في وجوههم، ويقرأ في معاملتهم، ويكسب من قلوبهم بحبهم، وينشر من ذواتهم بقدرتهم.

ضرب ابن مريم مثلا للمسلم يوم يقوم المسلم بمعناه كشهيد، يوم يكون المسلم لله عبدا وعلى الناس شهيدا، فيدعى الناس بإمامهم، لا دينونة على من دخل في قلب كلمته، ويكون ربه عليه شهيدا، وما ربه إلا عبدا كان عليه شهيدا ورسولا لمن هو عليهما من الغيب شهيدا إنسان الله وعبد.

هذا هو الإسلام عند المسلم، فالمسلم أمة في معناه وذاته، وأمة في جمعه وأخوته وأخواته، كل المسلم على المسلم حرام، المسلم للمسلم كالبنان يشد بعضه بعضا، المسلم للمسلم عنوان في سبقه وقائمه وقادمه، المسلم صلح فوقه الآباء، وجاهد تحته الأبناء، واستقام معه الأخوة لبنات لبناء، وبيت لقبلة، يستقبلهم الناس وجه الله، ويصلون الناس صلة الله، يسكنون لهم في أنفسهم بما أنزل الله عليهم من

سكينته، ويمتدون بسكينتهم في الناس رحمة الله للناس، وعباد الرحمن بين الناس. فإذا كان المسلمون بعد إمامهم المسلم لربه، يوم أسلموا له، فكانوا المسلمين؟ انظروهم كيف جهلوه فغيبوه ففقدوه، وكيف عموه بينهم بأهله فتركوه، وكيف زاحموا في شهوده فظاهروه، وكيف هم يوم احتجب من بينهم نصب له، وقام لهم عديد من النصب منه فما طافوه ولا جوه، ولا بقلوبهم وصلوه، ولا بعقائدهم صلوه، ولا بصفائهم اتصلوه، ولا بعقولهم أدركوه فمقلوه، ولكن بدنيهم معبودة جهلوه فما عرفوه، وصارحهم فما صدقوه. (ما عرفني غير ربي)¹، ولكنهم على شاكلتهم قدروه، (وا شوقي إلى أحبابي)²، فما اتعظوه ولا في جديد نظروه أو انتظروه، (قوم يؤمنون بي ولم يروني، [لهم من الله ما لي])³، ولكنهم بخاتم النبيين وصفوه وما فهموه، ولا روحا آمنوه، فزعموا لأنفسهم ما لهم على وهم بهم، وسلبوهم التقدير والقدر عندهم، واهمهم أهل السبق (أما أنتم فأصحابي)⁴، أنتم من صاحبوا جسدا وهموه كأجسادهم، أما هم فأحبابي يعرفوني روحا لأرواحهم وباطنا لأشباحهم.

ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب، فما كان للناس أن يعرفوا الحق في عبده ورسوله، وهو لهم بينهم وجها لوجه من شبح لشبح، فكان لا بد وهو الحق من احتجابه بغيبة عنهم أو احتجابههم بإكبار له عنه حتى يعرفوه، وكان لا بد أن يتخذ من دونهم سترا من إنسان في عنوان ليعشقوه يوم يخنون إليه بالوجدان ليلاقوه يوم يتذكروه وقد حرموه، أو يذكروه وقد أكبروه، فجعل الله من أهل بيته عنه حجابا لهم ليقوموه فما عرفوه بل أنكروه ومحدوه. وبذلك كسبه المتأخرون مع سفنه، وفقده المتقدمون مع أنفسهم.

هذا هو عبد الله.. هذا هو رسول الله.. هذا هو الحق من الله.. هذا هو الوجه لله.. هذا هو القانون في الوجود.. هذا هو الحق في الشهود.. هذا هو المعنى في التداني والصعود.. هذا هو الفطرة للوجود.. بلا إله إلا الله، بها قام عبد الله، ومنها كان رسولا من الله، فكان للأرض والسموات وجه الحق من الله، به جاء الحق وزهق الباطل.

بهذا قام رسول الله، على مكث يتكاثر، وبجديد يقوم، وببيان يصدر، وبنداء مستمر يجهر، وفي قيام يتجدد لا يغيب، كوثر العبودية لله، ودوام العبد له، ومعنى الحياة فيه، في معنى العبودية له، نورا يمتد في ظلمات النفوس، لا يحتجب ولا يغيب، لكل قوم هاد أحواض رحمة الله، ونار مقدسة مشتعلة بالدفع والحياة، لا تحبو ولا تتخذ، نار الله الموقدة، بورك من فيه، وبورك من حوله، نفس الله المحذرة، قامت بشيرا للبشر، ونذيرا للظلام، محذرة من الغفلة والعدم. قامت وبعثت من غلبة فيوض حضرة الرحمة على موازين العدل منهما خلقت وبهما تخلقت وحققت، رحمانا وعبدا للرحمن، ورحيما وعبدا للرحيم، وحقا وعبدا للحق.

ذلك هو عبد الله، من عرفناه محمداً، ونعتناه ابن عبد الله، وهو عين عبد الله، نعم هو عبد الله، وابن عبد الله، وكم كان عبداً لله، وكم كان ابناً لعبد لله، وكم هو كائن ابناً لعبد لله، (ما أعطيته فلا أمتي)^٥، (من كان مني، كنت منه)^٦، من صارني صرته، من تواجدني تواجدته، لا فرق بيني وبينكم، ولا فرق بيني وبين ربي ورفيقي الأعلى، بي كنتم له عباد، وبما علمني كنت، وكنتم فيه في حضرة الرشاد، وكنتم معي في سبيله سبيلي، وكنتم معكم في سبيله سبيلكم، وبرحمته كنت فيكم رحمته، (أنا رحمة مهداة)^٧، ولكن يا حسرة على العباد ما يأتيهم من ذكر محدث إلا كانوا به يهزؤون، (أنا فرطكم على الحوض، يؤتى بأقوام أعرفهم ويعرفوني، ويؤخذ بهم دوني، فأقول أمتي أمتي، فيقال لي ما تدري يا محمد ما فعلوا بعدك، فأقول ما فعلوا بعدي فيقال لي أحدثوا بعدك، فأقول أنا بريء ممن أحدث بعدي)^٨. هكذا أنا معكم كنت، وهكذا معكم أكون، وهكذا في قديم قت، وهكذا في قادم أقوم، وهكذا أنا في كل حاضر قائم، ما عرفني غير ربي. بدأ الإسلام غرباً كلها بدأ ويعود غرباً كلها عاد.

إن الذي عرف أنه فرط قومه على الحوض قد كان في سبق في أمم وفي جمع، في رسالات قامها وعرفها وختمها فرطاً على الحوض. إن الذي عرف أن الناس أحدثوا بعده، أو يحدثون بعده، عرف أنهم في قديم أحدثوا بعده، وأنهم في قادم سيكونون على ما كانوا في قديم، وهو فيهم على قديمه قائم، مبعوث ليطمئن مكارم الأخلاق، وهو في قادمهم على ما هو في قائمه، لا يعرف إلا رحمة الله، ولا يقوم إلا بمكارم الخلق من الله، ولا ينطق بالتعريف إلا بالحق في صمد الله وصمد رسالته بدائم كوثر رسوله. (اللهم إني أعوذ بك أن أقول زوراً أو أن أغشى فجوراً أو أن أكون بك مغروراً)^٩. هكذا كان دعاؤه، وهكذا كان في الله رجاءه، فحقق الله له دعاءه، وأوصل إليه برحمته، وبغزته، وبقدرته، رجاءه.. فما نطق زوراً، وما فعل غروراً، وما زلت له قدم، وما أفلت له لسان، لا ينطق عن الهوى، فقد كان هو عين الوحي الموحى، وظاهر وحي يوحى، كان رسول الله.. كان عبد الله.. كان كل شرفه أنه عبد الله.. كان كل عمله أنه رسول الله.. كان كل خلقه رحمة الله.. كان قيامه كتاب الله.. كان علمه علم الله عن نفسه.. كان توحيده توحيداً لله لنفسه.. كان ذكره ذكر الله لنفسه.. تكلم نبياً، وتكلم عبداً موحياً إليه، وتكلم حقاً قائماً.. نطقه نطق الله، وعلمه علم الله، وكلامه كلام الله.

أظهره ربه على الدين كله، فكان بظاهره ظاهر الدين كله، وبغيبه غيب الدين كله، وبعلمه علم الدين كله، وبكتابته كل كتاب، وبإنسانه كل إنسان، وببيانه كل بيان، وبعنوانه كل عنوان، وبعبوديته كل عبد وكل العباد، وبرشاده كل رشد وكل الرشاد. كانت لا نهائية الله في لا نهائية عبده به، وفي لا نهائية علمه عنه، وفي لا نهائية رشده للناس به، في لا نهائية حكمته، ولا نهائية ظهوره، ولا نهائية بيانه، ونطقه،

وأثره، وسنته. في كل أمة جاء بلغة قومه ليبين لهم دين الفطرة، فنطق في الحكاء في مشارق الأرض ومغاربها، يقوم ويتقلب في الساجدين، وينطق ويظهر بالحكمة في العالمين، ويجدد طريقه في المعلمين، ويواصل رحمته في العاملين، فيمن كانوا بالرحمة على الناس قائمين، مدثرًا بالأجساد، متكاثرا بالأعجاء.

هل عرفنا عبد الله؟ هل عرفنا رسول الله؟ هل عرفه آبائنا؟ هل عرفه مجتمعنا؟ إن حررنا العقل وحكمناه، وصدقنا العقل وتابعناه، فقليل من العباد الشكور، وقليل وأقل منهم الذكور، ما عرف رسول الله بعد، وما شهد رسول الله بعد، وما أدرك الناس عن رسول الله بعد، إلا قلة ممن رحم، وقليل ما هم، في قوم جفوناهم وجافيناهم، ونعتناهم أهل المواجيد، وهم أهل الوجود والشهود، وهم أهل اليقين والمعرفة والكتاب والسجود، هم عترة رسوله، وهم صنو كتابه، وهم معالم بيته، وهم سفن ركبه، وهم نبرات صوته، وهم آذان سمعه، وهم يد فعله، وهم قدم سيره. هم فمه ولسانه، هم رحمته وجنانه، هم طلعتة وعنوانه، جافيناهم وجفوناهم، وفي المقابر ذكرناهم، ولقضاء الحاجات في مقابرهم قصدناهم، فنذرنا النذور، وضربنا الطبول، ورفعنا البيارق، وانتظرنا الخوارق. تجددوا فما أدركنا دوام التجدد، وغابوا وتواجدوا، فما أدركنا مواصلة التواجد، فما في أنفسنا ولا بين الأحياء طلبناهم، ولكن في دوام بين المقابر ذكرناهم، وبين الجيف قصدناهم، وقلنا نحن الأحباب في الله، ونحن الأخوة، ونحن الإخوان في الله، ونحن أبناء الطريق، ونحن نصب الإيمان، وما قصدنا في حاضرننا لنا عنوانا إلا من أهل البهتان، نعنون به موهوم الصدق ومزعوم العرفان، والحق بيننا في قيام، والبيان يدوي في قلوب أهل الوجدان من عباد الرحمن، فاخفى بيننا كل صادق من إنسان زكاه، واختال باسم التقوى كل إنسان دساها، في الجمع يقوم بالزور والبهتان، يجهل معنى الإنسان ويزعمه الإنسان، يجافي الرحمن ويطلب بجهله وباسمه الشيطان، يتابع الطاغوت باسم طاعة اللاهوت، ويجهل شرف الناسوت...

فما أدركوا ما تردد ألسنتهم من لفظ لا إله إلا الله، ولا ما تنطق شفاههم من لفظ محمد رسول الله، شهادة لا يشاهدونها لا في الله ولا في رسول الله، وأسماء لا يدركونها ولا يحسونها، ولكن ألفاظا بألسنتهم يلوكونها بعيدة عن لا إله إلا الله، وبعيدة عن محمد رسول الله، وبعيدة عن كل محمد لله، وبعيدة عن كل حق من إنسان الله، في حاضر الله وفي غيب الله، في قابل الله أو في قديم الله.

اللهم يا من جعلت من عبدك الحق لنا، وأنزلت عليه جديدا من الحق على قائم فيه بالحق رحمة بنا، وكثرته لنا حقا يتكاثر لدوام له في دوام لنا، وأوسعت عطاءه حقا يتناثر فضلا علينا، وجعلته بتكاثره في وحدته بمعناه مائدة السماء للأرض، وحوض الماء للحياة، جعلته ماء الحياة الطيب، ونهر الحياة الطيب لطيب الحياة من بحرك الوافر، ومحيطك الزاخر لا حد له ولا إحاطة به، اللهم يا من جعلت

المعرفة بك في القيام به والتعارف إلى النفس فيه، قياما بك وتعارفا عليك، اجمعنا عليه فينا بفضلك. اللهم يا من جعلت منه الرحمة يبذلها من بحارها كيف يشاء، ومن غير حساب منك عن فعل بها، وجعلته الرحمة بعينها، وجعلته رحمة مهداة منك بالنسبة لنا، وحقا قام علينا به بالنسبة لك.. اللهم به فارحمنا.. اللهم به فحققنا.. اللهم به فصلنا.. اللهم به فأوصلنا.. اللهم منه فاتصلنا.. اللهم اجعله لنا في الدنيا والآخرة فيك غايتنا في الدنيا والدين والعلم واليقين، نعرفه فنعرفك، ونشهده فنشهدك، نتوحده فتتوحدك، وقد جعلته نبي الأنبياء وقدوة الأولياء وشهيدا على الشهداء، كما جعلته لكل قوم هاد، ولكل عصر هاد على مكث يبين، قدوة دائمة متجددة متصورة للعالمين.

نتلاقى معنا، فتتلاقى به، فتتلاقى في لقاءه بك فنجددنا معك فنراه رحمة السموات والأرض، وعبدنا لك في خدمة أهل السموات والأرض دارا له لأنه عبد رحمتك لنا، السموات والأرض وما فيهما، أعدها عدا وتأتيه في طلبها لك فردا وعبدنا، لأنه عبد لانهائك لرفيق أعلى في دوام وفي سلام. اللهم يا من به عرفناك وقدرناك، وبالعظمة أكبرناك، وبالعجز أدركناك.. اللهم به فارحمنا.. اللهم به فأحينا.. اللهم به فابعثنا.. اللهم به فوفقنا، ويسر فيك أمورنا حكما ومحكومين، وأنزل به سكينتك على قلوبنا، والسلام والسلام على أرضنا.

أضواء على الطريق

حاول أحد الأعضاء لدائرة روحية مقارنة تقدم المعرفة الروحية بالنمو الروحي في الديانات القديمة، فنصح السيد الروح المرشد (برش) بعدم عقد مثل هذه المقارنة قائلا: (حقا لقد انطلق من عالمي منذ مائة سنة تقريبا بحساب زمنكم مجهود منظم بناء على خطة موضوعة بكل ما فيها من تفاصيل، واستقر العزم على أن الحق الروحي قد جاء هذه المرة لأجل أن يبقى. ولا توجد قوة على الأرض في استطاعتها أن تمنعه.

لقد نجحنا.. ولكن يجب أن نتذكروا أننا لا نفكر في الروحية كشيء يمكن مقارنته بالديانات الأخرى. إنها بالنسبة لنا قانون الكون الطبيعي. إنها ليست تعاليمًا تبلور وتصاغ في مواد ثابتة تطاع. وما كانت الديانات القديمة سوى وسيلة للتعبير عن القانون الطبيعي. لكل زعيم ملهم جاءت الرؤيا والإلهام وفهم القانون الطبيعي فتصرف على حسب العصر الذي عاش فيه. وكما تلقاها النبي نقلها لمن كان لديهم استعداد للقبول.

كان ذلك جزءا من الحق ثم أصبح هذا الجزء للأسف محملا فوق طاقته، فلم يستطع الحق البسيط أن يبقى على فطرته وجماله، لقد غدا مزيجا بما أضيف إليه من الأساطير اللاهوتية، والتجارب الدينية،

والتقاليد الموروثة حتى اندثر كلية ما يتعلق بالروح العظيم، وظهرت الحاجة من جديد لبعث وإحياء ما دفنه الإنسان.

إن كل ديانات الماضي - بدون استثناء - جزء من نفس ذلك الإلهام الذي يصل إلى عالمكم اليوم. ومن الصعب الموازنة بين الواحدة والأخرى لأنها جميعا مظاهر للحق. والظروف الآن قد تغيرت).

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ حديث شريف ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكثاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".
- ٢ من الحديث الشريف: (مَتَى أَلْقَى أَحَبَّائِي؟)، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: بِأَيِّنَا أَنْتَ وَأَمِنَّا أَوْلَسْنَا أَحَبَّابَكَ؟، فَقَالَ: (أَنْتُمْ أَصْحَابِي، أَحَبَّائِي قَوْمٌ لَمْ يَرُونِي وَآمَنُوا بِي، وَأَنَا إِلَيْهِمْ بِالْأَشْوَاقِ لَأَكْثَرُ. رواه أبو الشيخ الأصبهاني في " ثواب الأعمال"، كما في " كنز العمال"، والقشيري في " الرسالة"، والديلمي في " الفردوس".
- ٣ حديث شريف من حديث أبي جمعة - رضي الله عنه - قال: "تغدينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، فقال: يا رسول الله، أحد منا خير منا؟ أسلطنا وجاهدنا معك، قال: نعم، قوم يكونون من بعدكم، يؤمنون بي ولم يروني". رواه الدارمي وأحمد والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وإسناد الدارمي. وعبارة "لهم من الله ما لي" عبارة يذكرها السيد رافع أحيانا مع هذا الحديث الشريف.
- ٤ من الحديث الشريف: (مَتَى أَلْقَى أَحَبَّائِي؟)، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: بِأَيِّنَا أَنْتَ وَأَمِنَّا أَوْلَسْنَا أَحَبَّابَكَ؟، فَقَالَ: (أَنْتُمْ أَصْحَابِي، أَحَبَّائِي قَوْمٌ لَمْ يَرُونِي وَآمَنُوا بِي، وَأَنَا إِلَيْهِمْ بِالْأَشْوَاقِ لَأَكْثَرُ. رواه أبو الشيخ الأصبهاني في " ثواب الأعمال"، كما في " كنز العمال"، والقشيري في " الرسالة"، والديلمي في " الفردوس".
- ٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٦ إشارة إلى معنى جاء في أحاديث شريفة متعددة: "إن عليا مني وأنا منه". رواه الترمذي والنسائي في السنن الكبرى. و" حسين مني وأنا منه". أخرجه الترمذي وابن ماجه، وأحمد باختلاف يسير. أيضا: في حق جليبيب لما استشهد بعد قتله سبعة من المشركين، فقال صلى الله عليه وسلم: هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه. رواه مسلم.
- ٧ حديث شريف: "إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَهْدَاةٌ". أخرجه ابن سعد والحكيم والحاكم.
- ٨ حديث شريف: "أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا لِيَرُدَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يَحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سَخَقًا سَخَقًا لِمَنْ بَدَلَ بَعْدِي". أخرجه مسلم، والبخاري في صحيحه.
- ٩ دعاء مأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر في كتاب "بحار الأنوار" من المكتبة الشيعية.

(٢٤)

آدمان لإنسان حقان ووجهان للعنوان الأزل والأبد بهما يجتمعان في قائم لا إله إلا الله

حديث الجمعة

١٠ رجب ١٣٨٢ هـ - ٧ ديسمبر ١٩٦٢ م

لبنتان

لبنة أتمت بنيانا، ولبنة بدأت بنيانا

لبنة أتمت بناءً لبيت مرفوع، ولبنة بدأت بناءً لبيت موضوع.

فكانت اللبنة التي أتمت بناء البيت المرفوع، هي وجه البيت المرفوع، وكانت اللبنة التي بدأت بناء البيت الموضوع، هي وجه هذا البيت الموضوع.

وإن شئت فقل

كلمتان

كلمة تمت بقية إنسان، وكلمة بدأت بداية إنسان.

وإن شئت فقل

عصران

عصر تجمع فيه الأزل وأطل بوجهه، وعصر تجمع فيه الأبد وأشرق بوجهه.

وإن شئت فقل

حقان

لوجهي إنسان الحقيقة ينظر وجه أزل لوجه أبده، الناس فيهما بين يدي رحمته.

تاجيا، وتواصيا، وتقابلا، فكانت الكلمة الملقية، خاتم نبين، وكانت الكلمة المتلقية، أول عابدين، فكان خاتم النبيين نبيآ وآدم بين الماء والطين. صدق رسول الله، واستقام عبد الله، وتلاقي عبد الرحمن، وجهها لوجه مع عبد الإحسان، فكانا في البشرية، ومن البشرية، وللبشرية.

رجلان

مثلا للناس مظهرا للإنسان في الحق المعلم، والحق المتعلم.

بهما ظهر الحق للناس، مبشرا أن الناس من الإنسان، والإنسان من الله، بين معلم ومتعلم، بين خبير بالرحمن وطالب للرحمة، بين حق من أزل الإنسان وطالب للحياة في أبد الإنسان، بين حق وملئه يصل إنسانا وملأه، ليتواجد منه بمعناه في معنى الحق ومعنى الإنسان.

بذلك قام المحمدان، واستقام العليان، وتواجد على الأرض الخليلان، والأبوان، والكلمتان، والقدسان، والروحان، والهاديان، والمهديان، فكان محمد تمام إنسان بآدم، وعليّ بداية إنسان بآدم، فتجدد بهما للإنسانية الآدمان، فتلاقي العبدان في وجه بالحق ناضر مع وجه مشرق بالحق ظاهر، ناظر ومنظور، فتلاقي وجهها الحقيقة من الأزل والأبد في وجهين من الحقائق، في مظهرين من الخلائق، فكان محمد وجهها للأب وقد آب معه، وكان عليّ له ابنا ووجهها للأب، به يعود يوم يؤوب يوما، وهو في طريقه للإياب دوما.

هكذا كانا على ما بلغنا وعلى ما علّنا، وعلى ما شهدنا، وعلى ما آمننا، مظهرا لأزلي الإنسان في قائم الإنسان، فكان بهما على ما كانا بشري الأزل للإنسان في قائمه بجديد في أبد الإنسان، لا يختلف فيه جديده عن قديمه، ولا قديمه وجديده عن قائمه، آدم قبل آدم يوصل ويدرك ربا ورفيقا أعلى، وآدم بعد آدم ينتظر ليشهد ويدرك ويقوم الناس فيه به ربا ورفيقا أعلى، وآدم في حاضر آدم يدرك وينشد ويبعث الناس به فيه ربا ورفيقا أعلى.

هكذا عرّف القرآن معنى آدم لأبنائه، وهكذا عنون العليان وقام المحمدان ولدان لآدم، وآدمان لآدم في أبناء آدم، بشري لأبناء آدم، وإنذارا لأبناء آدم، وقياما لأبناء آدم، وتحقيقا لأبناء آدم، وخلقا لأبناء آدم، وتماما لكلمات آدم، فكرم بذلك أبناء آدم، وتكنز عن أبنائه آدم ليقوم عليهم من وراء حجاب، ويؤوب في دوام في الأبناء، فتم بذلك الأبناء واختفى الأنبياء، فالكل له أبناء وهو عند تلبية كل دعاء.

لقد كان محمد كما عرّف، من حيث ذاته وخلقه، لبنة هي تمام لبنات بيت النبوة من آدم في تجدده، ألم يقل لنا (وما مثلي ومثل الأنبياء من قبلي إلا كبناء تم لم تنقصه إلا لبنة، فكل من رآه قال ما أجمل البناء لولا نقص هذه اللبنة، أنا لبنة البناء)^١. (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^٢، (نزلت البسملة على كل نبي من قبلي ورفعت معه إلا أنا فقد أعطيتها لي ولأمتي)^٣، (أفضل ما جئت به أنا والنبيون من قبلي هو ما جئتكم به لا إله إلا الله)^٤، (يا عليّ أما يرضيك أن تكون أنت أخي)^٥، (إنك مني بمنزلة هارون من موسى)^٦، (أنا مدينة العلم، ويا عليّ أنت بابها)^٧، ويا أمتي (من كنت مولاه، فعلي مولاه)^٨. (فتحت لعلّي ألف باب من العلم، وسألت الله أن يفتح له ألف باب ففعل)^٩، إنه بينكم عترة كتابي وصنوه، وأول عترتي وبيتها، تركت به وبكأبي الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لا تضلون أبداً، فإنهما لا يفترقان أبداً. خال محمد عليّاً كما خال محمد ربه، فكان محمد وره خيلان، وكان عليّ ومحمد خيلان في الأعلى.

بهذا كله جاء الهدي من الله {وخلقناكم أزواجاً}^{١٠}، {ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة}^{١١}، وبه جاء هدي الرسول إنذاراً وبشرى من الله (ما أعطيته فلا أمتي)^{١٢}، {فاتبعوني يحببكم الله}^{١٣}، {رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين}^{١٤}. فماذا كان من الناس؟ وماذا كان من قومه؟ وماذا كان من السلف من صالح وطالح في السابقين واللاحقين؟ هل كان لشيء من هذا بينهم موضع؟ وهل كان منهم إليهم في أمرهم مرجع؟ هل استقام الناس على ما قومهم به رسول الله وعبد الله قولاً وفعلاً؟ هل استقام الناس على ما جاءهم به كتاب الله، وحديث الله، وأمر الله ونهي الله، أم أنهم أخذوا ما أَرْضَى أنفسهم وما حقق شهواتهم، وتركوا ما ثقل على نفوسهم، فإن أدركته عقولهم أولوه إلى ما يرضي نفوسهم وحكامهم ومن أكبروا من بينهم، حرصاً على شهواتهم، ألا ينقطع مزيدها، وألا يتوقف عديدها وأن لا يتعطل مديدها؟

كان الناس، والناس على ما هم، والناس سيبقون على ما بهم مما كانوا ما بين سائق وشهيد، عليهم حافظ من أمر الله، ولهم دافع بقدرة الله وبحكمة الله، ولكن الإنسان من الناس لربه من الإنسان لكنود، خلق من نطفة فإذا هو خصيم عنيذ، وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً، خلق من عجل، وما زال عجولاً، لا يصبر على تواصي بحق، تراه هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً، ولا يسكن مع إدراك الحكمة إذا مسه الخير منوعاً، يدفع إلى الحق والخير دفعاً بسائق إليه، ويحفظ من نفسه بقدرة الله الحافظة حتى لا تطغى نفسه بالهلاك عليه. {إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا}^{١٥}، وما السموات والأرض بيد الله إلا إنسانيته، الإنسان في قبضته، وما السموات والأرض إلا الأكبر من خلق الناس لو كانوا يعلمون. فالناس بحاضرهم نواة خلق السموات والأرض في كبير تطورهم إلى خلقهم

الأكبر، والناس بحاضرهم ثمرة السموات والأرض في جديد وبدء أنانية تواجدهم. خلق الله السموات والأرض دارا وذاتا للإنسان، يتواجد بها، ويسكنها، ويستمتعها، وينشئها، ويهدمها، ويجدد بها، يزيلها ويفنيها، ويبعثها ويخلقها، وله يحققها إذ يتواجد بها، فيبقىها.

خلق الله الإنسان لنفسه، يفعل به، ما يفعل الإنسان بداره من السموات والأرض. جعل من الإنسان دارا له، ومكانية له، وزمانا له، وظهورا له. ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان، وما برز الله في شيء مثل بروزه بالإنسان، وما تعارف لكائن تعارفه للإنسان، جعل منه عليه عنوانا، قائما على كل نفس بإنسان عنوانه، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، لها ما كسبت بكرمه ورحمته، وعليها ما اكتسبت بعدله وحكمته. جعل نهاية معرفة الإنسان عن منشوده ومطلوبه من العلم عن ربه، أن ينعكس إليه ويرتد إليه البصر فيحيط بما جعل الله فيه من أمره.

لا إله إلا الله، ولا حياه بها إلا بالإنسان في الإنسان. لا إله إلا الله كل الإنسان، والإنسان كل الأشياء والأسماء، ولكن ليس الإنسان كل لا إله إلا الله. الإنسان في لا إله إلا الله بأحدثتها تقومه، ولا إله إلا الله في الإنسان بعلمه يقومها. الإنسان لا إله إلا الله وجه يتعدد، ولا إله إلا الله للإنسان كل لا يتحدد. لا إله إلا الله كل الحق، كل الحقيقة، كل الله الذي لا يتعدد في كل لانهائي لا يحاط به، ولا يدرك مداه، ولكنه يعرف في الإنسان للإنسان. الإنسان له كتاب وعنه حجاب، ومنه معنى كلمته، ما قبل ظهوره وذكره.. ما قبل مذكوره ومعروفه. ما عرف الإنسان نفسه بوجهته في قديمه وقائمه عن وحدته بجديده وقادمه، وما قدر العقل معنى الإنسان من الله، وما قدر الله عنده حق قدره بعقله لنفسه ومبناه.

إذا قيل الأزلي، فإنما الأزلي فيه هو الإنسان، أما رب الإنسان فلا أزل له. وإن قيل الأبدي، فإنما الأبدي فيه هو الإنسان، أما رب الإنسان فلا أبد له.. وإن قيل السرمد، فإنما السرمد في فيه هو الإنسان، أما رب الإنسان فلا سرمد له. ربه عنده قبل الأزل وأزل الآزال بالإنسان، وبعد الأبد وأبد الآباد بالإنسان، وفوق السرمد فهو الخالق والمخلوق في الإنسان.

الإنسان هو الذي يعرف معنى الله، أو الحقيقة لأنه معناها بدوامه وهي معناه في حال قيامه. ويعجز عن التعبير عما يقوم من معنى الله لجهله بنفسه، كما يعجز عن الظهور بما يشرف به بالله في قائم الله لأنه لا يتواجد مستقلا عن لانهايه. إن الإنسان عرف الله في معرفته لعجزه عن معرفة نفسه، وقدر الله حق قدره في عجزه عن تقديره لنفسه، ويدرك الله عنده كلما أدرك أو زاد في إدراكه لنفسه، يوم يعرف معناه في الوجود، ويوم يحترم مبناه للتواجد، ويوم يجدد في دوام داره للحياة بترقي معناه في معنى الإنسان في إنسان الله، ويجدد وجوده في موجود الوجود لا يتوقف جديده ولا يحى قديمه.

إن الإنسان يوم ينعكس إلى نفسه، فيدرك ما تكون، ويعلم ما كانت، ويعرف ما إليه تصير، فيراها في بدء غير مفارق لوصفه فيما كانت، وفيما هي كائنة، وفيما لها سيكون مجال العدم، تواجدت باسم الوجود، وأنها إلى معنى الوجود الحق تسير لتصير، وأنها في حاضرها لا تخلو من معنى من معاني الحق به تقوم، يلزمها من العدم إلى اللانهاية هو معنى الإنسان بمعروف عنها، ومعروف لها، ومعروف عندها أدركه معناه في قيامها، فعرف أن غايته في الله لا تتوقف، لا ولا تتحقق، وأنها إن تحققت فقد خاب أملها، وانعدم رجاءها. إنه يجب أن يكون في حال مستقبله لعطاء غير مجذوذ، من معرفه به ومجهوله عنه ومنشوده له.

بهذا جاء محمد، وبه أتم الله دينه لكل متدين ولكل طالب للدين، به قام أمر الله على صدق وعلى إيمان وعلى يقين، به انتظم الكون يتجدد في نظامه بشقيه من ظاهر الحياة ودنياها، وباطن الحياة ودنياها، على ما كان في قديم لها باستقامته لا تختل موازينها في ربط أحوالها، حتى يعرف الناس في دنيا قيامهم وفي أخرى مواصلتهم وحدتهم في الله وقيامهم في الله، فتجتمع الأشباح من ظاهرهم على الأرواح من باطنهم، وبذلك يتواجد الروح في المادة فتحي المادة بالروح، ويتجدد آدم الأرواح في كوثر من دثار بإحياء أديم الأرض بعد موتها في أشباح أبنائها يمشون عليها محتالين. يحيي الله الأرض بعد موتها إذ ينزل عليها ماء الحياة من أبواب السماء، ويفتح لها عيون الماء من أرض الرجاء، فيلتي ماء الأرض على ماء السماء في أشباح إنسانيتها، رحمة من الله من وراء الكل بإحاطته وفوق الكل بقيومه، فيرى الناس أنهم بفردهم وعلى ما هم بجمعهم، إنما هم دائماً بين سائق وشهيد من أمره ومن حكمته، فيدرك الناس بحاضرهم أن الله أقرب إليهم من حبل الوريد، ويؤمن الناس في قيامهم أن الله قائم على كل نفس بما كسبت، يعرف الناس أنفسهم ويعرف الناس نفوسهم، يعرفون ما قدمت أنفسهم وما أخرت في قائم أمرهم، فيدور رشادهم وصلاحتهم على أساس مما عرفوا لا تنقطع عنهم رحمة الله، ولا يغنيهم بعضهم بعضاً من الناس من الله عما كان لهم من أمره إليهم لقيام الحق بهم. يأسفون على ما فاتهم، وينتظرون في رجاء لما يأتيهم مما فاتهم، فينتظرون، وتتجدد فيهم الهمم فيساقون، وتواصلهم رحمة الله من كلمات الله ومن قضاء أمر الله لهم في أمرهم، فيحفظون من أنفسهم، ويطلب إليهم أنهم ما فاتهم يعوضون بعمل من أنفسهم به يقومون، مثقال ذرة من خير يرون وينعمون، ومثقال ذرة من شر يعملون ويألمون.. لا يسوفون الله، ولا يسوفون أمر الله، ولا يسوفون قيام الله القائم على كل نفس، ولا يسوفون قيامة الله من سفور قيامه على أنفسهم، بكشف الغطاء لهم ووضع الأوزار عنهم، ولا يسوفون حشر الله القائم الدائم مع كل قائم به جامع عليه، ولا يسوفون ساعة الله لهم في ساعة الحياة على أرض رحمته وهي لحظة الحياة في سرمدى أنفسهم بهذا القيام الفطري، ويعلمون أنهم بأنفسهم أنفسهم يحاسبون على دوام في دائم قيام من داني الحياة بدنياهم،

أو في آخرة دنياهم بدنيا حياة لأخراهم، وعلى قائم من دائم أمره إلى الله في أنفسهم يرجعون، وفي أمر أنفسهم لا يفرطون، وربهم بين جوانحهم يسألون ويراقبون، وله يستغفرون، ولأمره بالطاعات يراقبون، ولنظره إليهم بالمعاصي يحذرون، وعن كل منهي عنه يبتعدون، وفي كل مأمور به يقومون، وفي كل طريق يشهدونها أبوابه يترقون، ونداء الله كلما سمعوا أذانا يلبون، وبيت الله في أنفسهم، كلما وجدوا بناءً، يجددون، لبنات له وبناءً لهم يتجمعون، المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، كل المسلم على المسلم حرام نفسه وعرضه وماله، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته. أشهدوه يقوم ويتقلب في الساجدين على دوام أمره، في دوام أمركم، في دوام أمر الله. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم يا من لا إله إلا هو غيب المشهود، يا من أعطيت كل شيء خلقه، ووفيته منك هديه ليُعرف الموجود للموجود بالموجود، يا من أحييت الضمائر في ذليل النفوس، ويا من أنرت العقول في مفتقر الذوات، ويا من جددت الذوات بالحياة ليتعارف القديم للجديد، ويا من قتت على كل نفس واسعا حكيماً.. اللهم بحمد فارحناء، وبحمد فاقبلنا، وبحمد فجددنا، اللهم بحمد أوصلنا، وإلى محمد أرجعنا، اللهم خذ بنواصينا إلى الخير حكماً ومحكوماً، رواداً ومرودين، اللهم انصرنا على أنفسنا حكماً ومحكوماً. اللهم سدد خطانا حكماً ومحكوماً، اللهم اكشف حجاب الغفلة عنا حكماً ومحكوماً، وخذ بنواصينا إلى الخير حكماً ومحكوماً. اللهم ادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم. اللهم أعل كلمة الحق والدين، وانشر رحمتك على المؤمنين بالمؤمنين، وعمم رحمتك بمن جعلته رحمة منك في العالمين، وأنزل السكينة على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا برسول رحمتك يا رب العالمين.

أضواء على الطريق

السيد الروح المرشد برش يتحدث عن محترفي الدين: (لقد عملنا مدة قرن تقريباً لكي نأتي لعالمكم بهذه المثل العليا المؤسسة على الحقائق الروحية التي يجب أن تعيش لأنها هي أساس الأمر الجديد الذي يقام فيما بينكم. لقد قاومنا وحاربنا المعارضة والعداء والخصام من هؤلاء الذين كان يجب أن يكونوا حلفاءنا الكبار.

وبدلاً من أن يستقبل هؤلاء الذين يرغبون بتعليم أتباعهم الأمور الدينية، هذا الحق العظيم، بالأذرع المفتوحة، شهِروا بنا بكلمات الحقد خائنين كل المبادئ التي طالما أعلنوا أنها جاءت من مؤسس دينهم. إنهم لم يظهروا حبا ولا تسامحاً. لقد وصفونا فعلاً بأننا رسل الشيطان، واتهمونا بأننا ملائكة

الظلام نحاول متكررين بأن نغوي الإنسان عن طرق الاستقامة إلى الأعمال السيئة، إلى كبائر الرذائل والأنانية.

زعمنا من هذه المعارضة المرة فالحقائق التي نقف من أجلها الآن تحيط بنطاق عالمكم، ولقد نكصت القوى التي عارضتها على عقبيها. إننا نرفض شريعتهم وتعاليمهم. إننا نرفض أن تحل بعالمكم - كما يزعمون - لعنة من الروح العظيم الذي هو خلاصة الحب والعدل والرحمة والحكمة. نرفض أن تكون هناك ضريبة دم قاسية ضرورية لتهدة غيظ الروح العظيم، نستكر وجود أي تدخل مهما كان مع القانون الطبيعي. ونكفر بكل أساس علمهم اللاهوتي الذي أرجع عقارب ساعة تقدم الإنسان إلى الوراء، وعارض كل اكتشاف، وكل اختراع، وكل نجاح لم يوافق أفقهم الضيق.

وبدلاً من ذلك نحن نعلن أن الوحي مطرد التقدم، وأن كل معلم إنما يرتشف قليلاً من خزان الحكمة الإلهية الأبدي).

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ إشارة إلى الحديث الشريف: "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة، قال فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين." أخرجه البخاري ومسلم
- ٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) أخرجه أحمد والبخاري، والبخاري باختلاف يسير.
- ٣ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.
- ٤ من الحديث الشريف: "أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلتُ أنا والنبيون من قبل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له." أخرجه مالك في الموطأ، والبيهقي.
- ٥ إشارة إلى حديث شريف حين آخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أصحابه بعد الهجرة، فقال لسيدنا علي: "أنت أخي في الدنيا والآخرة." أخرجه الترمذي، وابن عدي، والحاكم، كما الحديث الشريف: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي." صحيح مسلم وصحيح البخاري.
- ٦ حديث شريف جاء في أكثر من صياغة: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى. صحيح البخاري. - "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي." أخرجه النسائي.
- ٧ حديث شريف: "أنا مدينة العلم، وعليٌّ بأبها، فمن أراد العلم فليأتته من بابي." المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم..

- ٨ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بيدِ عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَى قَالَ فَهَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٩ استلهاما من مقولة للإمام علي بن أبي طالب: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) عَلَّمَنِي أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كُلُّ بَابٍ مِنْهَا يَفْتَحُ أَلْفَ بَابٍ، فَذَلِكَ أَلْفُ أَلْفِ بَابٍ حَتَّى عَلِمْتُ عِلْمَ الْمَنَآيَا وَالْبَلَايَا وَفَصَلَ الْخُطَابِ (موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ - محمد الريشهري - ج ١٠
- ١٠ سورة النبأ - ٨.
- ١١ سورة لقمان - ٢٨
- ١٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٣ سورة آل عمران - ٣١
- ١٤ سورة الأنبياء - ٨٩
- ١٥ سورة فاطر - ٤١

(٢٥)

إنسان الوجود يوم يتواجد بنفسه لنفسه في لانهائي معناه بالحياة

حديث الجمعة

١٧ رجب ١٣٨٢ هـ - ١٤ ديسمبر ١٩٦٢ م

كيف يتكلم من يرى أن من يسمعه إنما هو المتكلم منه؟ وكيف يسمع من يرى أن محدثه إنما هو المتحدث فيه؟ وكيف يشهد من يشاهد في الوجود مرآة وجوده، وفي وجوده مرآة الوجود؟ وكيف يعلم من يعلم أن كل علم إنما هو في العلم عنه، وأن كل معلوم إنما هو معلومه فيه؟

ولكنه يتكلم.. ولكنه ينظر.. ولكنه يسمع.. إن الكلام للسانه على كل لسان به، وإن السمع لأذنه بكل أذن له، وإن النظر لعينه بكل عين فيه. ذلك إنسان كلمة الله تتم وتوفى، منه بدأت حياة وجود بإنسان، وفيه تتطور حياة كل بشر لصيرورته كلمة وإنسانا في روح الحياة الأعظم اللانهائي وهو الله، وإلى صيرورته يسير التطور للتواجد بالحياة، ومنها يبدأ كتاب الوجود بالرشاد والحكمة.

ذلك هو إنسان الوجود. ذلك هو الإنسان يوم يتصف الكائن البشري بوصف الإنسان في معراجه إلى الحقيقة تقومه ويقومها، إليها ينتهي وصف الخلق له ومنها يتبدئ وصف الحق به، فيكون الصمت عنده نهاية الحديث، ويكون انعكاس بصره في بصيرته نهاية الرؤية، وتكون السكينة دون فكر نهاية المعرفة، ويكون الهدوء والحمول نهاية الحركة. ذلك هو الإنسان الذي يستوي عنده ويستوي فيه العلم والجهل، والنور والظلام، والطاعة والمعصية، والحياة والموت. ذلك هو إنسان الحق، وحقيقة الإنسان منه وبه الرسالة ونداء الحق، وإلى حضرته المآل باليقين والحياة.

إن الإنسان الذي لا يعرف له بدءًا، ولا يعقل له انتهاء، والذي يقوم في الأرض من الأرض، والذي يقوم في السماء من السماء، والذي يتواجد من الظلام في الظلام، ويتواجد من النور في النور، الإنسان الذي يصف مظاهره بالملائكة والجنان، ويصف جواهره بالرحيم والرحمن، ويصف حجه

بسرابيله من المقارب بالعبيد والشيطان، إنما هو جماع الصور، وجماع الأشياء، وجماع الجواهر، وجماع المعاني، في أي صورة ما شاء ركه إنسان معناه من سماه من جلباب عبوديته بمولاه.

إن الإنسان بظاهره لنفسه عبد بطبقاته لرب يرعاه ويعلمه ويحيطه ويعلمه. يغيب عنه كنهه وقديمه فيسميه إلها في غيبه عنه، ويظهر له من غيبه فيدانيه متواجدا له به فيه، فيعرفه الروح والنور والحقيقة نتقدم إليه لتهديه، وتأخذ في طريق الخير بنواصيه. ويصعد إليه الغيب من تحت قدميه للتواجد به له فيه عبدا وحقا يدانيه على ما يدانيه الغيب يعتليه من فوق رأسه برأسه يعتليه، فيعرف أن ما فوقه وما تحته قائم فيه، وإنما هي له حقائق وأمور أبداه له مبديه، وأنه هو حيث هو بين يدي رحمة من يرعاه ومحل عناية من يتولاه، وأنه في مظهره ظهور لمن يحيط به ويفنيه لبقية، فيراه له عبدا هو مولاه، يدانيه الغيب ربا له هو معناه يدانيه من حوله للتواجد به في قلبه، ومن قلبه يطويه، وينتشر فيمن يتواجد حوله ليفنيه ويبقيه فيعلمه رسول ربه لمعانيه.

إن البشرية على هذه الأرض، مظهر من مظاهر الإنسانية، أمة وسطا بين ما فوقها وما دونها، وبين ما قبلها وما بعدها من الإنسانية وعوالمها في طبقاتها، وبين طريق اليمين وطريق اليسار لها في قائمها إذا ما اتصفت بواقع فيها الطريق، وبين قيود الذات بكثافتها وبين انطلاقها بلطيفها ما تواجد السلوك. هذه البشرية ناشئة إنسانية الليل، تنزل الملائكة والروح فيها، ويجمع النور على النار فيها، ويتحجب النور والنار في جلايب ظلامها وتراها في وحدة من قيام وأحدية من معنى لإنسان، ومنها يظهر الإنسان من غيبه فيشرق النور كائنات واعية خالدة، وتشعل النار كائنات حية قوية مباركة، وتنشأ وتحترق الشجرة في دوام فتواجد النار، ويتواجد النور، وتتواجد الروح، ثم تتحقق الروح فتحمل اسم الله، وتُعرف بذكر الله، فتعود إلى بيئته نشأتها بأناسها في جلباب بمعناها، عبدا لمطلقها. إن لله عبدا يذكر اسم الله بذكر أسمائهم، ويعرف الله في معرفة حقائقهم، يمشون على الأرض هونا يسالمون ويعلمون ويفيضون ويجمعون عليهم الناس، ويفرقون بين المؤمنين بالحق في أنفسهم والكافرين بالحق في أنفسهم على صخرة قيامهم. ذلك هم الآباء وإياهم للأبناء.

إن إنسان هذه البشرية خصه الله بالكثير إذ جعله موضع بلائه، وابتلائه، وعطائه، ورحمته، وجزائه. إن فرصتنا الذهبية، إنما هي في كسبنا لما هو بنا قائم في هذه الحياة البشرية، أو لما هو بنا يقوم في هذه الحياة البشرية، أو لما يمكن أن يصح أن يقوم ويتواجد ونحن في هذه الحياة البشرية. فهل نحن على حياتنا حريصين؟ وهل نحن على الانتفاع بهذه الحياة جد عاملين؟

كل مولود يولد على الفطرة، فهل نكسبها أم أن أبوانا يهوداننا أو ينصراننا أو مجساننا؟ إنكم في موالدكم الفطرية هذه يمكنكم أن تبدأوا بمولدكم الفطري هذا بدءاً مستقيماً جدياً تواصلونه في أبد، فقد لا تنهياً لكم هذه الفرصة ثانية. وذلك يوم تشعرون بالافتقار إلى الحق في أنفسكم، ويوم تتحرك قلوبكم إلى الشوق إليه والحب له، فتفتقرون إلى المعلم، إكباراً للحق، فتجدونه معكم ومن بينكم رائداً وخادماً يغذيكم من روحه، أو تجدونه روحاً معلماً مقارباً بوسيط له عن طريق علاقتكم بهما أو بأحدهما، يدانيكم الحق بقربه، ويخالطكم بلطفه، ويقومكم بلطفه، فتدب الحياة في أرض قلوبكم من ذواتكم، بعد موتها عنها إلى معنى الأرض الطيبة داراً له في شعوركم بافتقارها للحياة به، فيكشف الغطاء عن بصائرهم لبصرهم فتبصرون معانيكم بالتواجد في الوجود في مرآة لكم منكم، وتسمعون نشيد الوجود بالحياة لكم ترحيباً بكم، فتؤذنون للصلاة قامت بكم ترنماً منكم، وتنادون للبحج رفعت الستر عن عرفاته تقرباً إليكم، في معنى الإنسان لكم في معناكم.

قد نتواجدون على هذه الأرض المرة بعد المرة، ولكن قد لا يتهيأ لكم حظ الاجتماع على المعلم لعدم قيام ضرورته عندكم في سابق حيواتكم بدونه. فقيام الشعور بالافتقار إليه والإيمان بضرورته قد يكون حصيلتكم اليوم لحياة لاحقة تثمر حظ الاجتماع عليه. فإن حرصتم على ضرورة المعنى لكم في الاجتماع على المعلم بينكم، وعملتم لذلك بمجاهدة أنفسكم في حدود ما بين أيديكم من كتب السماء، فقد تكفل روح الحياة العظيم بجمعكم عليه في عاجل الحياة ما صدقتم. {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}¹ بذلك تكون هذه الكرة من مولد في موالد بالفطرة كرة غير خاسرة، وإلا جاء الموت بالحق المنكر عندكم وعرفتم يومئذ {تلك إذن كرة خاسرة}².

هذا ما جعله الله لمحمد ذاتاً وبيتاً وأمة وجعل به قدوة لكم، على ذلك قامت رسالته، وما جاهد محمد ليكون في حيوات متعددة له من قبل وبعد ذاته معلومة لكم، وجعل الله في جهاده إليه أسوة لكم، وبه قامت طريقه طريقاً لربه وإليه منكم، وما قامه محمد بينكم بكتابته وسنته وجعل الله فيه بشرى لكم، وما تكاثر به محمد بينكم من أنفسكم بعترته وجعل الله فيه يسراً ورحمة بكم. وهذا ما جهله الآباء، وتابعهم على جهلهم به الأبناء إلا من رحم حتى يومنا هذا، فعم الظلام وتفاحش الخصام حتى ضج الملاء الأعلى لما يشهد على أرض السلام. وها نحن في يومنا هذا، أو عصرنا هذا، يتجدد بيننا نداء السماء، وهدى السماء، وصوت السماء، ويد السماء وقرب السماء مرة أخرى، فنضع أصابعنا في آذاننا حذر الموت كما فعل آباء من قبل، وكما يفعل عالم المادة دائماً كلما استمع لنداء الروح. وها نحن نزعم أننا على أمة وأننا على آثار آباء لنا نسير، نكبر أحلامهم، ونقوم القديم بهم، ولا نتشكك في أحلامهم ولا في استقامة أمرهم، على ما طلب لمن قبلهم رعاية من الله لهم أن يتشككوا في أحلام

آبائهم. إن الدين لم يجعل في متابعة أبناء المادة لآباء المادة على ما هم من المادة. وإن ذكر الدين الآباء عند الأبناء فما ذكر إلا من تخلصوا من وزر المادة وتوفاهم الله بالموت عنها إلى الحياة به، فنادى الأبناء الآباء متحررين من مادتهم بمعاني الحق لهم إنسان رحمة الله، (أبانا الذي في السماوات)^٣، فلم يجعل من الدين في شيء رباط المادة بالمادة في حياة المادة وأهداف المادة، وإن تراصت المادة فقوالب لقلب يقوم نعرفه من عنوان على قلب وبيت لله بالإنسان. ولكن الدين جعل في يقظة العقل ليدرك ما كان عليه الآباء من المادة من خطأ أو من صواب، فيأخذ صوابهم ويترك أخطاءهم. إن الدين لا يعرف المتابعة العمياء، ولكن يعرف المتابعة على بصيرة، يعرف اليقظة، يعرف صحو الضمير، يعرف إشراق العقل، يعرف انطلاق الروح من سجن الذات. الدين لا يعرف أسرى المادة ولا سجناء القيود. الدين يعرف الانطلاق والحرية، والإرادة والفعل، والبناء، والهدم، هدم بيوت الباطل، وبناء بيوت الحق. لا يعرف الخمول، ولا التعطيل، ولكنه يعرف العمل، ويعرف الجزاء. ففي أي جو يعيش الناس باسم المجتمع الصالح؟ وفي أي مجال يعمل الناس باسم الدين والإصلاح؟

إن الناس في حياتهم وفي تفكيرهم، يخطئون ويصيبون، يفكرون فيصيبون أو يفكرون فيخطئون. فواجبهم أن لا يخشوا من الخطأ، ولا يستعلوا بالصواب. إن القانون لا يكلف النفس إلا وسعها، فالحق لا خطأ فيه ولا صواب. الحق إنما هو الوجود على ما هو عليه في أحديته وواحديته، المؤمن به من أدرك الحق في صمدانية الوجود وثبات الطبيعة وجها لله، لا جديد فيه، ولا تغيير فيه، ولكنه الحياة بألوانها، وذات الحياة بصورها، يتمتعها بمشاقها وبأعبائها وبطبيعتها، ييسرها وبرخاوتها أو بمتاعها وأعسارها. الناس مفردات معانيه ومجالات مغانيه لا يغير الله ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم، يحيمهم أرواحا ويبعثهم أشباحا، لنماء موجود أو لكسب مفقود من صفات الإنسان لهم، في دوام تواجد في شهادة أو غيبها بين عاجل وآجل من دنا قيامهم بالعمل أو بالجزاء، بين زرع وحصاد.

إنه الوجود على ما هو الوجود.. وإنه الناس على ما هم الناس.. وإنه الملائكة على ما هي الملائكة.. وإنه الجن على ما هو الجن.. وإنه المادة على ما هي المادة.. وإنه الروح على ما هي الروح.. وإنه النور على ما هو النور.. لا جديد في ذات وجود الله. قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يتواجد من سابق موجود، ولم ينعدم عن قائم وجود، ولم يتجدد من عدم. إن العدم فيه هو الغيب منه، إن ما أبرزه من الوجود وأخرجه من العدم، إنما هو ما أخرجه من كنزيتة في الوجود، كان غير مشهود، فلا خلق لخالق من عدم، ولا خالق غير الخلق موجود، ولا خلق بمعزل عن الخالق، أينما تولوا فثم وجه الله، هو الظاهر في كل شيء، وهو الذي يقوم به كل شيء، وهو قلب كل شيء، وهو وجود وقالب كل شيء، وهو ظهير كل شيء، وهو غيب كل شيء، فهل عرفنا معنى الشيء؟ هل أدركنا سر

الأشياء؟ هل ربطنا بين المشيئة والشيء؟ هل شئنا في شئيتنا لشيئنا شيئاً افتقدناه فما وجدناه؟ هل ميزنا بين الموتى والأحياء؟ هل ميزنا بين أواني المشيئة والأشلاء؟ إنها الحياة مجهولة على فاقد الحياة، وإنها الحياة كبيرة على إدراك صغار الأحياء، وإن لم تجهل، إنها الحياة تعمل ولا تغفل.

إن الله قائم على كل نفس، قائمة به كل نفس، والله محيط بكل نفس، والله في كل نفس محاط بقدر من علمه بالعلم عنها منه. إن الله معنا، فهل نحن مع الله؟ هذه قضيتنا، وقضية الحياة، وقضية الاستقامة، وقضية الدين. إن الذي لا يرى الله معه، يراه ويسمعه مع أنفاسه، مع نظراته، مع خلجاته، لا يستقيم مع الله، ولا ينتظر لنفسه استقامة مع الله.

إن الذي لا يرى أن الله معه، وأقرب إليه من جبل الوريد، به يتحرك، وبه يتنفس، وبه قلبه ينبض، وبه فكره ينطلق، وبه نفسه تسكن وتضطرب، به يتحرك، به يعمل.. إن لم يكن هكذا إيمانه بربه وإيمانه بالله، فلا إيمان له برب ولا إيمان له بآله.

إن الذي لا يرى الله حيثما ولى، وكيفما اتجه، وأياً ما رأى بنظر، قائماً، منفعلاً، مقارباً، ساهراً، مدبراً، مجانباً، حكيماً، قادراً، لا يعرف الله، ولا يؤمن بالله، وهو دعي على لا إله إلا الله، إذا نطق بها منه لسان.

إن الإسلام قام على شهادة لا إله إلا الله، تشهد في النفس والحس، كما تشهد في محيط الذات، وفي الوجود على إطلاقه بمعلومه، ومجهوله، ومفروضه، ومطلقه، ولانهايته. لا إله إلا الله في الوجود تقوم، وبها الإنسان يقوم عند المسلم. فإذا قامت بإنسان فإنسانها الحق، يوم يقومها الإنسان. وجمعها الحق يوم تقوم في جمع أو يقوم بها جمع. وهي في مطلق الوجود قائمة، لا يحتجب لها قيام، ولا يخالف لها أمر، ولا تعجز عن الوصول إلى غاية. إن الدين الذي قام على لا إله إلا الله، لن يطفأ نوره، ولن تخبو جذوة ناره، ولن يخفت صوته، ولن يختفي أمره. إنه دين قام للفرد، دين القيمة عليكم أنفسكم، كما قام للجمع يوم يدعى كل أناس بإمامهم. المرء على دين خليله في الضلالة أو الهدى، كما قام لكل {ورضيت لكم الإسلام ديناً}، زويت الأرض لرسوله به تمت كلمة ربه. وما جاء به لكل إنما هو تعريف عما هو نافذ في الكل لا يتوقف له نفاذ. وما جاء للجمع إنما هو التعريف بما هو نافذ في كل تجمع لجمع، لا ينقطع له تواجد بتجمع وجمع. وما جاء به للفرد إنما هو تعريف بما هو نافذ في حق كل فرد، لا يتوقف منه عطاء، ولا يتعطل منه جزاء.

إن الكتاب الذي جاء به رسول الوجود، تعريفاً عن الوجود والموجود ونداءً للتواجد، كتاب شمل التعريف بألوان الحياة وقدم الوسائل المشروعة في الفطرة لتواجدها بالكشف عن قوانين الطبيعة

والمنطبع عليها، وفصل معالم الوجود، ودانى بالغيب إلى الشهادة، وارتفع بالشهادة إلى الغيب، فصل كل شيء. كتاب جاء للعقول، كما جاء للنفوس، كما جاء للقلوب. فما جاء منه للقلوب، تأخذه القلوب يوم يلمسها نوره فتتهز وتربو بالحياة. وما جاء للعقول، تأخذه العقول يوم تتحرر وتتطلق من قيودها من المادة وموارثها من القول بالوعي. وما جاء للنفوس، تأخذه النفوس يوم تصفو وترق، وتتخلص من ظلامها وكثافتها.

ولكن إذا حاولت العقول أخذ ما جاء للقلوب، وهي لا تستطيع أن تفعل بالطبيعة ولكنها تعلقت بطلبها ومحاولتها، فسد أمرها وضلت طريقها بوجه صلاحها. وإن طلبت النفوس أخذ ما جاء للعقول وهي لا تستطيع أن تفعل طبعاً ولكنها إن تعلقت بطلبها، فسد أمرها وضلت طريقها بوجه الصلاح لها. وإذا أخذت القلوب وهي لا تستطيع أن تفعل ما جاء للنفوس أو للعقول، ولكنها تعلقت بطلبها فسد أمرها وفقدت كرتها بالحياة.

فكيف يأخذ الناس من الكتاب، وما الكتاب صادر إلا منهم، في معاني حقائقهم ووصف الإنسان لهم؟ فتقديسه على أقداسهم انحدار بقديسيهم إلى وثنية أوانيهم. إن الكتاب لم يعط للإنسان، أو لم يعط للناس إلا تقريبا للطريق الفطري إلى أفهامهم، وتقصيرا للطريق بزمنه في التعرف على عترته من روادهم عباداً للرحمن بينهم، وطياً للزمن في التعريف عن أنفسهم فيما مرت به حتى لا يدورون حول قائم قيامهم...

فإذا عزلوا هذا الكتاب عن وجودهم كتاباً يقرأ، وعن قيامهم سورا وكلمات وحروف وإشارات ومعاني وآيات، فإن الكتاب لا ينير في عيونهم، ولا يلمس لقلوبهم، بل يتواجد به تواجدهم أشلاء من الموتى، وأوثان من الصور، يهدي به كثيراً ويضل به كثيراً. (فكم من تال للقرآن والقرآن يلعه) ٥، (وكم من مصلٍ لم يزد من الله إلا بعداً) ٦.

إن الذي لا يؤمن بالمتكلم لن يصل إليه الكلام. إن الذي لا يعرف شرف الخليفة لا يعرف شرف الخالق. إن الذي لا يعرف ولا يؤمن بكريم خلقته لا يؤمن ولا يقدر كرامة خالقه. وإن الذي لا يكبر الخالق ويقدره لن يكشف له سر خلقه، فيكرمه، فيشرفه، {كرمنا بني آدم} ٧. إن أبناء آدم لهم كرامة هي كرامة الله، ولهم وجود هو وجود الله بكلماته، ولهم ذكر هو ذكر الله بذواتهم نصبا له وأعلاما له هو من وراءهم محيط، وعلى نفوسهم قائم، أقرب إليهم من حبل الوريد، خلقهم لنفسه، وليصنعوا بيدي رحمته على عينه، وخلق لهم كل شيء في الوجود. بهم وبما خلق لهم يظهر من كنزيتة فيعرف لنفسه بنفسه في نفسه.

إن الإنسان وابن الإنسان.. إن الآدم وابن الآدم.. إن الآباء وإن الأبناء الذين لا ينعكسون بالنظر إلى أنفسهم، وفي أنفسهم، ويتأملون في خلقهم.. كتابا وحجابا، ويتأملون في معاني وجودهم.. روحا ونورا ونارا وظلاما، ويعلمون أنهم الكتاب، وأن باطنهم الكتاب، وأن ظاهرهم الكتاب، وأن باطن باطنهم المتكلم بالكتاب، المتواري فيهم بالحجاب، لن يدركوا لأنفسهم نصيبا من الحق يوما. إن الإنسان في ذاته ومعناه، هو الكتاب، ومصدر الكتاب.. إن الإنسان في ذاته، هو القرآن في ذاته، وفي معناه.. هو مصدر القرآن بمعناه.. وفي أنفسكم أفلا تبصرون.. إن الذي يربب على نفسه الكتاب، ورقا وحريرا ورسمًا وترديدا ولفظًا، ويعزف عن الكتاب في نفسه، قياما وإدراكا وعقلا وعلمًا وحياة، ما آمن بكتاب، ولا أمسك بكتاب، ولا قرأ كتابًا، وما لمس قلبه نور كتاب.

ما جعل الكتاب إلا نورا.. فكيف تجعلونه سطورا وحروفا وورقا وأصواتا ونبرات؟ إن الكتاب إنما هو نور قلوبكم يوم تهتز القلوب، فيتواجد في اهتزازها نور الله، ويُشرق بين الجوانح نورا على ما تشهدون النور، ونورا على ما تدركون النور، لا معنى ولا بلاغة ولا تشبيها، إنما هو النور حقيقة ومادة كما تُشعلون أنوار المصابيح، نورا مُحسَّا مدرِّكًا ممتدا، مركزه الرؤوس والقلوب، شعلته الدائمة في القلوب والصدور، ومفتاحه الدائم في العقول والرؤوس، تضيء به مشكاة الصدور، وينتشر في الذات والجوارح، ويمتد ويصدر عن صاحبه لمصاحبه فيحيا به، ويشعل به مصابيح الصدور، ويحرك به صمام العقول مفتاحا للكنوز {أومن كان ميا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}..^٨ (إن الله كنوزا مفاتيحها الرجال)..^٩ هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}..^{١٠} {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}..^{١١} {إنا أعطيناك الكوثر.. إن شأنك هو الأبتى}..^{١٢} هو {الذي يراك حين تقوم وتقبلبك في الساجدين}..^{١٣} {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}..^{١٤} {ورفعنا لك ذكرك}..^{١٥} {وقرآنا فرقناه لتقرأه [في الناس] على مكث}..^{١٦} {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد}..^{١٧} {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}..^{١٨} {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب}..^{١٩} {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه}..^{٢٠} {واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون. إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}..^{٢١}

إن هذا أمر ما غاب عن الجنس يوما، ولن يغيب عن الجنس يوما، وسوف لا يتواجد في الجنس بصورة على غير ما هو به متواجد في كل وقت وفي كل حين بعباد للرحمن يمشون على الأرض هونا، يسألونه لأنفسهم وللناس {ربنا أتمم لنا نورنا}..^{٢٢} {يسعى نورهم بين أيديهم}..^{٢٣} تشهد البصائر، وتغتنم القلوب، وتحرر به العقول، وتزكو به النفوس، وتستقيم به الجوارح، وتطور به الذوات.

هذا أمر قائم عند من قام عنده، فشاهده، وكتم أمره وبلغ في الحق رشد. إن الله لطيف بعباده، رحيم بخلقه.. ولو أنه جعل أمر الصالحين فيه سافرا بين الناس، وهو الأمر الذي لا يؤمن لهم معه سلامة بين أهل الظلام، لكان هذا منه قسوة على الناس في ظلامهم وإزعاجا لهم وإجهادا في أمرهم، ولكنه كتم أمر الناس عن الناس رحمة بالناس حتى يعيش الناس في هدوء من سكينته، وحتى لا يتواجد بين الناس من رؤية المفارقات بنعمة نوره الحقد والحسد، وهم فيما بينهم دون رؤية لنوره في حال من الحقد والحسد القاتل على تافه من أمرهم بديناهم، وتافه من الحياة الموقوتة، بوهم جاه أو سبق أو سلطان، وإن الذي يعطي الله لمن يعطي إنما هو من عمل العبد بمعيته له. إن الناس يجادلون الله على خفاء أمره بهم، وقد جعل في جدلهم وسيلة الخير لهم ليبتدوا إليه فيهم بأنفسهم، فكيف يكون جدلهم في حال ظهور أمورهم وانقطاع كسبهم له وقد كان معهم ولهم؟ إن من عرف الله بالكسب له أو الفقدان له لا يجادل الله. فن عرفه بالكسب له ليس في حاجة لنجوى، وليس في حاجة لاستماع عنه. إنه يسمع الله ويناجيه في الاستماع إلى خليجاته، ويلجأ إليه في تديره لإرادته به. إن الله خلق الإنسان لنفسه ولمعناه، خلق الإنسان وحققه ليقوم الله به بين خلقه من أنفسهم على ما وصف الإنسان الله لنفسه. أما من فقد الله وأسفر له فقدانه له كان قيامه من حسرة عليه مجسمة به. إن السير إلى الله إنما هو الرجوع إلى الأصل المتواجد بالكل بكل الوجود. إنه المرجع إلى الإنسان في أحسن تقويم من خلق كل شيء من أجله إلى من خلق الوجود دارا له. به تواجد المبدع للوجود بوجود على صورته عبدا له وحقا منه. جعل من آدم نواة له ومن أبنائه ملائكة وملا له بلا بدء لآدم وملئه، ولا لأصله فيه بإنسان مغايه. إن حقائق الله كثيرة بعيد حضراته بحقائقه، وإن خلائق الله كثيرة بموجوداته بعوالمه. لا بدء لحقائقه ولا بدء لخلائقه ولا انتهاء لهما، وإن أمر الله قائم، وإن إرادة الله نافذة عند كل من طلبها يوم يؤمنه على رشاد، عبدا له، وخلقاً منه، قائماً به، آياً إليه.

فنسأل الله أن يجعلنا من أهل القلوب المستيقظة، والنفوس المتزكية، والعقول المتحررة المنطلقة، والذوات المتخلقة المتجددة. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم يا من أبدعنا فأحسن صورنا.. اللهم أكل نعمتك علينا، وطورنا إلى ما أردت لنا من أحسن تقويم عبادا لك لا يجذ عنا منك عطاء، ولا يتوقف لنا فيك معراج.

اللهم خلصنا من شرور أنفسنا، وقنا شرور أنفسنا، وشرور الأشرار منا.. اللهم تولنا برحمتك وبعنايتك، وول اللهم أمورنا خيارنا برحمتك، ولا تول اللهم أمورنا شرارنا بحكمتك، وخذ بنواصينا إلى الخير حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، يقظين وغافلين، وتولنا برحمتك يا أرحم الراحمين، وأنزل اللهم

سكيتك على قلوبنا، والسلام والسلام على أرضنا.. اللهم جنبنا الفرقة والخصام، وارحمنا بالألفة والوئام، واجعل لنا من بعضنا لبعض المحبة والسلام.

لا إله إلا أنت ولا معبود سواك، بجاه عبدك وابن عبدك من جعلته الحق منك لنا ورسولك إلينا من حقي أنفسنا آدم آدمية ذواتنا، وإنسان إنسانية حقيقتنا، من عرفناه محمداً وتابعناه فيك بأمرك قدوة، وجعلنا لأنفسنا مما كان به بهديك أسوة، وتابعناه جهد أنفسنا فيما عمل وفيما قال امتثالاً لأمرك، واستجابة لندائك، ورجاء لبشرائك به، وقياماً في أمرك بك، وهديك معه. لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين. اللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا. وهب لنا من لدنك رحمة يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

(أو تظنون أن التعريف عن الحق يتسع له رسول واحد، أو كتاب واحد، أو أمة واحدة، أو عصر واحد؟ إن كل ما جاءكم وقام بكم من رسائل الحق ومعه مزيد، هو ما يرد إليكم في هذا العصر تحت عنوان الرسالة الروحية، بأرواح مرشدة هي من أنفسكم يجمعها ويجمعكم من كان رسولا من أنفسكم بمعنى الحق لكم).

(برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة العنكبوت - ٦٩
- ٢ سورة النازعات - ١٢
- ٣ الصلاة الربية في الإنجيل: لوقا ١١: ٢٠
- ٤ سورة المائدة - ٣
- ٥ حديث شريف نسبته الغزالي في (إحياء علوم الدين) لأنس بن مالك فقال " قال أنس بن مالك: رب تال للقرآن والقرآن يلعنه "
- ٦ حديث شريف ذات صلة: "من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدا." أخرجه الطبراني في الجامع الصغير للسيوطي. كما أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"
- ٧ سورة الإسراء - ٧٠
- ٨ سورة الأنعام - ١٢٢
- ٩ حكمة مأثورة تتناغم مع الحديث الشريف: "إنَّ من الناس مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ." أخرجه ابن ماجه في سننه، وهكذا صححه ابن حبان.
- ١٠ سورة الفرقان - ٥٩

١١	سورة يوسف - ١٠٨
١٢	سورة الكوثر - ٣، ١
١٣	سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩
١٤	سورة الأنبياء - ٣٤
١٥	سورة الشرح - ٤
١٦	سورة الإسراء - ٦
١٧	سورة القصص - ٨٥
١٨	سورة الإسراء - ٧٩
١٩	سورة البقرة - ١٨٦
٢٠	سورة الكهف - ٢٨
٢١	سورة النحل - ١٢٨:١٢٧
٢٢	سورة التحريم - ٨
٢٣	سورة الحديد - ١٢